العلاّمة

الشيخ رضا علي حجازي العاملي

آدابُ الحجّ المعنويَّة

و

أسرارُهُ الملكوتيّة



دارُ المحجّة البيضاء

آدابُ الحجّ المعنويّة

وأسرارُهُ الملكوتيّة


بسم الله الرحمن الرحيم

آدابُ الحجّ المعْنويَّة
وأَسْرارُهُ الملكوتيّة

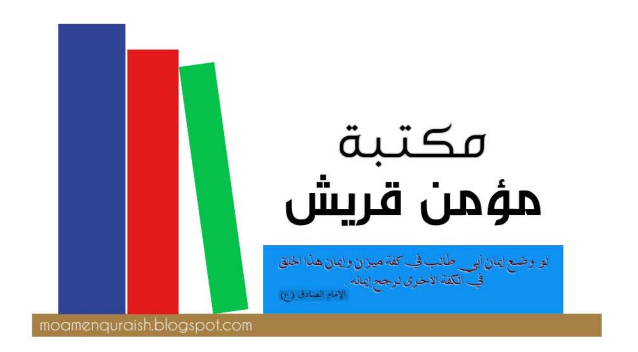
الشيخ رضا علي حجازي العاملي

تقديم المرجع الديني سماحة آية الله العظمى

السيد كاظم الحسيني الحائري (دام ظله)

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧م





حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان
ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

تقديم

أستاذنا الموقر المرجع الديني الكبير

سماحة آية الله العظمى السيد كاظم الحائري (دام ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.. وصلى الله على محمد وآله الأطياب وبعد.. فإنني تصفّحت في كتاب «آداب الحج المعنوية وأسراره الملكوتية» الذي ألفه تلميذنا ووكيلنا فضيلة العلاّمة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رضا علي حجازي العاملي «حفظه الله» فوجدته كتاباً رائعاً في بابه، نافعاً للمؤمنين، وإنّي أوصي المؤمنين الذين ينوون الحج بقرائته، والاستضاءة بنوره.

وليس هذا كثيراً عليه فإنه حضر تحت منبرنا ما يداني العشر سنوات في الأصول، والفقه، والأخلاق، والتوجيه الاجتماعي والسياسي..

وفي نفس الوقت كان يدرّس في الحوزة العلمية المباركة بقعر السطوح العالية فهنيئاً له، ولكل من يعمل في سبيل الإسلام بجد وإخلاص.

والسلام عليه، وعلى من بحضرته من المؤمنين والمؤمنات، وعلى الذين يستفيدون من هذا الكتاب ورحمة الله وبركاته.

كاظم الحسيني الحائري

٢٧/صفر/١٤٢٧هـ

المقدمة

إن الكثير ممن يعزمون على حج بيت الله الحرام يهيئون المال والنفقة، وينتخبون القافلة التي يريدون الالتحاق بها. ويحضرون وثائق السفر، ثم ينتظرون الموعد المضروب للانطلاق، وفي هذه الأثناء يتنبهّون إلى أنهم لا يعرفون شيئاً عن هذه الشعيرة الإلٰهية العظيمة، أو يعرفون أموراً مجملة لا تكفي لرفع القلق من الإقدام على المجهول، فالإنسان مفطور على حب استطلاع الأمور التي يريد أن يقدم عليها، ويجد قلقاً في نفسه إذا عزم على الولوج في ما يجهل محطاته ولا يعلم مداخله ومخارجه وأسراره ومنعطفاته.

وخاصة إذا كان ذلك الأمر المندفع نحوه من الأمور المركزية النوعية التي تشكل منعطفاً مهماً وعميقاً في حياته على الصعيد الأخروي، كفريضة الحج التي يتوقع أن تكون مفصلاً في سيره نحو الله وإصلاح نفسه وتدارك نقصه واستصلاح ما فسد منها بالتوبة والاستقامة، وخلاصة إن المأمول هو أن يتحول إلى شخصية جديدة بعد أداء تلك المناسك تختلف عن الشخصية التي كانت قبل أدائها.

فإنه والحالة هذه يصطدم بالجهل بتفاصيل تلك العبادة، فينتابه شعور لا يحسد عليه[١] من أنه كيف له بتحقيق ذلك التغيير النوعي في

(١) ولا انسى تلك الشابة التي اتتني ونحن لا زلنا في المطار قبل انطلاق الطائرة التي ستقلنا إلى المدينة المنورة وقالت والاضطراب مسيطر على كيانها ومرتسم على محيّاها. انني أعيش في بلاد الاغتراب وقد انفقت الكثير من المال وبذلت الكثير من الجهد وتركت زوجي مع اولادي في بلاد الغربة كي أأدّي فريضة الحج ولكن مولانا أنا في قلق شديد حيث أني انتبهت بأنني لا أعرف شيئاً عن تفصيلات المناسك فأرجو أن ترشدني...

حياته عن طريق أداء فريضة يجهل معالمها.

وهذا الشعور (بالقلق الناتج عن الجهل) لا يزيله إلا المعرفة والتعلم، فإن الإنسان عدو ما يجهل والجهل ظلمة والعلم نور، فمن طرق باب التعلم أنار الطريق أمامه وأقدم على عبادة ربه بكل طمأنينة وارتياح، وقطف الثمار الروحية والمعنوية ونال درجات القرب من الحق تعالى، ومن بقي على جهله بقي متردداً في ظلمات الحيرة وسكك الاضطراب والقلق فحجبه ذلك عن الاستفادة من تلك الأجواء الملكوتية.

وقد يلجأ البعض إلى جهد العاجز فيعتمد على دليل الحملة ومعرّفها فيقول أنا وضعت نفسي بين يديه فأنا لا أعرف شيئاً، وهو متكفل بتتميم مناسكي! فهل يصلح ذلك لنيل المقصود؟

في الواقع إن هذا قد يصلح للوصول إلى الحد الأدنى من تأدية المناسك إذا كان ذلك الدليل والمعرِّف موثوقاً مطمأناً إليه عارفاً ومتفقهاً بأحكام الحج أو يكون في القافلة من علماء ادين (سددهم الله) من هو كذلك، وإلا فسوف يحصل الخلل.

ولكن في كل الأحوال شتان بين من يكون له علم وبصيرة واطلاع على أحكام العبادة وأسرارها المعنوية وبين من يأتي بها مقلداً من دون تبصّر ولا معرفة فقد ذكر البعض عن مجموعة من الحجيج كانوا مع دليل لهم يصنعون كل ما يصنع يقلدونه في كل حركة، يقول كانوا يؤدون الطواف ويفعلون كل ما يفعل، ويرددون كل ما يقول فاتفق أن انحنى ليحك قدمه فانحنى الجميع واضعين ايديهم على أقدامهم ظانين أن هذه الحركة من الأجزاء أو الآداب للطواف.

ففي الحقيقة هذا شيء مخجل معيب، فأين هؤلاء ممن عرف حدود الحج شروطاً وأجزاءً وآداباً، وطرق أبواب أسراره المعنوية، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**»[1].

وفي رواية: «**نوم مع علم خير من صلاة على جهل**»[2].

---

(١) منية المريد ص٢٣.

(٢) المصدر ص٢٥.

وفي أخرى: «**فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب**»[(١)].

فقيمة العبادة تُستَمد من المعرفة، فبقدر المعرفة بحدودها الفقهية والمعنوية ومراعاة تلك الحدود والمعارف بقدر ما يصل العبد إلى المبتغى منها ويحقق درجات العروج والقرب من المعبود.

وكذلك قد يقف البعض وقفة متحير لا يدري ماذا يصنع وماذا ينبغي عليه أن يفعل ـ (وهو في وطنه قبل الانطلاق) ـ مما يعد مكملاً لهذه الفريضة من مقدمات كالإيصاء ورد المظالم والتحلل من الناس إلى غير ذلك وهو يسمع من فلان أو فلان أنه يلزمه فعل كذا وترك كذا، فأيضاً لا بد من التعرف على تلك المقدمات بما يزيل الإجمال ويضفي على العبادة حسن الاكتمال.

فمن هنا وانطلاقاً من ذلك الواقع المرير الذي يواجهه العشرات من المسلمين في كل عام عند حلول موسم أداء هذه العبادة الجليلة ولكي نساهم في وصول المؤدّين لتلك الشعيرة إلى درجات أرقى ومعنويات أسمى فيرتفعون بذلك عند خالقهم، وتعلو أسهمهم عند باريهم، ارتأنيا أن نطرق هذه الأبحاث لعلنا إذا كُتِبْنَا مساهيمن في طريق نفع المؤمنين وتكميل نفوسهم ورفع درجاتهم عند خالقهم ننال من ألطاف الباري عز وجل، ورحماته، ونحصل على درجة من محبته ورأفته فأحب الخلق إلى الله أنفعهم بعياله.

فأما الأبحاث الفقهية وأحكام المناسك فإننا نتركها ونعطف المكلف إلى تعلمها من خلال حضور الدروس الفقهية التي تقام لتعليم مناسك الحج، كل مكلف بحسب رأي مرجع تقليده.

وإنما يتكفل هذا التأليف بيان فضيلة الحج وآدابه المعنوية وأسراره، وماذا يجب على المكلف وينبغي أن يقوم به منذ الخطوة الأولى إلى حين الانتهاء من مناسكه.

---

(١) المصدر ص٢٧.

فحيث كانت العبادة فعلاً ظاهرياً وفعلاً قلبياً، وكان الفعل الظاهر قد تكفل به علم الفقه، ولا يُستَغنى عن الفقه كي تقع العبادة من ناحية الفعل الخارجي صحيحة فإنه لا بد من علم يتكفل ببيان الحقائق المعنوية التي من حققها في نفسه وعاشها في باطنه وقعت عبادته صحيحة على الصعيد الداخلي والفعل القلبي.

وهذا الكتاب يتكفل بيان تلك الحقائق والأسرار المعنوية الملكوتية المستفادة من الكتاب الكريم وسنة رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار والتي لا يستغني عنها أي قاصد للحج المعنوي الروحاني وأي طالب للحقائق العرفانية.

وأما من لا يعتني بما تكنه العبادات من معانٍ، وما تشتمل عليه من مضامين معنوية، فإن هذا الكتاب سوف لا يكون مبتغاه.

إذن هذا المؤلَّف هو منشودة من يطلب الحج بحقائقه المعنوية ومضامينه الروحانية وعليه فسوف لا يستغني عنه كل من كان كذلك سواء كان حاجاً أو دليلاً ومعرفاً (حملدارياً) أو عالم دين.

فهو زاد روحاني لا يُستغنى عنه ينبغي أن يكون مصاحباً للناسك في جميع حالاته، فليس على الحاج أو المرشد إلا أن يفتح على العنوان المرجو قبل أداء النُسُك فيطالع البحث كي ينتهي إلى الحقائق والآداب المعنوية التي يجب أن يحققها في قلبه ونفسه لكي يجني ثمار العبادة الروحاني، فمثلاً قبل الطواف افتح على الآداب المعنوية للطواف لتجد كل ما يتعلق بهذا النسك عرفانياً وسلوكياً وهكذا قبل كل منسك اجلس هنيئةً وطالع آدابه المعنوية وحاول تجسيدها في نفسك، وكذلك من أراد الوعظ والإرشاد والتبيين، ليس عليه إلا أن يطالع ذاك البحث لينقله إلى الحجاج ليحقق مبتغاه التبليغي.

وأملي بهذا الكتاب أن يسد ثغرة قد تَلَمَّسْتُها بنفسي وتجربتي وهي الجهل بأسرار المناسك العظيمة الذي يشكل حرماناً معنوياً كبيراً للمسلمين، فالله تعالى عظَّمَ هذه الشعائر لما تُكِنُّه من حقائق، والتي من

دونها تصبح مظهراً غير موصل إلى غايته المنشودة في المضمون والجوهر.

وإن لم يكن الجهل مطبقاً عند البعض فالموجود هو معلومات مشوشة ومجملة وهذا لا يكفي لمن قصد أن يكون وافداً على الله (فالحاج وفد الرحمٰن) وإن من قصد دارة الحبيب عليه أن يتعلم أسلوب الحياة في محضره وآداب الحضور بين يديه، فإذا كان المهاجَر إليه هو الله تعالى فالأمر سيكون عظيماً ولِتَرى عظمة معاني الحج والوفود على الله تعالى اسمع ما دار بين زرارة وبين الإمام الصادقعليه السلام من حديث صحيح.

قال زرارة للإمامعليه السلام: جعلني الله فداك، إني أسألك في الحج منذ أربعين عاماً فتفتيني!

فقالعليه السلام: يا زرارة: بيت يُحَجّ قبل آدم بألفي عام تريد أن تفني مسائله في أربعين عاماً»[(١)].

فمثل هكذا عبادة أليس مجحف في حقها أن نهمل الغور في مضامينها وتلمس حقائقها ومعانيها؟!

وإني نظرت فوجدت جلَّ ما كُتِبَ في هذا الركن الإسلامي مختصرات ومتقطفات من الأحاديث الشريفة، أو كان التركيز فيه على الجوانب الفقهية للمناسك، أو تناول الحج من أبعاد أخرى كالبعد السياسي مثلاً، وكل هذه الأبعاد من مهمات الحج، ومما ينبغي أن يؤكَّد عليه، إلا أن تبيين أسرار المناسك المعنوية وحقائقها الملكوتية الصادرة عن معدن العلم، وأهل بيت الوحيعليهم السلام، من أهم مهمات من أراد نيل المراتب المعنوية، ودرجات القرب الإلهية بهذه العبادة المقدسة، لذلك عكفت همتي على إفراد تأليف مستوعب لهذا الجانب راجياً من الله تعالى أن ينفع به كل طلاب الآداب المعنوية لهذه العبادة العظيمة.

وقد جعلت ملحقاً رأيته ضرورياً لكل مرتاد للأماكن المقدسة في مكة والمدينة (زادهما الله شرفاً) يتناول تبيين عظمة كل من البلدين المقدسين،

(١) الوسائل ـ باب ١ من أبواب وجوب الحج ح١٢.

وما فيهما من مزارات ومعالم تاريخية ترتبط بالنبيﷺ وأهل بيته عليهم السلام. وذكرت بعض الوقائع التي لا بد من ذكرها عند الوقوف على مشاهدها ومواضعها.

وتعرضت لبعض ما توحيه لنا تلك المواضع من دروس وعبر معنوية نستفيد منها لتكميل نفوسنا.

ثم بينتُ كيف ينبغي أن نقتنص فرصة وجودنا في المكانين المقدسين، وما هي مهمات الأمور التي على الحاج أن يشتغل بها بعد الفراغ من مناسكه الواجبة، فإن الكثير من الحجيج يقفون مكتوفي الأيدي بعد أداء الواجبات لا يدرون ماذا يصنعون وبما عليهم أن يشتغلوا. وفي الحقيقة إن هذا الملحق هو رسالة بمفردها أحببتُ أن أدمجها في الكتاب لتكتمل للحاج أمور حجه المعنوية واجبات ومستحبات ومن الله أسأل أن يقع هذا الجهد القليل مورد قبول الحق تبارك وتعالى وأن ينفعني فيه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً والحمد لله رب العالمين.

رضا علي حجازي العاملي

الفصل الاول:

ويشتمل على:

مقدمات ومطالب لا بد منها قبل الوصول لاداء المناسك وآدابها المعنوية:

١ ـ فضل الحج الكبير وثوابه العظيم.

٢ ـ إن تعويق الحاج عن أداء الحج فيه خطر!

٣ ـ هل يوجد ثواب على الحج النيابي؟

٤ ـ ما ينبغي للحاج فعله قبل السفر:

أ ـ التدقيق في النية.

ب ـ التوبة إلى الله مما سلف من ذنوبه كلها.

وتشتمل التوبة على:

ـ أداء حقوق الله، التي فرط بها.

ـ رد حقوق الناس واسترضاؤهم.

ـ رد المظالم.

ـ رد الودائع والأمانات.

ج ـ تهيئة النفقة الوافية وتطييبها.

٥ ـ الهدية من نفقة الحج.

٦ ـ يجب أن يكون المال من الطيب الحلال.

٧ ـ أهمية الحج من ناحية الانقطاع إلى الله تعالى.

٨ ـ حقائق مشوقة لزيارة البيت الحرام.

٩ ـ أصلٌ مهمٌّ سارٍ في جميع مناسك الحج ومقدماته.

١ ـ فضل الحج الكبير وثوابه العظيم

إن الحج من أعظم شعائر الإسلام، وأفضل ما يتقرب به إلى الملك العلاّم وذلك لما فيه من إذلال النفس، وإتعاب البدن، وهجران الأهل والتغرب عن الوطن، ورفض العادات، وترك اللذات والشهوات ولما فيه من المنافرات والمكروهات، وإنفاق المال، وشد الرحال، ومقاساة الأهوال، فهو رياضة نفسانية وطاعة ماليّة، وعبادة بدنية. قولية وفعلية وهذا من خواص الحج، إذ لم تجتمع هذه الفنون في غيره من العبادات والطاعات.

وإن بيان فضل هذه الشعائر المقدسة وذكر ثوابها ضروري للمؤمن لعدة جهات:

أولاً: إن الكثير من المسلمين إنما ينبعث في نفوسهم الإرادة، والعزم لأداء فريضة الحج لأجل التخلص من الواجب الملقى على عاتقهم من قِبَل الباري عز وجل مع الشعور الضمني بالثواب لهذه الفريضة المقدسة.

وعندما ينكشف للمؤمن الثواب الجزيل لهذه الشعيرة الإلّية يقوى في قلبه حب نيل الثواب والتقرب من الله، وشتان بين من يأتي بالعبادة بغرض التقرب والثواب، وبتوجّه قلبي، وبين من يأتي بها لإسقاط الواجب فحسب.

ثانياً: إن البعض ممن يرغب من خلال الحج بتحصيل عنوان اجتماعي يستفيد منه وجاهةً دنيوية عندما يطّلع على عظم ثوابه عند الله تعالى قد يزهد في ذلك المرام الدنيوي وتتمحض نيته لنيل الثواب الأخروي ومزيد القرب من الله تعالى.

ثالثاً: إن من أدّى حجة الإسلام وأسقط عن نفسه الواجب قد ينتفي أو يضعف في قلبه دافع العودة لأداء هذه العبادة المعظمة من جديد. والبعض قد يَصرِّح بذلك فيقول الآن قد أديت الواجب وأزحت ثقل المسؤولية عن كاهلي ولا أفكر بأكثر من ذلك، وهناك من لا يصرح بذلك ولكن يضمره في قلبه.

مع أنه كما سنطلعك يستحب أن ينوي العودة، بل ورد استحباب الإدمان على الحج.

فمن سمع بعظم ثواب الحج والحث الشديد من قبل الشارع المقدس على تأديته وتكراره فإنه سيفكر بمداومة التقرب إلى الله تعالى عن طريق هذا النسك كلما استطاع، بل سيقدمه على الكثير من العبادات والمستحبات وقد نص جمّ من الروايات على تفضيله كما سيأتي.

رابعاً: إن من كان ثرياً في ماله قد يعتاد على التوصل إلى مقاصده مهما كبرت بواسطة المال، فإذا علم أن الشريعة جعلت ثواب الحج بمثابة لا يسد مسده شيء من الإنفاقات المالية، فإنه سيستكشف مدى أهميته وسيطرد عن ذهنه الاستعاضة عن ثواب الحج بثواب الإنفاق في غيره، وسيسعى لأداء الحج بنفسه فيقطف بذلك ثمراته الأخلاقية الراقية من تذلل لله، وتواضع لعباده، ومواساة للفقراء والاجتماع معهم بمظهر واحد، وبحركات واحدة، ومواقف واحدة، وألفاظ واحدة.

لهذا كله تتأكد ضرورة وحاجة ذكر فضيلة وثواب الحج.

فإليك ما رشح من شريعتنا المقدسة على لسان النبي ﷺ وأهل بيته الكرام عليهم السلام في الحث على تلكم العبادة وبيان فضلها وعظم ثوابها:

ففي رواية عن إمامنا الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام. عن آبائه عليهم السلام. أن رسول الله ﷺ لقاه أعرابي فقال له: يا رسول الله إني خرجت أريد الحج ففاتني وأنا رجل مميل، فمرني أن أصنع في مالي ما أبلغ به مثل أجر الحاج.

فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال:

انظر إلى أبي قبيس فلو أن أبا قبيس لك ذهبة حمراء

أنفقته في سبيل الله، ما بلغت به ما يبلغ الحاج!

ثم قال: إن الحاج إذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئاً ولم يضعه إلا كتب الله له عشر حسنات، ومحى عنه عشر سيّئات، ورفع له عشر درجات، فإذا ركب بعيره لم يرفع خفاً ولم يضعه إلا كتب الله له مثل ذلك، فإذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه، فإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه، فإذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه، فإذا وقف بالمشعر الحرام خرج من ذنوبه، فإذا رمى الجمار خرج من ذنوبه.

قال: فعدّ رسول الله ﷺ كذا وكذا موقفاً إذا وقفها الحاج خرج من ذنوبه، ثم قال:

أنّى لك أن تبلغ ما يبلغ الحاج.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

ولا تكتب عليه الذنوب أربعة أشهر وتكتب له الحسنات إلا أن ياتي بكبيرة[1].

وفي الحقيقة لو تأملنا فقط في هذه الرواية واقتصرنا عليها لأبرزت فضيلة عظيمة وثواباً لا يقدر بقدر لهذه الشعيرة المقدسة.

وهاك الروايات الأخرى:

فعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

درهم في الحج أفضل من ألفي ألف درهم فيما سوى ذلك من سبيل الله[2].

وعنه عليه السلام:

(١) الوسائل ج٨ باب ٤٢ من أبواب وجوب الحج وشرائطه ص٧٩ ح١.

(٢) المصدر ص٨٠ ح٣.

درهم تنفقه في الحج أفضل من عشرين ألف درهم تنفقها في حقّ[١].

- وفي رواية: .. **كان خير له من مائة ألف درهم ينفقها في حق**[٢].

- وفي رواية أخرى: .. **خير من ألف ألف درهم في غيره (أي في غير الحج)**[٣].

- وفي رواية: .. **أفضل من ألف ألف فيما سواه في سبيل الله**[٤].

وعن إبراهيم بن ميمون قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام:

إني أحج سنة وشريكي سنة.

قال عليه السلام: ما يمنعك من الحج يا إبراهيم.

قلت: لا أتفرغ لذلك جعلت فداك أتصدق بخمسماة مكان ذلك.

قال عليه السلام: الحج أفضل.

قلت: ألف.

قال عليه السلام: الحج أفضل.

قلت: ألف وخمسماة.

قال عليه السلام: الحج أفضل.

قلت: ألفين.

قال عليه السلام: أفي ألفيك طواف البيت؟

قلت: لا.

قال عليه السلام: أفي ألفيك سعي بين الصفا والمروة؟

قلت: لا.

---

(١) المصدر ح٥.

(٢) (٣) (٤) المصدر ص٨٢.

قال عليه السلام: أفي ألفيك وقوف بعرفة؟

قلت: لا.

قال عليه السلام: أفي ألفيك رمي الجمار؟

قلت: لا.

قال عليه السلام: أفي ألفيك المناسك.

قلت: لا.

قال عليه السلام: الحج أفضل[1].

أقول:

وهذا يدل بوضوح على أن لكل صنف من العبادات أثراً خاصاً على النفس لا يقوم الصنف الآخر منها مقامه في تأثير ذاك الأثر، فالصدقة لها أثر كمال يلحق بالنفس إلا أنها لا تسد مسد آثار كل من الطواف والسعي والوقوف بعرفة ورمي الجمار.

ومن هنا فمن المستحب أن لا يخرج الإنسان من الدنيا وقد ترك سنّة لم يفعلها، بل يأتي بكل مستحب ولو لمرة واحدة، لكي لا تبقى نفسه خالية من أثر كمال ذلك المستحب.

وعلى هذا فلا يظنن صاحب المال أن بماله يستطيع أن يعوض عدم الحج وعدم الزيارة، وعدم الجهاد في سبيل الله وغير ذلك فإن لكلٍ أثره ولا يحدثه إلا هو.

والبعض يظن بأنه إذا حج حجة الإسلام ألقى عن كاهله عبء الحج فلا يفكّرنّ بالحج بعد ذلك، ويقول لنفسه إذا أردت فعل الخير أتصَدَّق وأَصِلُ الآخرين فإن ذلك أفضل لي.

ومثل هذا التفكير والاعتقاد ينفيه الإمام عليه السلام عندما يسأل عبد الرحمن

(١) الوسائل ج٨ ص٨١ ـ ٨٢ ح٨.

أبا عبد الله: إن ناساً من القصاص يقولون: إذا حج رجل حجّة ثم تصدق ووصل كان خيراً له.

فقال الإمامعليه السلام: كذبوا[١].

وهناك أناس يقبلون على الدنيا ويعشقون أموالها ويفنون أعمارهم في طلبها ثم يخرجون من الدنيا تاركين ما جمعوا دون أن يحجوا البيت الحرام، فما أتعس حظهم، وما أسوأ خاتمتهم.

فعندما يصبحون في عالم البرزخ هل يتغير نمط تفكيرهم يا ترى؟

نعم استمع إلى هذه الرواية عن إمامنا الصادقعليه السلام:

«**ودّ من في القبور لو أن له حجة بالدنيا وما فيها**»[٢] فلا يفتدون الحجة بما جمعوا من حطام فحسب بل لو أن لهم الدنيا وما فيها من ذهب وفضة ومال ومنال.. لدفعوها في مقابل حجة واحدة إلى بيت الله الحرام.

وقد روى في الفقيه للشيخ الصدوق:

أن الحج أفضل من الصلاة والصيام، لأن المصلي إنما يشتغل عن أهله ساعة، وإن الصائم يشتغل عن أهله بياض يوم، وإن الحاج يشخص بدنه، ويضحي نفسه، وينفق ماله، ويطيل الغيبة عن أهله لا في مال يرجوه ولا إلى تجارة»[٣].

والروايات في فضل الحج كثيرة نكتفي بهذا المقدار فإنه وافٍ بالغرض ومحفّز للمؤمن نحو هذه العبادة العظيمة القدر التي هي من الأركان في ديننا الحنيف، ودافع للعناية بشأنها، وعدم التهاون فيها.

---

(١) الوسائل ج٨ ص٨٢ ـ ٨٣ ح١٤.

(٢) المصدر ص٨٢ ح١٢.

(٣) الفقيه ص٢٠٩ تحت رقم ٧٠.

٢ ـ إن تعويق الحاج وتثبيطه عن الحج فيه خطر

إن بعض الأشخاص عمداً أو من حيث لا يشعرون يثبطون همم بعض من يريد الحج لأغراض شتى لعلى بعضها التذرع بضعف الحال من ناحية البدن أو المال وما إلى ذلك ولا يعلمون أن في ذلك خطراً عليهم فلا بد لهم أن يحذورا من ذلك، ولا يسعون في تعويق من يريد الحج إلى بيت الله الحرام.

فقد روى إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

إن رجلاً استشارني في الحج وكان ضعيف الحال فأشرت عليه أن لا يحج.

فقال عليه السلام: ما أخلقك أن تمرض سنة.

قال (أي إسحاق): فمرضت سنة[1].

ـ وعنه عليه السلام:

«ليحذر أحدكم أن يعوّق أخاه عن الحج فتصيبه فتنة في دنياه مع ما يدّخر له في الآخرة»[2].

(١) (٢) الوسائل ج٨ باب ٤٨ ص٩٧ ح١ ـ ٢.

من تأخر عن الحج المندوب لأجل حاجة فإنها لا تُقضى، وما يتأخر إلا لذنب

عن أبي حمزة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام:

«ما من عبد يؤثر على الحج حاجة من حوائج الدنيا إلا نظر إلى المحلقين قد انصرفوا قبل أن تقضى له تلك الحاجة»[1].

وعن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قال لي: مالك لا تحج في العام؟

فقلت: معاملة كانت بيني وبين قوم، واشتغال، وعسى أن يكون ذلك خيرة.

فقال عليه السلام: لا والله ما فعل الله لك في ذلك من خيرة.

ثم قال عليه السلام: «ما حبس عبد عن هذا البيت إلا بذنب وما يعفو أكثر»[2].

وفي رواية عنه عليه السلام:

من أراد الحج فتهيأ له فحُرمه فبذنب حُرمه[3].

وعنه عليه السلام: ليس في ترك الحج خيرة[4].

---

(١) (٢) (٣) (٤) الوسائل ج٨ باب ٤٧ ص٩٦ ـ ٩٧ ح١، ٣، ٤، ٥.

٣ ـ هل هنالك ثواب على الحج النيابي

قد يخطر في بال البعض أن الذي يحج نيابة عن شخص ويتقاضى أجرة بإزاء ذلك لا يستحق الثواب عند الله تعالى لأن غايته ذلك الأجر المادي وقد وصل إليه ولا يكون له أجر أخروي.

ولكن هذا المطلب يحتاج إلى مقدار من التدقيق في النية والدافع.

فمن استعمل آلة الدين للدنيا يختلف عمن استعمل الدنيا والمال للتوصل إلى الدين فإنه من الدين وهو للآخرة.

وبعبارة أبسط أقول: تارة استعمل الحج لأجل كونه أحد أدوات الكسب المالي فحسب كأي صنعة أو تجارة أخرى الهدف منها التوصل إلى الربح المادي، وأخرى أتوسل بالمال ـ المعطى في مقابل الحجة النيابية ـ لأجل الوصول إلى تلك الأماكن المقدسة وتأدية شعائر الله وزيارة أولياء الله تعالى.

وهذا ما ينبغي أن ينويه صاحب الحجة النيابية، فإنه عمل للآخرة لا للدنيا لذلك تجد الإمام عليه السلام عندما يسأل سائل فيقول له:

والله انا لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتاها.

قال فقال: تحب أن تصنع بها ماذا؟

قلت: أعود بها على نفسي وعيالي وأصل بها وأتصدق بها وأحج وأعتمر.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة»[١].

وقد ورد في رواية تنظير وتمثيل جميلان لمن يقوم بالعمل الأخروي مع أخذ الأجر عليه في الدنيا ومع ذلك هو مثاب عليه في الآخرة فعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: **«مثل الذي يغزو في سبيل الله ويأخذ أجراً، مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها»**.

فأُمُّ موسى(ع) كانت تأخذ الأجرة ليتيسر عليها الإرضاع وإلا انكشف أمرها ولم ترضعه، فكذلك الذي يحج بأجرة ينبغي أن تكون نيته أنه يأخذ الأجرة لأنها تمكنه وتوصله إلى الحج والزيارة، لا أنه يحج ليأخذ الأجرة.

وأُمّ موسى طلبها الأصلي وغاية مرامها وبيت قصيدها هو التوصل إلى ابنها وإرضاعه ولا تعني لها الأجرة شيئاً إلا بقدر ما تكون وسيلة ومقدمة موصلة لذلك، فكذلك المستأجَر للحج يجب أن يكون مبتغاه وشوقه وغايته وهدفه الوصول إلى الأماكن المقدسة والتعبد لله تعالى مع نية قضاء حاجة المؤمن وصلته وإسقاط الواجب عنه إذا كان قد فارق الدنيا وكان وجوب الحج قد استقر عليه قبل وفاته، أو التخفيف عنه والتوسعة عليه في عالم البرزخ إذا كانت مستحبة.

فإذا كانت هذه نية النائب كان له الأجر الكبير وقد نَصَّت الروايات على ذلك:

فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام:

عن رجل يحج عن آخر، له من الأجر والثواب شيء؟

فقال عليه السلام: «للذي يحج عن الرجل أجر وثواب عشر حجج، ويغفر له ولأبيه، ولأمه، ولابنه، ولابنته، ولأخيه، ولأخته، ولعمّه، ولعمته، ولخاله، ولخالته:

---

(١) المنتهى للعلامة الحلي ج٢ ص١٠٣١، الكافي ج٥ ص٧٢ ح١٠ باب معنى الزهد.

إنه واسع كريم»[١] (حمل البعض هذه الرواية على من تبرع بالحج عن شخص).

وعنه عليه السلام:

من حج عن إنسان اشتركا حتى إذا قضى طواف الفريضة انقطعت الشركة، فما كان بعد ذلك من عمل كان لذلك الحاج»[٢].

وروي:

«أن الله تعالى جاعل له ولهم حجاً، وله أجراً لصلته إياهم»[٣].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: **يدخل الله تعالى بالحجة الواحدة ثلاثة الجنّة:**

«الميت، والحاج عنه، والمنفذ ذلك»[٤].

وروي أن الصادق عليه السلام أعطى رجلاً ثلاثين ديناراً فقال له: **حج عن إسماعيل وافعل، ولك تسع، وله واحدة»[٥].**

(١) الوسائل ج٨ ص١١٦ ح٦.

(٢) المصدر ح٧.

(٣) من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٢٣ ـ ٢٢٤٣.

(٤) كنز العمال ج٥ ص٥.

(٥) الوسائل ج٨ ص١١٦ ح٨.

٤ ـ ما ينبغي للحاج فعله قبل السفر

ذكرنا سابقاً أن المكلف يتساءل قبل انطلاقه ما الذي ينبغي فعله قبل أداء شعيرة الحج المقدسة لكي تقع على وجهها مكتملة.

وهذا تساؤل في محلّه لأن الله تعالى يحبُّ إتقان العمل فكيف إذا كان العمل عبادة عظيمة كالحج الذي هو من أركان الدين والذي يشكل محطة نوعية في العمر قد يؤثر أداؤه على مجمل سلوكية المكلف الذي يملك قابلية حسنة باتجاه الخير.

فنقول لكي يقع الحج على وجهه ويحقق الحاج شروط القبول لدى الحق تعالى لا بد من البدء بمقدمات وأعمال قبل الحضور في الأماكن المقدسة وقبل لبس ثوب الإحرام، وقبل التوجه إلى حافلة النقل التي سيسافر بها.

فهذه المقدمات تبدأ وهو في بلده:

المقدمة الأولى: التدقيق في النية:

فلا بد للمكلف قبل كل شيء من إحكام النية، فإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[١].

فقد كان السلف الصالح يعلمون أبناءهم وطلابهم هذا الحديث قبل الشروع في أي علم أو عمل، «فإن تخليص العمل عن الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد»، «وتصفية العمل أشد وخير من العمل»[٢].

(١) مستدرك الوسائل ج١/ ص٩٠.

(٢) ميزان الحكمة ج٣ طبعة الدار الإسلامية ص٥٨ عن البحار.

فقد يقوم الإنسان بعمل من شأنه أن يكسبه رضى الله تعالى إلا أنه يشوب نيته بمراد آخر غير الله تعالى فيخسر في الدنيا والآخرة، وإن ذلك إلا لقلة العقل وللجهل يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«ما بين الحق والباطل إلا قلة العقل «قيل: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: إن العبد يعمل العمل الذي هو لله رضى فيريد به غير الله فلو أنه أخلص لله لجاءه الذي يريد في أسرع من ذلك»[1].

فقد يتعب الشخص نفسه ويبذل ماله ويتغرب عن بلده ويعرض نفسه لمكاره السفر ثم يؤدي الحج بما فيه من مشقة، ولكنه لا يكون قد أتقن نيته وأخلصها للخالق عز شأنه فيخسر في الدنيا والآخرة! فليس كل حج يكون مقبولاً ويترتب عليه الثواب عند الله تعالى فعن أبي عبد الله عليه السلام:

الحج حجان، حج لله وحج للناس فمن حج لله كان ثوابه على الله الجنّة ومن حجّ للناس كان ثوابه على الناس يوم القيامة[2].

وهنا قد تقول أيها الأخ الكريم فماذا يا ترى سينوي من يقصد تلك الأماكن المقدسة سوى الله تعالى؟!

وأجيبك بأن المعصومين عليهم السلام قد حذرونا من عدة أشياء قد تدخل في نياتنا من حيث نشعر أو لا نشعر فتفسد علينا قبول حجنا عند خالقنا تبارك وتعالى.

فعن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال: «**يحج أغنياء أمتي للنزهة، والأوساط للتجارة، والفقراء للسمعة**»[3].

فهذا تحذير من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لطبقات أمته المختلفة، وكل فرد يلتفت إلى طبقته ويُخرِج من نيته ذلك الذي حذّره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله منه.

---

(١) البحار ج٧٢ ص٢٩٩.

(٢) الوسائل ج٨ ص٧٦.

(٣) مكاسب الشيخ الأنصاري (قده) باب الغناء ص١٥٦ ط دار الذخائر.

فالغني عليه أن يبتعد قدر المستطاع عن نية التنزه في رحلة الحج وكذلك كثرة الترف والمبالغة في المأكول والمشروب ووسائل الترفيه، وليحقق في نفسه نية امتثال أمر الله تعالى وإجابة دعوته والتقرب منه تبارك وتعالى حتى وإن استلزم ذلك مشقة وتضحية بشيء من راحة جسده.

وأما المبالغة في الترفيه وإن لم يكن من المحذورات الشرعية إلا أنه قد يؤثر على قيمة الحج المعنوية وعلى قدر المثوبة.

وذلك لأن أفضل الأعمال أحمزها كما ورد في الحديث الشريف أي أفضل الأعمال من جهة نيل الثواب والتأثير في درجة القبول والقرب من الباري تعالى هي الأعمال التي فيها مشقة.

لذلك تجد أن إمامنا الحسن عليه السلام حج عشرين حجةً ماشياً على قدميه والنجائب تساق بين يديه.

وثانياً: لأن المبالغة في الترف، والوسائل الترتفيهية، والإكثار من ألوان الطعام والشراب يصرف جانباً من همة الإنسان نحو هذه الأمور مع أنه ذاهب في سفر ومهمة عبادية يجب أن يحصر جلَّ همه فيها والأمور الأخرى ينبغي أن لا تأخذ حيزاً كبيراً من اهتمامه بل عليه أن يعتبرها عرضية بمقدار سد الحاجة سواء مكان الإقامة أو المأكل والمشرب... وغيرها.

نعم المطلوب أن يحصل الراحة عندما يأوي إلى مكان إقامته كي يستجمع قواه ليعود إلى إكمال مناسكه من جديد بنشاط وتوجه، فوجود خلل في محل السكن أو من ناحية إيجاد الغذاء وتحضيره قد يكون له بالمقابل أثر سلبي على تحقيق المقصود والوصول إلى الغاية.

وثالثاً: إن الإكثار من الطعام والشراب وأصنافها وأنواعها يحدث فتوراً واسترخاءً ويثبط عن العبادة والتوجه فيها، ويجلب ثقلاً في أعضاء البدن، ويسبب النعاس والتكاسل، وهذا مما أجمع عليه الحكماء، وحذرت منه الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام.

وقد ورد في الأثار أن لقمان قال لإبنه: «يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة».

فينبغي للحاج أن يصرف همته عن هذه الأمور إلا بما يسد حاجته فلا يشعر بالجوع. ولا يكون ممن ثبطته هذه العرضيات وصرفته عما قصد إليه وقطع المسافات لأجله.

وليتأدب بالأدب القرآني حيث يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

وأما الأوساط:

فليدققوا في نياتهم من ناحية القصد إلى التكسب والتجارة، فلا يغلبنّ هذا القصد على الضمير فيكون الربح المادي هو المبتغى، فذلك ينقص من الحظ المعنوي والروحي.

وأما الفقير:

فلينفي عن قلبه حب السُّمعة، فقد يكون عند البعض هدف نيل لقب الحاج في مجتمعنا فإنه لقب مطلوب يضفي على صاحبه احتراماً اجتماعياً، وهذا قد يكون لدى الفقير وغيره ولكنه يتأكد لعله في الفقير لحاجاته إليه أكثر.

وخاصة إذا تقدم به العمر ووجد أن أترابه قد حجوا البيت وهو بعد لم يحج فيسعى لأن يضاهيهم في هذا اللقب، فيكون لسان حاله أن من أعرفهم قد حصلوا ذلك وأنا من المعيب ألا أكون قد حججت إلى الآن فتتأكد نيته في الحج لذلك، فهذا في الحقيقة يشكل خطراً على نية التقرب إلى الله تعالى. وفي خبر من طريق أهل البيت عليهم السلام:

«إذا كان آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة، وأغنياؤهم للتجارة، وفقراؤهم للمسألة، وقرّاؤهم للسمعة».

وخلاصة ينبغي للحاج أن يخلص نيته لله تبارك وتعالى ويكون دافعه الأول والأخير نيل مرضاته والتقرب إليه عز وجل وينفي من قلبه حب السُّمعة والرياء.

يقول سيف التمّار سمعت أبا عبد الله الصادقعليه السلام يقول:

«من حج يريد به الله لا يريد به رياءً ولا سمعة غفر الله له البتّة»[١].

ويقولعليه السلام: **«الحج حجّان: حج لله وحج للناس، فمن حج لله كان ثوابه على الله الجنّة، ومن حجّ للناس كان ثوابه على الناس يوم القيامة»**[٢].

إذن هذه المقدمة الأولى وهي أن يحكم الحاج نيته ويدقق بها حتى تكون خالصة لوجه الله عز وجل.

(١) وسائل الشيعة ج٨ ص٧٦.

(٢) المصدر.

المقدمة الثانية
من مقدمات ما قبل الحج

أن يتوب إلى الله تعالى مما سلف في عمره من سيئات أعماله كي يحقق شرط القبول لحجه وهو التقوى، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، ومن أصرَّ على الذنب وأقام عليه خرج عن التقوى وبالتالي سوف يعرّض عمله لعدم القبول، والتوبة لها ثلاثة أبعاد لكي تتحقق:

البعد الأول: هو البعد الشخصي وهذا يتحقق بالندم على ما بدر منه من مخالفة لأحكام الله تعالى، والعزم على أن لا يعود ثانياً إليها، والاستغفار.

البعد الثاني: بُعد حقوقي يتعلق بحق الله الذي قصر العبد وتهاون فيه، من صلاةٍ فائتة، أو صيام، أو خمس أو زكاة لم يؤدها وما تخلف عن الوفاء به من النذور والأيمان والعهود، وما يلحق ذلك من الكفارات فيجب أن يبرئ ذمته من كل ذلك، لذلك يستحسن أن يلتفت المرء إلى نفسه ويسأل عن هذه الأمور ويبدأ بإخراجها عن عهدته في سعة من الوقت تخوّله ذلك، وإلا فعليه أن يوصي بها وينوي تنفيذها بعد رجوعه فوراً إذا كتبت له السلامة بعد أداء فريضة الحج المباركة، وإن أدركته المنية يكون معذوراً عند الله لأنه قد أوصى بها.

وبخصوص الخمس ينبغي له مراجعة أحد علماء الدين الموكّل من قبل مرجع التقليد ليرشده إلى ما يجب عليه صنعه، وقد يحتاج إلى أن يجري معه مصالحة شرعية ومداورة لكي يكون تصرفه بالمال ليس محرماً،

وعليه أن يبرئ ذمته بتخميس كل ما تعلق به الخمس من ماله كي يحصِّل التقوى ويخرج عن العصيان ويقبل حجه، ولا يقتصر على تخميس المبلغ الذي يريد إنفاقه في الحج فقط كما يفعل البعض، فهذا وإن كان يصحح حجه فقهياً، إلا أنه يكون في خطر عدم القبول.

البعد الثالث: هو بُعدٌ حقوقي أيضاً إلا أنه يتعلق بحق العباد، فإن التوبة لكي تكون نصوحاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ وتكون مؤثرة في قبول الحج بل مطلق عبادة، لا بد أن يخرج التائب عن جميع حقوق الناس، فأولاً يقضي ما عليه من دين:

فقد شجع الأئمة عليهم السلام وحثوا المؤمنين على أداء ديونهم قبل التوجه لأداء الحج، فلنستمع إلى ما يحكيه عبد الرحمن بن سيابة عما جرى له في ذلك وما قاله له الإمام الصادق عليه السلام.

يقول عبد الرحمن لما هلك أبي سيابة جاء رجل من إخوانه إليَّ فضرب الباب عليّ، فخرجت إليه فعزّاني وقال لي: هل ترك أبوك شيئاً؟ فقلت له: لا، فدفع إليّ كيساً فيه ألف درهم وقال لي: أحسن حفظها وكل فضلها، فدخلت إلى أمي وأنا فرح فأخبرتها، فلما كان بالعشي أتيت صديقاً كان لأبي فاشترى لي بضائع سابرياً وجلست في حانوت فرزق الله (عز وجل) فيها خيراً وحضر الحج فوقع في قلبي، فجئت إلى أمي فقلت لها: إنه قد وقع في قلبي أن أخرج إلى مكة، فقالت لي: فردّ دراهم فلان عليه.

فهيأتها وجئت بها إليه فكأني وهبتها له.

فقال: لعلك استقللتها فأزيدك؟

فقلت: لا، ولكن وقع في قلبي الحج وأحببت أن يكون شيئُك عندك ثم خرجتُ فقضيت نسكي ثم رجعت إلى المدينة، فدخلت مع الناس على أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وكان يأذن إذناً عاماً فجلست في مواخير الناس، وكنت حدثاً فأخذ الناس يسألونه ويجيبهم فلمّا خف الناس عنه أشار إليّ فدنوت إليه فقال لي: ألك حاجة؟ فقلت له: جعلت فداك أنا عبد الرحمٰن بن سيابة.

فقال: ما فعل أبوك؟

فقلت: هلك. فتوجع وترحم، ثم قال لي: أفترك شيئاً؟

قلت: لا.

قال: فمن أين حججت؟

قال عبد الرحمن: فابتدأت فحدثته بقصة الرجل. فما تركني أفرغ منها حتى قال لي: فما فعلت بالألف؟

فقلت: رددتها على صاحبها.

فقال عليه السلام: قد أحسنت.

وقال لي: ألا أوصيك؟

قلت: بلى جُعلت فداك.

قال عليه السلام: عليك بصدق الحديث وأداء الأمانة تشرك الناس في أموالهم هكذا، وجمع بين أصابعه، قال عبد الرحمن: فحفظت ذلك عنه فزكيت ثلاثمائة ألف درهم»[١].

فانظر يا أخي كيف بادره الإمام عليه السلام بالسؤال عن مصير المال الذي في ذمته للرجل قبل أن يفرغ من سرد قصته، وليس ذلك إلا لاهتمام الشريعة بحقوق الناس وبضرورة أداء ديونهم.

ثم انظر كيف حسّن له عمله وأبدى رضاه عنه عندما قال عبد الرحمٰن في جوابه: رددتها على صاحبها، فالإمام عليه السلام قال له: أحسنت.

نعم فالشريعة اهتمت اهتماماً بالغاً بحقوق الناس، فجعلتها حقوقاً لا يدعها الله، في مقابل حق الله تعالى الذي قد يغفره تعالى.

فعن إمامنا الباقر عليه السلام كما في الوسائل:

---

(١) سفينة البحار ج٦ باب عبد.

«الظلم ثلاثة، ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله، فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)، وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم الرجل فيما بينه وبين الله، وأما الظلم الذي لا يدعه الله فالمداينة بين العباد»[١].

فحتى الشهيد الذي هو في درجة عظيمة يوم القيامة، والذي كلنا يعرف أن أول قطرة تسقط من دمه تكفّر ذنوبه، مع ذلك كله يبقى الدَّين الذي في ذمته للعباد يطالب به. فعن إمامن الباقر عليه السلام:

«أول قطرة من دم الشهيد كفارة لذنوبه إلاّ الدَّين فإن كفارته قضاؤه»[٢].

وعنه أيضاً عليه السلام: **«كل ذنب يكفره القتل في سبيل الله إلا الدّين، لا كفارة له إلا أداؤه، أو يعفو الذي له الحق»**[٣].

وفي رواية أنه مات رجل من الأنصار وعليه ديناران ديناً، فلم يصلِّ عليه النبي صلى الله عليه وآله وقال:

«صلّوا على صاحبكم، حتى ضمنها عنه بعض قرابته».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: **«إن رسول الله إنما فعل ذلك ليتعظوا، وليردّ بعضهم على بعض، ولئلاّ يستخفّوا بالدَّين»**[٤].

ـ حبس الحقوق مع القدرة على الأداء لا يجوز:

ومن كان قادراً على أداء الحق الذي في ذمته وكان قد حلَّ أجل ذلك

---

(١) وسائل الشيعة ج١١ (الإسلامية) ص٢٤٢ باب وجوب رد المظالم.
(٢) الوسائل ج١٣ (الإسلامية) باب وجوب قضاء الدين ح٥ ص٨٥.
(٣) المصدر ح١.
(٤) المصدر باب جواز الاستدانة مع الحاجة ح١ ص٧٩.

الدَّين وكان صاحب الدين يطالب به، ومع ذلك لا يؤديه ويحبسه عن صاحبه يكون مرتكباً لذنب كبير.

ففي روايتي الأعمش والفضل بن شاذان عن الإمام الرضاعليه السلام أن حبس الحقوق من غير عسر هو في عداد الكبائر[١].

وعن إمامنا الصادقعليه السلام:

«من حبس حق المؤمن أقامه يوم القيامة خمسمائة عام على رجليه حتى يسيل عرقه أو دمه، وينادي منادٍ من عند الله: هذا الظالم الذي حبس عن الله حقه قالعليه السلام فيوبخ أربعين يوماً ثم يؤمر به إلى النار»[٢]

ولعلى الذي يوبخه هم المؤمنون أو الأنبياء.

وللأسف أن الناس في عصرنا يستهينون بهذا الذنب، فيحبسون حقوق الناس وهم قادرون على أدائها وقد حان أجلها، فيطالب صاحب الحق مراراً وتكراراً وهو لا يأبه بذلك، والبعض يعتبر ذلك مهارة وحذاقة في التجارة ولا يدري المسكين أنه بذلك يهيئ لنفسه حبساً يستمر خمسمائة عام واقفاً على رجليه يسيل عرقه إذا كان ظلمه قليلاً ويسيل دمه إذا كان ظلمه كثيراً كما قال المجلسي (قده)، وينادَى به على أنه ظالم حبس عن الله حقه، ثم يوبّخ أربعين يوماً قبل أن يعذب على خطيئته في النار.

وقد سمعنا ببعض الناس يحبسون حقوق الآخرين ومع ذلك يسافرون إلى الحج والزيارة، والناس تطالبهم فلا يكترثون.

فيا أخي لا تكن كهؤلاء وأَقبل على شأنك، وبرئ ذمّتك، وصفِّ نفسك من حقوق الآخرين قبل أن تتوجه إلى سفر الحج المبارك، لكي تكون حجتك مبرورة متقبلة زاكية تقرّبها عينك وترفع بها درجتك.

ـ الثواب على رد الدين وإرضاء الخصماء:

---

(١) الذنوب الكبيرة.

(٢) الوسائل (الإسلامية) ج١١ باب تحريم منع المؤمن شيئاً من عنده. ص٥٩٩ ح٢.

ولا تظن أن إرضاء الخصماء ورد الديون لا ثواب عليه، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: **«من أرضى الخصماء من نفسه وجبت له الجنّة بغير حساب..»**[١].

وفي رواية أخرى عنه ﷺ: **«من ردّ درهماً إلى الخصماء أعتق الله رقبته من النار، وأعطاه بكل دانق ثواب نبي، وبكل درهم مدينة من درة حمراء»**[٢].

وعنه أيضاً ﷺ: **«فإن درهماً يرده العبد إلى الخصماء خير له من صيام النهار وقيام الليل، ومن ردّ ناداه ملك من تحت العرش: يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك»**[٣].

ـ مصير من يتهاون بردّ الحقوق:

وبالمقابل ما أعظم خذلان العبد المتهاون في حقوق العباد يوم القيامة ففي الرواية عن إمامنا السجاد عليه السلام:

«يؤخذ بيد العبد يوم القيامة على رؤوس الأشهاد:

ألا من كان له قِبَل هذا حق فلياخذه.

ولا شيء أشد على أهل القيامة من أن يروا من يعرفهم مخافة أن يدّعي عليهم شيئاً»[٤].

ويومئذٍ لا ينجو من كان للناس حق في ذمته فأمامه خياران:

الأول: أن يرضى أصحاب الحق عنه ويبرئون ذمته.

الثاني: إن لم يرضوا عنه يؤخذ من حسناته أو يضاف إلى سيئاته من سيئاتهم. نعم هناك أمر ثالث نرجوه وهو عفو الله تعالى بشفاعة أهل البيت عليهم السلام إذا أدركته شفاعتهم.

---

(١) بحار الأنوار ج١٠١ ص٢٩٥.

(٢) المصدر.

(٣) المصدر.

(٤) لئالئ الأخبار.

ففي الرواية كما (في البحار كتاب العقود والإيقاعات):

يؤتى يوم القيامة بصاحب الدين يشكو الوحشة، فإن كانت له حسنات أخذت منه لصاحب الدَّين، وإن لم يكن له حسنات ألقي عليه من سيئات صاحبه».

وإن الطامّة الكبرى والمصيبة العظمى ذلك المقدار الذي يؤخذ من حسناته في مقابل الحق الذي يؤده إلى أصحابه فقد أشير في بعض الروايات إلى بعض مراتبه فقد ورد أنه:

«يؤخذ ستمائة صلاة بدرهم».

وفي مروي آخر:

«يؤخذ بدانق فضة سبعمائة صلاة مقبولة فيعطاها الخصم»

واويلاه إذا كان الأمر هكذا ونحن نؤمن بأننا سنفارق هذه الدنيا عاجلاً أم آجلاً وأن مآلنا إلى الآخرة وإلى يوم مجموع فيه الناس، وهو يوم أقسم الله تعالى أنه لا يجوزه ظلم ظالم، فكيف يغلبنا هوانا ويدفعنا طمعنا إلى الإغماض في حقوق العباد، وكيف نقدم حسناتنا على طبق من فضة للخصماء؟! اللهم نبهنا من نومة الغافلين، فإن الدنيا بما فيها لا تساوي وقفة ذل أمام الله وأمام أصحاب الحقوق يوم القيامة وليأخذوا منا مثوبات طاعاتنا وعباداتنا.

وقد يحبس العبد على باب الجنّة بحق عليه لم يؤده.

فإن النبيﷺ قد قال يوماً بعد الصلاة لأصحابه:

«ما ههنا من بني النجار أحد وصاحبهم محتبس على باب الجنّة بثلاثة دراهم لفلان اليهودي. (وكان شهيداً)» (مستدرك الوسائل أبواب الدين).

ـ قصة معبرة:

وذكر المحدث النوري في (دار السلام) عن السيد حسن ابن السيد علي الأصفهاني أنه قال:

كنت مشغولاً بطلب العلم في النجف الأشرف حين مات أبي، وتعهد بأعمال أبي بعض أخوتي، ولم يكن لي علم بتفاصيلها، وبعد مضي سبعة شهور من وفاته توفيت أمي في أصفهان، وحملوا جنازتها إلى النجف الأشرف، وفي ليلة من تلك الليالي رأيت والدي في المنام فقلت له: إنك توفيت في أصفهان وأنت الآن في النجف الأشرف، فقال: نعم بعد وفاتي نقلوني إلى هذا المكان، فسألته عن والدتي هل هي قريبة منك؟ فقال: هي في النجف ولكن في مكان آخر فعلمت أنها ليست بدرجة أبي، فسألته عن حاله فقال:

كنت في الضيق والشدة، والآن ارتحت منها، فتعجبت وقلت:

وهل يعذب من هو مثلك؟

فقال: نعم، إن الحاج رضا بن فلان كان له عليّ دين وكان يطالبني به لذا كنت في شدة.

يقول السّيد حسن الأصفهاني فاستيقظت فزعاً، وكتبت رؤيايَ لأخي الذي كان وصياً لوالدي، وطلبت منه التحقيق في ذلك، فكتب لي في الجواب:

إنني فتشت في دفاتر ديون والدي فلم أجد اسم الحاج رضا فكتبت إليه: إجهد أن تعرف ذلك الشخص ثم تسأله ما إذا كان يطلب والدي؟

فكتب لي في الجواب:

سألته فقال نعم، كنت أطلب والدك مبلغ سبعة عشر توماناً ولم يكن يعلم بذلك أحد إلا الله، وقد سألتك بعد وفاته: هل يوجد اسمي في سجل الديّان فقلت: لا، ولم يكن لديّ سندٌ أستند إليه في ذلك الدين، ولم يكن لي طريق لإثباته، فضاق صدري، لأن المرحوم لم يدوّن اسمي في سجلّه.

يقول السيد حسن لما سمعت ذلك أردت أن أدفع له ذلك المبلغ فلم يقبل وقال: قد أبرت ذمته.

فيا أيها المؤمن قبل أن تسير لتأدية فريضة الحج أخرج عن حق الناس وخذ بوصية أمامك أبي جعفر الباقر عليه السلام عندما سأله أبو تمامة فقال: إني

أريد أن ألزم مكة والمدينة وعليّ دين؟

فقال له الإمام‌عليه السلام: ارجع إلى مؤدى دينك، وانظر أن تلقى الله تعالى وليس عليك دين، فإن المؤمن لا يخون»[١].

الشق الثاني من حقوق الناس التي لا بد من مراعاتها:

ـ رد المظالم:

والمقصود بها أن يكون المكلف قد وضع يده على مال غيره بغير حق، وأكل مال الغير بدون رضاه وعن غير طيب نفس. سواء كان صاحب المال عالماً بالحال أو لم يكن كذلك بل اختلست منه خفية، وسواء كان المال كثيراً أم قليلاً، فلا بد للمكلف من التخلص من هذه المظالم التي في عنقه للعباد.

وهنا عدة صور:

١ ـ أن يكون يعلم المقدار المأخوذ ظلماً ويعلم صاحبه وفي هذه الحالة يجب عليه ردّه إليه أو التحلل منه واسترضاؤه، وإن شعر بإحراج الموقف يستطيع أن يوصل إليه حقه بأي طريقة من دون أن يعرف، بأن يضع له المال في بيته، أو في صندوقه، أو في حسابه إن استطاع.. وإن كان صاحب الحق قد توفي فيجب عليه أن يرجع بالمال على ورثته طبق قانون الإرث الشرعي.

٢ ـ أن يعلم مقدار المال المأخوذ بغير حق إلا أن صاحبه لم يكن معلوماً بعينه بل كان مردداً بين أشخاص.

فإن كان الأشخاص محصورين كالثلاثة أو الخمسة أو العشرة..

فلا بد من إرضائهم بأجمعهم.

وإن كان الأشخاص (المردد بينهم المال) غير محصورين، فهنا المال بحكم مجهول المالك فالاحتياط الوجوبي الاستئذان من الحاكم الشرعي

---

(١) الوسائل ج١٣ باب وجوب قضاء الدين ص٨٣ ح٢.

للتصدق به على الفقراء عن صاحبه الواقعي، وكذلك الحكم فيما لو لم يعرف صاحب الحق أصلاً.

٣ ـ أن لا يعرف مقدار المال الذي بذمته للناس. ولا يعرف الأشخاص الذين لهم في ذمته حقوق، ولكنه يعلم قطعاً بأن قسماً من ماله هو حرام، فهذا المورد مورد المال المختلط بالحرام، وعلاجه أن يطهِّر بدفع خمسه فهذا أحد موارد خمس الأموال، فإنه يخمس ماله ويطهر إن شاء الله تعالى.

فلكي يكون العبد محققاً لشرط قبول العمل وهو التقوى لا بد أن يتوب توبة نصوحاً، ولكي تتحقق التوبة النصوح لا بد من أداء حقوق الله وحقوق الناس، وإلا فسيكون خطر عدم قبول العمل عند الله تعالى وارداً. في يوم قال الرسول ﷺ لأصحابه:

(أتدرون من المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم ولا مال ولا متاع له. قال ﷺ: إن المفلس من أمتي من أتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وحج ويأتي قد شتم هذا، وأكل مال هذا، وهتك دم هذا، وضرب هذا، فيؤتى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياه عليه، ثم يطرح في النار») (البحار).

رد الودائع والأمانات:

لكي يذهب لأداء الحج صافياً من أن تبعة عليه أن ينظر ما بحوزته من ودائع وأمانات للناس فيردها إليهم، ولا تكون بعده معرضة للتلف والضياع. فإن الإنسان لا يأمن نزول الموت بساحته وهو في بيته ووطنه فكيف به وهو مسافر.

ولا يتهاون حتى بالأمور الصغيرة التي للناس عنده مثل كتاب كان قد استعاره وما شاكل ذلك من أمور تجتمع لديه وهو متساهل في ردّها فليتذكرها وليرجعها إلى أصحابها أو يستحل منهم.

الاستحلال من الخلق:

وينبغي له أن يطلب من أرحامه وجيرانه ومعارفه المسامحة وتبرئة ذمته من كل حق لهم عليه سواء كان مالياً مادياً أم كان معنوياً كما يعددها أمامنا زين العابدين عليه السلام: «.. وأسألك في مظالم عبادك عندي، فأيما عبدٍ من عبيدك، أو أمةٍ من إمائك، كانت له قِبَلي مظلمة ظلمتها إياه، في نفسه، أو في عرضه، أو في ماله، أو في أهله، وولده، أو غبة اعتبته بها، أو تحامل عليه بميل أو هوى، أو أنفة، أو حمية، أو رياء، أو عصبية..».

وليكن الاستحلال من الناس وطلب المسامحة منهم بنية صافية، وبقلب سليم، بأن ينفي الغضاضه والشحناء من صدره، وإن كان بينه وبين أحد خصومة فليجهد لفكّها وإن كان يقتضي ذلك منه شيئاً من التواضع والتنازل، فإن فريضة الحج هي بمثابة فرصة جديدة لاستئناف حياة جديدة، فليسعى الحاج للرجوع من أداء المناسك كما ولدته أمه، وليكن حريصاً على المحافظة على ذلك النقاء في حياته، وهذا يستلزم منه نفي الخصومات من نفسه، وتصفية قلبه على جميع المؤمنين.

«ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا..».

فليسعَ المؤمن جهده أن لا يسيرَنّ إلى الحج وفي قلبه شيء من غلٍّ على مؤمن. وكذلك فليسعَ أن لا يكون في قلوب المؤمنين شيء عليه.

ج ـ تهيئة النفقة الوافية وتطييبها:

ينبغي للمؤمن الموسِر أن يتوسع في النفقة وبذل الزاد في سفر الحج المقدس، وليكن جواداً على الرفقة من المؤمنين غير متباخل، فإن في ذلك الثواب الجزيل، وقد ورد أن كل نفقة في طريق الحجّ هي نفقة في سبيل الله وأن الدرهم بسبعمائة درهم، مضافاً إلى أن الله تعالى مخلفها عليه في الدنيا، وهكذا كانت سيرة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وإلى ذلك كانت إرشاداتهم.

فإن الإمام زين العابدين عليه السلام كان إذا سافر إلى مكّة. إلى الحج أو

العمرة، تزوّد من أطيب الزاد، من اللّوز والسكّر، والسويق المحمَّض والمحلاّ»[١].

وعن النبي ﷺ: «**مِنْ شَرف الرجل أن يطيّبَ زاده إذا خرج في سفر**»[٢].

وعن الصادق عليه السلام: «**إذا سافرتم فاتخذوا سفرة وتنوّقوا فيها**»[٣].

وقد جعل النبي ﷺ من شروط الحج المبرور إطعام الطعام.

ففي الرواية أنه قال ﷺ:

«**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنّة**».

فقيل له: يا رسول الله ما برّ الحج؟

قال: «**طيب الكلام، وإطعام الطعام**»[٤].

فعلى المؤمن أن يعتقد أن بذل النفقة للمؤمنين الحجاج وإطعام الطعام هو من الأمور التي يترتب عليها الثواب فلا يحرم نفسه من ذلك الفضل والأجر، وليحسب لذلك حساب ويجعله من برامجه التي يريد إنجازها كما يحسب حساب تلاوة القرآن، والصلاة في الحرم، والطواف المستحب، وليبذل عن طيب نفس، ولا يستكثرنّ ذلك.

فعن إمامنا الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ:

«**ما من نفقة أحب إلى الله عز وجل من نفقة قصد، ويبغض الإسراف إلا في الحجّ والعمرة. .**»[٥].

وكم أن الحج مشياً على الأقدام له ثواب عظيم، ومع ذلك إذا كان المشيء لأجل تقليل النفقة فالركوب أفضل.

---

(١) الوسائل ج٨ (الإسلامية) باب ٤٢ ص٣١٠ ح٢.
(٢) المصدر ح١ج
(٣) المصدر ج٨ باب ٤٠ ح٢ ص٣٠٩.
(٤) مستدرك الوسائل ج٨ ص٦٢.
(٥) وسائل الشيعة ج٨ طبعة العشرين مجلداً ص١٠٦.

أي إذا كانت نية المرء المشي إلى البيت الحرام ليوفّر على نفسه مقداراً من النفقة والبذل فإن الأمر سينقلب وسيكون الركوب له هو الأفضل والأكثر استحباباً، وليس ذلك إلا للتشجيع ودفع المؤمنين نحو البذل والإنفاق لما له من ثواب وأثر تطهيري للنفس من درن الشح والبخل. فقد سأل أبو بصير الإمام الصادقعليه السلام عن المشي أفضل أو الركوب فقالعليه السلام:

«إذا كان الرجل موسراً فمشى ليكون أفضل (أو أقل) لنفقته فالركوب أفضل»[1].

فسفرة الحج يلزم أن تكون مطهرة للنفس من الأنانية والتمحور حول حب الذات، ودافعاً نحو الشعور الجماعي، والالتحام مع الآخرين، وعدم التقوقع في قمقم الذات والنفعية الشخصية.

هذا ما أرادته لنا الشريعة المقدسة من خلال سيرة وإرشادات أصحابها الأولياء الصالحين.

فلا تكن أيها الحاج ممن زادتهم هذه السفرة التفافاً على ذواتهم وانطواءً على أنفسهم، ينفردون في الطعام لوحدهم، وينعزلون عن الرفقة تخوفاً مما قد يتطلب من نفقة أو بذل.

---

(١) الوسائل ج٨ ص٥٩ طبعة العشرين مجلداً.

٥ ـ الهدية من نفقة الحج

قد يتساءل البعض عن الهدايا التي يحملها الحاج إلى ذويه وأصدقائه والتي بطبيعة الحال ستكلف مقداراً من المال، فما حكم هذه الإنفاقات على الهدايا؟

الجواب أولاً لا بدّ من الإلفات إلى مراعاة شأنيّة الإنسان وظروفه المادّيّة في كم الهدايا وكيفها، فليس من الحسن أن يتعدّى حاله ووضعه المالي، ولكن لا بدّ من الإلفات من ناحيةٍ أخرى إلى أنّه يستطيع الحاج أن ينوي القربة إلى الله تعالى في النّفقة على الهدّية فيدخلها بذلك في عداد نفقة الحج في الأجر والثّواب، ولا يكون دافعه الخجل من النّاس.

فعن الإمام الصادق عليه السلام:

«هدية الحج من الحج»[1].

وعنه عليه السلام أيضاً:

الهدية من نفقة الحج[2].

فإذا إنفاق درهم في الحج خير من ألف ألف درهم في غيره كما مرّ معنا في رواية وكانت الهدية من نفقة الحج، فإن النتيجة ستكون أن ما ينفق من مال في شراء الهدايا سيكون له ذلك الثواب الجزيل أيضاً.

فلا يعتبرنّ الحاج الهديّة ضريبة مفروضة يؤدّيها بتضجّر، بل ينوي القربة إلى الله تعالى فإن في ذلك أجر كبير وثواب عظيم.

---

(١) (٢) وسائل الشيعة ج٨ باب حكم هدية الحج ص١٠٥.

هذا ولكن يبقى نقطة مهمة في المقام وهي أنه لا بد من التفريق بين الموسر وغيره، فقد ينعكس الحكم فيمن لم يكن له سعة من المال فيستحسن له تقليل النفقة، والاقتصار في الهدية على ما هو رمزي وذلك كي يسهل الحج على نفسه، ولا يضر بحاله وإلا فسوف لا ينشط للحج بعد ذلك، وقد أشار أهل البيت عليهم السلام إلى ذلك فعن إمامنا الصادق عليه السلام:

(كان علي عليه السلام لَينْقَطِع رِكابُه في طريق مكة فيشده بخُوْصَةٍ ليهوّنَ الحج على نفسه»)[1].

وفي رواية عنه عليه السلام أيضاً: يا فلان أقلل النفقة في الحج تنشط للحج ولا تكثر النفقة في الحج فتملّ الحجّ»[2].

ثم أقول: أخي لا تكن ممن يكتسب ماله من طرق غير مشروعة ويستعمله بعد اجتماعه في طرق الخير والعبادة فهذا قد نهت عنه الشريعة نهياً شديداً.

ولقد بلغني أن البعض يتكسب في بعض الدول الأجنبية بطرق غير مشروعة (لا داعي لذكرها) ثم في كل سنة يرسل مجموعة من الناس يحجوا البيت متكفلاً بنفقاتهم!!

سبحان الله ما أعجب هذا الفعل! فهل مصدره الجهل بأغراض الشريعة أو شيء آخر؟!

فأحرى بهؤلاء أن يرتدعوا عن التكسب المحرّم وأن يقتصروا على طلب الحلال فإنه من أفضل العبادة فقد ورد أن العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال[3].

وإن قصر مالهم عن إرسال الآخرين إلى الحج، فإنهم بورعهم عن

(١) الوسائل ج٨ باب تسهيل الحج على النفس ص١٠٤.
(٢) المصدر ص١٠٥.
(٣) الحدائق الناظرة ج١٨ ص٩.

كسب الحرام، وبحرصهم على طلب الحلال هم في أفضل عبادة.

وفي رواية عن النبي الأعظمﷺ: «**ردَّ دانق حرام يعدل عند الله سبعين حجة مبرورة**»[١].

وفي رواية أخرى: «**ترك لقمة حرام أحب إلى الله تعالى من صلاة ألفي ركعة تطوعاً**»[٢].

وفي عدة الداعي عن النبيﷺ قال: «**أوحى الله إليّ أن يا أخا المرسلين ويا أخا المنذِرِين أنذر قومك لا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحد منهم مظلمة، فإني ألعنه ما دام قائماً يصلي بين يدي حتى يرد تلك المظلمة..**»[٣].

وعنهﷺ:

(إن أحدكم ليرفع يديه إلى السماء فيقول: يا رب يا رب ومطعمه حرام وملبسه حرام، فاي دعاء يستجاب لهذا، وأي عمل يقبل منه، وهو ينفق من غير حل إن حَجّ حَجّ حراماً، وإن تصدق تصدق بحرام، وإن تزوج تزوج بحرام، وإن صام أفطر على حرام، ويحه أما علم أن الله طيب لا يقبل إلا الطيب وقد قال في كتابه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾)[٤].

---

(١) بحار الأنوار ج٩ ص٣٧٣ مؤسسة الوفاء.

(٢) بحار الأنوار ج٩ ص٣٧٣.

(٣) (٤) عدة الداعي ص١٢٩.

٦ ـ أن يكون المال من الطيّب الحلال

يلزم على الذي يريد حج البيت الحرام أن يهيئ مالاً طاهراً طيباً حلالاً لذلك، فهذه العبادة المطهِّرة يلزم أن تكون نفقتها طاهرة، فكما عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «**إنا أهل بيت حجّ صرورتنا، ومهور نسائنا، وأكفاننا من طهور أموالنا**»[(١)].

وإلا فمن حج بمال حرام فسوف يُعَرِّض حجّه لعدم القبول.

ففي الرواية عنهم عليهم السلام أنهم قالوا: «**من حج بمال حرام نودي عند التلبية: لا لبيك عبدي ولا سعديك**»[(٢)].

فما أعظمها من بلية أن تقف بين يدي الرب العظيم لتلبّي وتدخل في الإحرام الذي هو فاتحة أعمال الحج فتقول لبيك اللهم لبيك ليأتيك النداء بلسان العزة والجبروت لا لبيك عبدي ولا سعديك حتى تُرجِعَ ما في يديك.

فمن يسرق أو يخون أو يأكل الربا سوف يلقى هذا الجواب الذي يهزّ الكيان ويُطيش الجَنان، ففي رواية عن الباقر عليه السلام:

«**من أصاب مالاً من أربع لم يقبل منه في أربع: من أصاب مالاً من غلول أو ربا أو خيانة أو سرقة لم يقبل منه في زكاة ولا صدقة ولا حجّ ولا عمرة**»[(٣)].

---

(١) الوسائل ج٨ كتاب الحج باب ٥٢ ص١٠٢.

(٢) المصدر ح٢.

(٣) المصدر ح٥.

وفي خطبة عن رسول الله ﷺ: **«من اكتسب مالاً حراماً لم يقبل الله منه صدقة ولا عتقاً ولا حجاً ولا اعتماراً، وكتب الله له بعدد أجزاء ذلك أوزاراً، وما بقي منه بعد موته كان زاده إلى النار»**[١].

وعن النبي ﷺ أنه عندما حمل جهازه على راحلته قال: **«.. من تجهّز وفي جهازه علم حرام لم يقبل الله منه حجّة»**[٢].

وعنه ﷺ: **«من أكل لقمة حرام لم يُقْبَل له صلاة أربعين ليلة، ولم يستجب له دعوة أربعين صباحاً، وكل لحم ينبته الحرام فالنار أولى به، وإن اللقمة الواحدة تنبت اللحم»**[٣].

وعنه ﷺ:

«إن لله ملكاً ينادي على بيت المقدس كل ليلة: من أكل حراماً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[٤]

والصرف هو النافلة، والعدل الفريضة.

وعنه ﷺ أيضاً: **«لو صليتم حتى تكونوا كأوتاد، وصمتم حتى تكونوا كالحنايا لم يقبل الله منكم إلا بورع حاجز»**[٥].

وعنه ﷺ: **«العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل»**[٦].

إذن على الحاج أن يحج بكسب حلال، ويؤدي الحقوق لأصحابها، حقوق الله وحقوق الناس، ويتوب إلى الله تعالى من الكسب الحرام، وينوي أن يطيب كسبه فيما بقي من عمره. لكي يحقق شرط قبول حجّه. ومن هنا يتضح أنه ليس كل من ذهب إلى الحج قُبل حجّه فالأمر يحتاج إلى جهاد كبير مع النفس، وإرادة إيمانية قوية يقدم من خلالها على ردّ الحقوق.

---

(١) المصدر ح٦.
(٢) المصدر ح٨.
(٣) عدة الداعي ص١٣٠.
(٤) المصدر ص١٤٠.
(٥) المصدر ص١٤١.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٨٢.

٧ ـ إدراك أهمية الحج من ناحية الانقطاع إلى الله تعالى

لا بد للحاج أيضاً قبل الانطلاق في مسيرة الحج المقدسة أن يعلم مدى أهمية الحج في طريق العروج إلى الحق تعالى.

فإن الله تعالى قد مدح المنقطعين إليه، المتبتلين، التاركين للدنيا، وذلك لأن المعرفة والوصول إلى الله لا يكون مع اشتغال القلب بالدنيا فقال سبحانه في كلامه عن الأمم السالفة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1].

فكانت الرهبانية سابقاً قبل أمة محمدﷺ هي رمز الانقطاع إلى الخالق تعالى وبعد بعثة خاتم الأنبياءﷺ سأله أهل تلك الملل السابقة عن الرهبانية في دينه فقالﷺ: «**أبدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرْف**»[2].

و(التكبير على كل شرف) هو الحج.

فكان الحج في أمة محمدﷺ هو رمز الانقطاع إلى الله تعالى، فهو (مع الجهاد) رهبانية الأمة، فالإسلام يريد الإخلاص وقطع القلب عن غير الله تعالى في نفس وفي خضم المجتمع، دون انزواء وانطواء، فالبدن يكون مع الخلق وفي الخلق إلا أن الروح تكون متسامية ومتعلقة بالمحل الأعلى كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى**»[3].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٢.

(٢) الجامع الكبير ـ الطراني ج٦ ص٦٢، كنز العمّال ج٣ ص٤٧.

(٣) نهج البلاغة من كلامه لكميل بن زياد.

وعليه فإذا كان الحج وسيلة للوصل إلى الله تعالى وطريق للانقطاع إليه تعالى فعلى الحاج والحالة هذه أن يهيئ نفسه ويعدها أفضل إعداد ليكون في جميع شؤون الحج ومناسكه متوجهاً إلى الله تعالى غير متعلق القلب بأي أمر من أمور الدنيا لا مال ولا أهل ولا ولد ولا تجارة... بل يجعل هذه الفترة التي هي للحج فترة انقطاع إلى الله بقدر الإمكان وبقدر طاقته وقابليته، كما يشير تعالى إلى ذلك في الكتاب العزيز ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[1].

فمن الأمور التي توجب نقصاً في حقيقة الحج وقيمته المعنوية في قلب المؤمن، انشغال القلب بالأهل والمال والولد، وعدم انقطاعه عن مشاغل الدنيا وتشعباتها التي لا تكاد تنتهي.

فلا بد من قطع العلائق عن النفس، والتفرغ، وجعل الهم هماً واحداً وهو هم العبادة والتوجه إلى الله تعالى، رجاء رفع المرتبة الروحية والمعنوية لتحقيق درجة قرب أعظم وأرقى لدى الخالق عز شأنه وجلّ ثناؤه. وخلاصة كما أنت متوجه إلى بيت الله ببدنك ووجهك الظاهري عليك أن تتوجه إلى ربّ البيت بوجه قلبك المعنوي.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.

٨ ـ حقائق مشوقة لزيارة البيت الحرام

أيضاً من المقدمات المعنوية التي ينبغي للمؤمن أن يحرزها في نفسه لدى عزمه على الحج هو ما يُسَجِّر الشوق في القلب لزيارة البيت الذي أضافه الله إلى نفسه (بيت الله الحرام).

وهو عدة أمور:

أولاً: الإطلاع على الثواب العظيم للحج وقد بينا ذلك في أول البحث.

ثانياً: إن البيت قد أضافه الله تعالى إلى نفسه تشريفاً له كما أضاف شهر رمضان إلى نفسه من الأزمنة تشريفاً لتلك القطعة الزمنية، فأعظِم بذلك المكان الذي أضافه ربّ العزة إلى نفسه. فأنت عندما تزور البيت المحرّم وتقصد إليه أنت قاصد إلى الله تعالى ووافد عليه فقد ورد أن (الحاج وفد الله) ومن وفد إلى الله تعالى في هذه الدنيا جدير أن يفِد عليه تعالى بالكرامة في الآخرة، ولا يضيّع الله زيارته في الدنيا، ويرزق لقاءه وهو غاية مرام العارفين. فمن اشتاق إلى لقاء الحبيب اشتاق إلى ما يوصل للقائه، والحج يرجى منه أن يكون سبباً لذلك.

ثالثاً: إن المحب الحقيقي يحب ويشتاق إلى كل ما له علاقة ونسبة إلى محبوبه، ولو دققت لوجدت أن المحبّ يغضي حتى عن الأمر القبيح المتعلق بمحبوبه بل قد يصوره جميلاً (عين الرضا عن كل عيب كليلة) (من عشق شيئاً أعشر بصره، وأمرض قلبه)[1].

(١) نهج البلاغة خطبة ١٠٨ من خطب الملاحم.

فقد تستحسن شيئاً من محبوبك يراه الآخرون غير حسن بل قد يتعجبون منك حيث استحسنته.

فواقعاً من أحب شخصاً أحب متعلقاته وشؤونه وملابساته فتراه يحب على سبيل المثال طريقة كلامه، وطريقة مشيه، وبعض حركاته، ومقتنياته المخصوصة به.. الخ. هذا في علاقة المخلوق بالمخلوق مع شوب النقص والعيوب واكتنافها الإنسان، ولكن هو منطلق لا بأس به لتقريب فكرة حب ما يُنْسَب إلى الخالق تعالى.

فمن أحب الله تعالى أحب ما إضيف إليه، ونسب إلى ذاتِهِ المقدسة، والبيت الحرام قد نسبه الله تعالى إلى نفسه، فكيف لا يحبه المؤمن وتتوق نفسه لِلَثْمِ أعتابه، والتمرغ في فنائه المقدس.

فهذا دافع شوق للحضور عند بيت الله تعالى.

فمن تفهم هذه الحقائق كان دافعه لحج بيت الله الحرام غير مقتصر على مجرد أداء واجب وخروج عن عهدة التكليف.

بل سيكون لحجه صورة معنوية وحقيقة عرفانية راقية.

رزقنا الله تعالى النفوذ إلى حقائق الأمور والغوص في كنه العبادات المعنوية.

٩ ـ أصل مهم في مناسك الحج ومقدماته

إن ما يميز المؤمن باليوم الآخر عن غيره أنه يربط قوام أمره وصلاحه بكلا الدارين، فدائماً معادلة الفلاح أو الخسران عنده ذات بعدين لا بد من تقييمها بلحاظهما معاً وهما الدنيا والآخرة، فلو كان فائزاً بمنظار الدنيا وغير محمود بلحاظ الآخرة لا يعد نفسه مفلحاً.

وأما الآخرون فيعلمون ظاهراً من الحياة ويعدّون النجاح الآني الظاهري في الدنيا فوزاً.

وقد أمر النبيﷺ بالإعراض عن هذا القسم من الناس حيث قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾.

وهناك آيات كثيرة تشير إلى أن المؤمن عليه أن يضع دائماً بحسبانه حساب الآخرة ولا يغفل عنه وإلا فسيكون ضالاً عن سواء السبيل ومن هنا نجد الإسلام يذكرنا في كل مناسبة بذلك المصير الذي هو الحياة الحقيقية ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

فالدار الآخرة هي الحياة الحقيقية التي ينبغي لبني البشر أن يسعوا إليها، وإن الانشغال بالدنيا القريبة وبالمحسوس المأنوس يجعل المرء

بحاجة دائماً للتذكير بتلك الدار، لأن الدنيا تجعل الإنسان في غفلة وغرور (لقد كنت في غفلة من هذا).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [فاطر: ٥].

وحتى في المناسبات التي هي مناسبات فرح قد يثير عجبك أن الأئمة عليهم السلام يذكّروكَ بيوم القيامة ومحطاته.

فانظر إلى خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم عيد الفطر حيث يقول عليه السلام:

«أيها الناس إن يومكم هذا يوم يثاب فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون، وهو أشبه بيوم قيامكم، فاذكروا خروجكم من منازلكم إلى مصلاكم خروجكم من الأجداث إلى ربكم، واذكروا بوقوفكم في مصلاكم وقوفكم بين يدي ربكم، واذكروا برجوعكم إلى منازلكم رجوعكم إلى منازلكم في الجنّة..».

فالناس الذين اطمأنوا بالحياة الدنيا ورضوا واستأنسوا بها يتعجبون عندما يسمعون هذا الخطاب وهذا التشبيه من أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك اليوم الذي هو يوم فرح وسرور، يوم عيد، لأنهم كانوا يتوقعون كلاماً من سنخ المناسبة، ناسين الطرف الآخر للمعادلة الواقعية لبني آدم ولكن أئمة الآخرة لا يغفلون قط عن ذلك البعد الذي هو الأصيل عندهم ولا يفتؤن يُذكِّرون الناس به في كل مناسبة سانحه وخاصة المناسبات ذات الشأن، فيشبه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يوم العيد بيوم القيامة. من حيث إنه يوم إثابة للمحسنين وخسران للمبطلين.

ويحثّ المؤمنين على تذكر خروجهم من القبور إلى ربهم عندما يخرجون من بيوتهم إلى صلواتهم، وتذكر الوقوف بين يدي الله تعالى عندما يقفون في مصلاهم، وذكر منازلهم في الجنة عندما يقفلون راجعين إلى منازلهم.

ومن الطبيعي إذن أن تكون عبادة عظيمة كالحج إلى بيت الله الحرام

بدءاً من مقدماته كالسفر ومحطاته، ومروراً بكل نسك من مناسكه إلى أن يتمها المؤمن ويقفل راجعاً إلى دياره من الطبيعي أن تكون هكذا عبادة سياحةً للمؤمن في عالم الروح والآخرة، وتطواف في أفق المعنى، وتذكر للسفر إلى الله والآخرة ومحطاته.

وذلك روح العبادة حيث إن المرء يجد نفسه الواقعية بعد غوصه في عالم الخيالات الدنوية وإيغاله في الاعتبارات الزائفة.

فإنه يعود إلى تذكر تلك المعادلة التي لا مفرّ منها، (المعادلة ذات البعدين) ويخرج من انغماسه في البعد الدنوي وتلتفت نفسه إلى ذلك العالم العلوي الذي مآله إليه.

وعندها سوف يعيد النظر في حساباته، ويسعى لأن يستدرك ما فاته وما قصر به نتيجة الغفلة والغرور قبل فوات الأوان.

ويطلب من الله المغفرة ويصمم على أن يعدّل في سلوكه كل ما كان مائلاً إلى دفة الدنيا من دون اعتناء بالحياة الحقيقية.

فهذه إحدى الغايات المقدسة للعبادات التي من لم يصل إليها كان محروماً من اللب راضياً بالمظهر والقشر.

وستجد كثيراً من كلام المعصومين عليهم السلام في كل مورد، وفي كل محطة، وفي كل منسك يرجعك إلى هذا الأصل وإلى هذه الغاية غاية الربط بالآخرة وتذكر محطاتها والحث على الاستدراك والاستعداد قبل حلول الفوت، والسمو والعروج بالروح في مدارك الكمال والتجرد والعرفان، وستكون هذه الغاية وهذا المقصد هو خلفية الآداب المعنوية لعبادة الحج ومقدماتها. بدءاً من الخطوة الأولى للتهيئة والاستعداد للسفر.

فعن إمامنا الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة:

«.. واعلم أن الله تعالى لم يفرض الحج ولم يخصه من جميع الطاعات بالإضافة إلى نفسه بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، ولا شرع نبيه صلى الله عليه وآله سنة في خلال المناسك على ترتيب ما

شرعه. إلا للاستعداد والإشارة إلى الموت والقبر والبعث والقيامة، وفضل بيان السبق من دخول الجنة أهلها ودخول النار أهلها، بمشاهدة مناسك الحج من أولها إلى آخرها، لأولي الألباب وأولي النهى».

وقال القطب الراوندي في لب اللباب: «روي أن أحوال الحج كأحوال الموت: فكما يكتب الإنسان وصيته عند الموت كذلك عند الحج، وكما يركب راحلته فكل امرئ سيركب كارهاً على النعش أعناق العدى والأقارب، وإذا دخل البادية فكأنما أدخل قبره، والاغتسال للإحرام كغسل الميت، ولبس ثياب الإحرام كالكفن، وإذا خرج من الميقات فكأنه نشر من قبره، والتلبية إجابة الدعاء، ويرى أشعث أغبر فكأنه خرج من قبره، وكلما سلك عقبة يذكر عقبات يوم القيامة لعله يكفاها»[1].

(١) مستدرك الوسائل ـ الميرزا النوري ج١ ص١٧٤.

الفصل الثاني

آداب سفر الحج المعنوية والسلوكيّه

١ ـ الحقائق القلبية والآداب المعنوية لسفر الحج ومقدماته

٢ ـ كيف ينبغي للحاج أن يكون في سفره
(الآداب السلوكيّة لسفر الحج)

الفصل الثاني
١ ـ الحقائق القلبية والآداب المعنوية لسفر الحج ومقدماته

ينبغي للمسافر سفر الحج أن يستحضرفي نفسه سفَرَه إلى الآخرة بكل مراحله وأحواله ومحطاته. وسأذكر الآداب المعنوية لذلك ضمن الأحوال التالية:

أولاً: عندما يبدأ بتصفية الحسابات التي منها رد الحقوق، وتلافي التقصير، وكتابة الوصية، وقطع العلائق، والاستعداد للتوديع والسفر، عليه أن يتذكر سفر الآخرة، وانتقاله من نشأة إلى نشأة، من النشأة الأولى إلى النشأة الآخرة ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾، فإن الإنسان إذا عجز أو مرض مرض الموت تراه يصفي حساباته إن كان عاقلاً سواء مع ربه أو مع العباد، فإذن هناك قاسم مشترك بين السفرين، سفر الحج وسفر الآخرة وليحقق في نفسه ذاك العزوف عن الدنيا والإقبال على من سيسافر إليه فإنه سيسافر إلى الله فالحاج وفد الله وضيوف الرحمن، وكذلك في السفر إلى الآخرة سيرجع إلى ربه ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ وليتمثل قول إبراهيمعليه السلام في قلبه: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾.

ثانياً: فليعلم أن هذا السفر (وهو سفر الحج) هو أحد أسباب تيسير وتسهيل سفر الآخرة، فبقدر ما يتقن العبد التوجه القلبي والمعنوي في هذه العبادة بقدر ما يسهل على نفسه عظائم الأمور في طي طريقه إلى الله تعالى فانظر إلى أبي ذر (رض) كيف يصف الحج بما هو مسهِّل لعظائم الأمور وبما هو زاد مبلّغ لسفر الآخرة فعندما ورد مكّة وقف قرب البيت وقال: لو أن أحداً أراد سفراً لهيأ لنفسه من الزاد ما يصلحه. فسفر الآخرة ألا تريدون ما يصلحكم؟ فقام إليه رجل وقال: أرشدنا.

قال أبو ذر (رض): «**صم يوماً شديد الحرّ للنشور، وحج حجة لعظائم الأمور، وصلِّ ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور..**».

فإذن على الحاج أن يستحضر في قلبه في بدء سفره حالة الرجاء والطلب من الله تعالى بأن يجعل سفره هذا سفراً مقبولاً، يسهّل عليه المنازل المهولة في طريق السفر إلى الآخرة.

ثالثاً: عند تهيأته للزاد، واختياره الطعام الذي لا يفسد طيلة الطريق بالعوامل المغيّرة، عليه أن يتذكر زاده إلى الآخرة ويحرص على أن يكون لا يتغير ولا يفسد طيلة السفر، مع أن سفر الآخرة أطول، ومحطاته المخفوة المهولة لا يصمد عندها إلا الزاد الخالص المصفى.

ـ فما هو هذا الزاد؟

إنه التقوى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾.

ـ وكيف يكون خالصاً مصفّى؟

عندما يكون ليس فيه شائبة الرياء، ولا آفة السمعة، ولا حب الدنيا، ولا التقصير، ولا الغفلة عن الله تعالى واللهو عن طاعته...

فهذا الذي يحمله معه ويستديم ويكون سبباً منجحاً لدخوله الجنّة. وكل ما دون العمل الصالح والتقوى مع إخلاص النية سيتخلف عن الإنسان عند الموت ويخذله ويبقى وراءه، ويتركه يجر حسراته، ويتجرع غصصه، ولات حين مناص، ولات حين مندم.

وكما أن مغلفات الأطعمة تفرغ من الهواء كي تدوم ولا تفسد.

كذلك قلب العبد ينبغي أن يفرغ من الهوى (هوى النفس) كي يبقى العمل الصالح المنبعث عن القلب الذاكر مستديماً إلى ما بعد الموت ويسير مع صاحبه قاطعاً العقبات المهولة إلى أن يستقر في جنة المأوى.

«وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى».

رابعاً: عندما يريد أن يغادر الديار ويودع العائلة والأولاد والأهل

والأحبة فليتذكر تلك الساعة التي يتيقن فيها من مغادرته للدنيا ويلتف حوله الأهل والأحبة، فألم الفراق والوداع مع أمل اللقاء قريباً، أهون بمراتب بل لا يكاد يقاس بألم الوداع وحسرة الفراق الذي لا لقاء بعده إلا في الآخرة.

وليحرص على أن تكون تلك الساعة الأخيرة من حياته ساعة قد صفّى فيها حساباته مع الله ونفسه مطمئنة بتلبية نداء ربها ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾.

خامساً: عندما يركب وسيلة السفر فليتذكر وسيلة نقله إلى القبر وهي الجنازة التي يحمل عليها، وليجتهد أن يكون سفره في هذه الوسيلة إلى الحج صالحاً لزاد ذاك السفر الذي وسيلته النعش المحمول على الأكف، وليقصر أمله ولا يستبعد مدة ذاك السفر إلى الله فلعله قريب وهو لا يدري.

وليستحضر كونه مهاجراً إلى الله فإن أجره يقع على الله تعالى حتى لو مات في الطريق.

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

فإذن هذا سفر ليس كأسفار الدنيا فلا بد أن يحضر في قلبه ماذا يقصد ويريد وإلى أين يتوجه، ومن يزور.

فهو متوجه ليس إلى المَلِك الدنيوي بل إلى جبار السماوات والأرض.

فقد لبّى النداء مع مَن لَبّوا، وأجاب مع من أجاب، فهو مشتاق مفارق للخلائق متوجه إلى رب الخلائق، إلى البيت الذي نسبه الربّ تعالى إليه على أمل بلقاء الله تعالى رب البيت في الآخرة.

وليكن الرجاء في قلبه للقبول وأن الله تعالى لا يخيب الوافدين عليه، وأنه يريد أن يتحول إلى حياة جديدة خالية من كل ما يسخط الله تعالى.

سادساً: **في محطات سفره ضمن طي الطريق إلى الميقات**، وما يلاقيه من مشقات وألم انتظار، وتغير حياته عليه.

فليتذكر محطات السفر المهول من الموت إلى النشور والوقوف للحساب بين يدي الله تعالى، يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«فإن أمامكم عقبة كؤودا ومنازل مخوفة مهولة لا بد لكم من المرور عليها والوقوف عندها».

وليخطر في نفسه ألم ذاك الانقلاب والتحول حيث انتقال روحه من نشأة إلى نشأة. اللهم أعنا وارحمنا فأملنا يا رب برحمتك ورأفتك.

٢ ـ كيف ينبغي للحاج أن يكون في سفره

إن من أراد أن يكون حجه متكاملاً في الثواب، ومتسامياً في الدرجات عليه أن يتحلى بالمناقب والآداب مع من يخالطهم ويسافر معهم.

وبقدر ما يخل بذلك ينقص من درجة كمال حجّه.

ونأسف لبعض الحجاج الكرام الذين ضحوا، وبذلوا، وسافروا، أنهم يرتكبون بعض التصرفات غير الأخلاقية، وردات الفعل والعصبية، ولم ينفتلوا بعد من إتمام مناسكهم المقدسة، فيفسدوا توجهاتهم القلبية ويخسروا الكثير من حسناتهم ومثوباتهم، بل قد يقعون في المعاصي (نعوذ بالله) وذلك إما للجهل بما يريده الشرع منهم، ويحث عليه النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام من آداب وحسن تعامل وجميل سيرة.

وإما لأن أنفسهم قد عصيت عليهم فأصبحت تغلبهم في غضبياتها وأهوائها، لذلك سأذكر أهم الآداب التي على الحاج أن يتمثلها في سفره من خلال إرشادات المعصومين عليهم السلام والحكماء، وذلك كي يرتفع الجهل الذي قد يكون مانعاً للكثير من تطبيقها.

ـ الشعور الجماعي:

فأولاً: ينبغي أن يتحسس الشعور الجماعي، ولا يكن سلبياً منعزلاً عن القافلة، متسربلاً بأنانيته ومنطوياً على نفسه.

فإن أفراد القافلة عندما يجتمعون وينطلقون يتحولون إلى قطعة واحدة بل يكونون كالعائلة الواحدة التي لو جرى شيء على واحد منها أثر على

الجميع، فمثلاً لو مرض أحد ولم يستطع متابعة المسير تجد أن القافلة كلها تأخرت، ولو حصل إشكال على حدود البلد أو في وثائق السفر لأحد الأفراد تجد هذا ينعكس انتظاراً وتأخيراً على الجميع، وكل فرد معرّض للإصابة بنكسة معينة في السفر، فإذن لا بد من الشعور الجماعي، فهناك وحدة في كثير من الأمور ستجمع هؤلاء الحجاج.. متى سيتوقفون للصلاة.. المكان الذي سيصلون فيه.. مكان الإقامة والسكن.. قريب.. بعيد.. مريح.. متعب.. متى النزول إلى الحرم.. أداء المناسك غالباً يكون فيه ترابط هذا يسأل ذاك هل أنهيت الطواف.. هل أتممت كذا.. يدعون لبعضهم.. يهنئون بعضهم عند إتمام عمل ومنسك.. تقبل الله.. مبارك لك ما أديت من عبادة..

تعبهم مع بعض ثم عودتهم وراحتهم تكون متحدة في الزمن..

هذه المجموعة من البشر التي يجمعها وحدة المصير في هذه الرحلة الربانية المقدسة يجب أن يراعى فيها شعور الإلفة والمحبّة والتضحية والإيثار وحب المعونة.. وهذا لا يقدر عليه شخص سجنته نفسه وراء قضبان الأنانية والفردية وحب الذات.. بل يحتاج إلى الحد الأدنى من المناقبية وسعة الخلق، ورحابة الصدر، والإحساس بالمحبّة للآخرين، ومن هنا تنطلق الآداب الآتية التي أكّد عليها أهل البيتعليهم السلام والحكماء.

ـ المعونة للآخرين:

ثانياً: أن يكون الحاج معواناً على الخير في سفره وإقامته، ساعياً في قضاء حوائج المؤمنين.

فعن رسول اللهصلى الله عليه وآله: **«من أعان مؤمناً مسافراً فرّج الله عنه ثلاثاً وسبعين كربة، وأجاره في الدنيا والآخرة من الغم والهم، ونفس كربه العظيم حيث تشاغل الناس بأنفسهم»**[1].

انظر يا أخي إلى هذا الثواب العظيم والمكافأة الكبيرة لمن يعين مؤمناً مسافراً فكيف إذا كانت وجهته بيت الله الحرام.

---

(١) راجع الوسائل (الإسلامية) ج٨ ص٣١٤.

فاسعَ في سفرك العبادي هذا أن تكون معيناً للمؤمنين، قاضياً لهم حوائجهم، منفساً عنهم كرباتهم، مزيحاً للهموم عن نفوسهم، وخاصة من كان منهم عاجزاً، أو ضعيفاً، أو مريضاً، أو لا خبرة له في شؤون السفر، فلو أنك حملت عنه متاعاً قد ناء بحمله، أو دللته على أمر قد احتار في طلبه، أو هديته إلى مكان قد ضل الطريق إليه، إلى غير ذلك.. فإنك ستنال بذلك ثواباً عظيماً ودرجة رفيعة عن خالقك (عز شأنه) فعن إمامنا الصادق عليه السلام

قال: كان علي بن الحسين عليه السلام لا يسافر إلا مع رفقة لا يعرفونه، ويشترط عليهم أن يكون من خدام الرفقة فيما يحتاجون إليه.

فسافر مرة مع قوم فرآه رجل فعرفه، فقال لهم: أتدرون من هذا؟ قالوا: لا.

قال: هذا علي بن الحسين عليه السلام، فوثبوا إليه فقبلوا يديه ورجليه.

فقالوا: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أردت أن تصلينا نار جهنم، لو بدرت إليك منا يد أو لسان أما كنا قد هلكنا آخر الدهر؟

فما الذي حملك على هذا؟

فقال عليه السلام: إني كنت سافرت مرة مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله صلى الله عليه وآله ما لا أستحق، فأخاف أن يعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحبّ إليّ[1].

سبحان الله.. يا أهل بيت رسول الله أنتم والله أصول الكرم ومحتد الأخلاق، ومنبع الإنسانية الزاخر بنور المناقبية والمعارف.

إمام معصوم يختار قافلة لا أحد يعرفه من أفرادها، ويشترط عليهم أن يكون من خدام الرفقة فيها فيما يحتاجون إليه.

فهنيئاً لمن يتأسى بسيرتهم، ويقتفي آثارهم، ويهتدي بهديهم، فصَوِّر

---

(١) وسائل الشيعة (الإسلامية ج٨ ص٣١٥.

أيها الحاج الفاضل صورة إمَامِك زين العابدين عليه السلام في قلبك وهو في تلك القافلة يقدم العون لأصحابها ويقوم بمساعدتهم وقضاء حوائجهم، وهم لا يعرفونه، ثم حاول أن تقتدي به وتنهج نهجه في ذلك. وحاول أن تنفض غبار الأنانية عن قلبك، وأن تعيش حياة الجماعة، وعوّد نفسك الفرح والسرور عند إيصال مؤمن إلى حاجته وعند إسعاد إنسان وتنفيس كربة عنه.

ـ التغاضي والترفع عن سفائف الأمور:

ثالثاً: على المسافر إلى بيت الله الحرام أن يتحلى بالأخلاق الحميدة وسعة الصدر، وشدة التحمل، والتغافل والتغاضي وعدم الوقوف عند الجزئيات، والتسامح، والرفق، يقول الإمام الصادق عليه السلام للمعلى بن خنيس: «**عليك بالسخاء وحسن الخلق، فإنهما يزينان الرجل كما تزين الواسطة القلادة**»[1].

وورد في الرواية: «**تخلقوا بأخلاق الله**».

وفي أخرى: «**إن الله يترفع عن سفائف الأمور**».

فالنتيجة أن من أراد أن يتخلق بأخلاق الله عليه أن يترفع عن سفائف الأمور، وهي الأمور الجزئية والتفصيلات التي لا قيمة لها، فالكريم يمرّر بعض الكلمات التي قد يسمعها، أو بعض المواقف التي قد تصدر من الآخرين تجاهه سواء كانوا معه في القافلة، أو قابلهم في مسيره، دون أن يقف عندها.

وليلتفت الحاج دائماً إلى هدفه الأسمى وغايته المقدسة من هذا السفر فإن البعض ينسى أو يغفل عن أنه وافد على الله في بيته، وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، فهو في كنف الله وضيافته وعلى الضيف أن يكون متأدباً بآداب الضيافة.

وهو في المكان المقدس، والزمان الفضيل، وأعماله ومناسكه التي

---

(١) الوسائل (الإسلامية) ج٨ ص٣١٨.

يؤديها مقدسة، وسفره منذ البدء هو مقدس لأنه هجرة إلى الله.. فما عليه إلا أن يتنبه ويذكر نفسه من حين لآخر بهذه الحقائق ليتعالى عن كل المضايقات، وعن كل الأمور الصغيرة، ويتسع صدره لمن معه فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن «**السفر ميزان الأخلاق**». فالمرء في سفره هذا يضع أخلاقه في الميزان، فيعرف كما هي أخلاقه، هل هي ثقيلة في الوزن المعنوي، أم خفيفه فيه.

وليتذكر دائماً أن «**المؤمن أعظم حرمة من الكعبة**» كما ورد عن أئمتنا عليهم السلام، فإذا طاف الحاج بالكعبة المشرفة، ثم خرج وأساء خلقه فآذى مؤمناً، فأي ثواب يبقى له، وللأسف إن البعض ليرتكبون أذية المؤمنين حتى بجوار الكعبة لضيق صدورهم وعدم تحملهم، فتخرج من أفواههم كلمات أو يتصرفون تصرفات لا تليق بالمكان الذي جعله الله للناس قياماً.

وصَدَق أئمتنا عليهم السلام حيث قالوا: «**من لم يكن له خلق لم يقم له عمل**».

فإن سيء الخلق لا يبقي على عمله بل يفسده بعض الأحيان قبل أن يبرح مكانه.

ـ بذل الزاد:

رابعاً: من المروءة في السفر: تكثير الزاد، وطيبه، وبذله لمن يكون، فإن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «**المروة مروتان، مروّة في الحضر ومروة في السفر... أما التي في السفر:**

فكثرة الزاد وطيبه وبذله لمن كان معك، وكتمانك على القوم أمرهم بعد مفارقتك إياهم، وكثرة المزاج في غير ما سخط الله، ثم قال عليه السلام، والذي بعث جدي صلى الله عليه وآله بالحق نبياً إن الله عز وجل ليرزق العبد على قدر المروة، وإن المعونة تنزل على قدر المؤنة، وإن الصبر ينزل على قدر شدة البلاء»[1].

(١) الوسائل (الإسلامية) ج٨ ص٣١٧.

فالرواية تعرض لعدة آداب، في السفر الأول مشتق من السخاء عند المرء، وهو صفة يحبها الله ورسوله، من أخذ بها أخذ بحظ وافر من الأخلاق، فالله تعالى يحب إطعام الطعام وبذل الزاد وتكثيره وتطييبه طبعاً كل إنسان بحسبه، وبما يتيح له وضعه المادي.

يقول لقمان لابنه معلماً له آداب السفر: «**وكن كريماً على زادك بينهم**» «.. **واستعمل سخاء النفس بما معك من دابة أو ماء وزاد..**».

ـ **خامساً**: من آداب السفر (**المزاح في غير ما يسخط الله تعالى**).

ولعلى السبب في استحباب المزاح في السفر هو أن السفر شاق عادة وممل لما فيه من انتظار وتصبر للوصول إلى المقصد، وهذا الواقع يحتاج إلى ما يروّح عن النفس ويبعث فيها الحيوية والنشاط ويرفع ألم الانتظار وملل الطريق، ووحشة الغربة عن الأهل والوطن.

والمزاح مما يفي بقسط من هذا الدور.

ولكن الإمام عليه السلام شرط أن يكون المزاح في غير ما يسخط الله تعالى فماذا يعني ذلك؟ يعني أن المزاح المستحب له عدة شروط وقيود:

الشرط **الأول**: يجب أن لا يكون المزاح مشتملاً على فحش في الألفاظ فالكلام الذي فيه فحش وألفاظ نابية وغير أخلاقية مسخط لله تعالى.

الشرط **الثاني**: يجب أن لا يكون المزاح مشتملاً على ما يؤذي الآخرين ويحقرهم وينزل من قدرهم. وإلا أورث الضغينة في القلوب بدل أن يجلب الارتياح والترفيه عن النفس.

والعجب من البعض الذي يثقل المزاح ويؤذي أخوانه وإذا طالبته بذلك وقلت له لماذا هذا النوع من المزاح قال: هذا من باب إدخال السرور!!

عجباً أنت تؤذي بطريقتك تلك زملاءك وأصحابك فكيف تتذرع بإدخال السرور، فهل يجتمع السرور والأذية معاً؟!!

الشرط **الثالث**: يلزم أن لا يكون المزاح والتفكه بأعراض الآخرين وكراماتهم من خلال الغيبة والسخرية والمحاكاة (أي تقليد الآخرين سواء

لفظاً أو بالحركات)، وإلا لتحول إلى مزاح يسخط الله تعالى.

الشرط **الرابع**: يجب أن لا يتضمن المزاح كذباً وباطلاً، فقد ورد عن النبيﷺ أنه كان يمزح ولكن بحق.

ـ **سادساً**: من آداب السفر **(قلة الخلاف على من صحبك)** كما في رواية الإمام الصادقعليه السلام.

وقد ورد **(أن شرط الصحبة الموافقة)**.

والموافقة يقابلها كثرة الخلاف والمشاكسة.

فالشخصية المشاكسة تجلب النكد والمقت على من تصاحب.

بعكس من كان لين العريكة، خافض الجناح، قريباً، سهلاً، فإنه يجلب الأنس واليمن والسكينة والطمأنينة لمن يصاحب.

وعلى العموم من كان يجد في نفسه طبيعة المشاكسة وحب المخالفة لكل شيء يسمعه أو يطرح من قبل الآخرين فعليه أن يصلح هذه الخصلة في نفسه، وخاصة عليه أن يلتفت إلى نفسه في حال الاجتماع والتلاقي مع المؤمنين وبالأخص في السفر.

ومن أسباب المشاكسة وحب المخالفة حب إثبات الذات، ولفت النظر، والشعور بالأهمية، وهذا غالباً ينشأ إما من ضعف ثقة في النفس، أو لتربية فاسدة.

يقول لقمان في آداب السفر مخاطباً ابنه: «.. **وإذا رأيت أصحابك يمشون فامشي معهم، وإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم، وإذا تصدقوا واعطوا قرضاً فأعط معهم... وإذا أمروك بأمر وسألوك شيئاً فقل: نعم، ولا تقل: لا، فإن «لا» عيٌّ ولؤم... وإذا دعوك فأجبهم وإن استعانوا بك فأعنهم..**».

ليس معنى الموافقة هو عدم التشاور في الرأي، أو كون الإنسان لا رأي له، كلا فإن لقمان يقول: «**إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك وأمورهم..**». فالتشاور لازم للوصول إلى الخيارات الملائمة

والمناسبة للجميع، ولكن لو وصل الأمر إلى أنه لم يقتنع الطرف الآخر بفكرتك فهنا نقول الأولى أن لا تخالف بل توافق أترابك ما دامت المسألة غير مصيرية، وما دامت غير مشتملة على معصية لله تعالى.

فهنا إن كنت موافقاً كنت محموداً. بعكس ما لو أصررت على ريك وأفسدت الصحبة، وعكرت صفو الرفقة.

ـ **سابعاً**: من آداب السفر «**أن لا ينفرد المرء عن أصحابه، ولا يكون اتكالياً**»:

فالأخلاق الإسلامية تعلمنا أن نعين الآخرين ونخفف عنهم، لا أن نلقي كلّنا علينا، وأقلها أن نكون منصفين تتوزع الأدوار علينا بالسوية، دون أن يكون العبء على البعض دون البعض الآخر.

ـ النبيﷺ يجمع الحطب:

وهذه سيرة نبينا الأكرمﷺ أسوة لنا، فقد كانﷺ مع أصحابه في مسير فما أن ترجلوا وخففوا عن مراكبهم أحمالها حتى استقر رأيهم على أن يذبحوا شاة ويعدّوها غداء لهم.

فقال أحدهم: «عليَّ ذبحها».

وقال آخر: «عليّ سلخها».

وقال ثالث: «علي طبخها» وقال رابع: ...».

فقال النبيﷺ: «أما أنا فعليَّ جمع الحطب».

فقال الأصحاب: «نحن نكفيك ذلك يا رسول الله».

قالﷺ: «**إني أكره أن أتميز عنكم، فإن الله تعالى يكره أن ينفرد ويتميز العبد عن أصحابه**».

ثم قامﷺ وجمع مقداراً من الحطب وأتى به[١].

(١) قصص الأبرار للشهيد المطهري نقلاً عن كحل البصر ص٦٨ (بتصرف).

ـ **ثامناً**: من آداب السفر (**طلاقة الوجه وكثرة التبسم. وعدم التجهم والعبوس**).

قال لقمان: (**وأكثر التبسم في وجوههم**).

إن البشاشة والتبسم يشيعان الشعور بالمودة يقول سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام: «**البشاشة حبالة المودة**».

ويقول أحد علماء الاجتماع والنفس المرموقين: **إذا تبسمت بوجه شخص فكأنك تقول له إني أحبك، وإني راضٍ عن رؤيتك ولقياك**.

فالسفر يحتاج إلى كل ما يذهب الانقباض عن القلب، ويجلب الارتياح والأنس والانبساط في أفق النفس. وهذا ما تفي به تلك البسمة المشرقة التي ترسمها على ثغرك من دون كلفة ومؤونة فإنها تترك تلك الآثار النفسية الرائعة في سماء النفس.

وقد ورد في صفات المؤمن أنه (**هشاش بشاش، بسّام وليس بعباس..**).

وفي رواية: **المؤمن دعب لعب والمنافق قطب غضب**.

ـ **تاسعاً**: من آداب السفر «**طول الصمت**».

قال لقمان: (**واستعمل طول الصمت**).

وفي رواية أنه قال: «**واغلبهم بثلاث: طول الصمت، وكثرة الصلاة، وسخاء النفس...**». وليس المقصود بالصمت هنا الصمت السلبي، الذي يجلب الوجوم والوحشة، بل الصمت الإيجابي الذي يكون مع كثرة التبسم في وجوههم، وإعانتهم ونصحهم وإرشادهم، أي الصمت عن الهذر والغوغاء والسفه والطيش لأن الكلام في هذه الأمور تسبب التنازع والخصومة التي تمرض القلب على الإخوان، وبالإجمال على المسافر أن يكون منفتحاً انتفاحاً واعياً على أصحابه في سفره، ليكون مصدراً لكل راحة وطمأنينة في النفس، ومبعداً لكل وحشة ومنازعة، معيناً على الخير، ناصحاً يبذل جهده لإرشاد من يصحبهم في سفره ويمد إليهم يد العون والمساعدة، وبالمقابل يكون صامتاً عن اللغو وما لا ينفع بل قد يوقع في

مطبات النزاع والأذية للآخرين. فإن «**الصمت حكمة والسكوت سلامة**».

ـ **عاشراً**: الأدب العاشر للمسافر في سفره: **الكتمان على القوم أمرهم وعدم الرواية عليهم بعد مفارقتهم**.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «.. **وترك الرواية عليهم إذا أنت فارقتهم**»[1].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: «.. **وكتمانك على القوم أمرهم بعد مفارقتك إياهم**..»[2].

وعنه أيضاً عليه السلام: «**ليس من المروة أن يحدث الرجل بما يلقى في السفر من خير أو شر**»[3].

حقيقةً ليس من المروءة ما يقوم به البعض من تحديثٍ في كل ما جرى معهم في سفرة الحج وغيرها بعد رجوعهم إلى ديارهم، فيتناولون من صَحِبَهم متتبعين عثراتهم، ومحصين عليهم زلاّتهم، وخاصة إذا كان هذا مع التعيين والتسمية للأشخاص.

وقد يدخل هذا في عداد المحرّمات بعناوين متعددة كالغيبة. والتوهين والتحقير للمؤمنين وغير ذلك..

وإذا لم ينطبق عليه عنوان محرّم فأقل ما يصدق عليه أنه مخالف للمروءة، فإذن عندما يرجع الحاج من سفره الإلهي المقدس عليه أن يبقى محافظاً على طهارته وصفائه، ولا يكدّر قلبه ونفسه بمثل هذه الأحاديث والاسترسالات الكلامية التي لا تنفع بل تضرّ مروءته وقد تضرّ دينه، وخاصة عندما يأتي إليه المهنئون والمباركون له حجّه.

فليحدثهم عن الأمور الخيّرة المقربة من الله تعالى.

ولا يكن كالبعض ممن حرموا المقامات المعنوية وكان شغلهم

---

(١) الوسائل (الإسلامية) ج٨ ص٤٢٠.
(٢) المصدر ج٨ ص٣١٧.
(٣) المصدر ص٣١٨.

الشاغل القيل والقال والتفاصيل والجزئيات التي حدثت في الطريق وفي محلّ الإقامة و. . و. . نسوا تلك المقامات الروحية والأمكنة المقدسة. . وبقي منقوشاً في أذهانهم فقط ماذا فعل فلان وماذا قال فلان فهذا في الحقيقة خذلان وحرمان من مواهب الرب الديان.

الصديق قبل الطريق:

من الأمور المهمة والمؤثرة في روحية الحاج المسافر إلى بيت الله الحرام الصديق والصاحب، فبالتجربة ثبت أن التوجه القلبي الروحاني في الصديق يؤثر في صديقه، وبالمقابل إذا كان الصاحب عاكفاً على الأمور الدنيوية ويؤدي مناسكه مظاهر خالية عن المضامين فإن صاحبه سيتأثر بتوجهه لا محالة ولو بنسبةٍ ما.

لذلك أوصى العلماء والحكماء أن يتخير الحاج صاحباً تقياً صالحاً يحب الخير ويعين عليه، ويكون بحيث إذا نسي ذكّره، وإذا ذكره أعانه، تُذكِّر بالله رؤيتُه، ويزيد في عمله منطقُه، ويرغِّبُ في الآخرة عملُه.

ومن إرشادات أهل البيت عليهم السلام في المصاحب مراعاة الجنبة المالية، ومستوى الغنى والفقر، فيستحسن أن تصحب من هو في مرتبتك دون من هو أغنى منك بكثير وإلا وقعت في أحد محذورين كما يقول إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تصحب في السفر غنياً، فإنك إن ساويته في الإنفاق أضرّ بك، وإن تفضل عليك استذلك**».

طبعاً هذه القاعدة العامة، ولكن قد يكون لها استثناءات، فعلى العموم مصاحبة من في طبقتك الاقتصادية ينجيك من المحذورين الآنفين.

ـ وصية لقمان بشأن آداب السفر:

ولا بأس بذكر رواية الإمام الصادق عليه السلام فيما يتعلق بوصية لقمان لابنه مرتبةً بشأن آداب السفر: «**إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك وأمورهم، وأكثر التبسم في وجوههم، وكن كريماً على زادك بينهم، وإذا دعوك فأجبهم، وإذا استعانوا بك فأعنهم، واستعمل طول الصمت، وكثرة الصلاة، وسخاء النفس بما معك من دابة أو ماء وزاد، وإذا استشهدوك**

على الحق فاشهد لهم، واجهد رأيك لهم إذا استشاروك، ثم لا تعزم حتى تتثبت وتنظر، ولا تُجب في مشورة حتى تقوم فيها وتقعد وتنام وتأكل وتصلي وأنت مستعمل فكرتك وحكمتك في مشورتك فإن من لم يمحض النصيحة لمن استشاره سلبه الله رأيه، ونزع منه الأمانة.

وإذا رأيت أصحابك يمشون فامشِ معهم، وإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم، وإذا تصدقوا واعطوا قرضاً فأعطِ معهم، واسمع لمن هو أكبر منك سناً.

وإذا أمروك بأمر وسألوك شيئاً فقل: نعم، ولا تقل: لا، فإن «لا» عيٌّ ولؤم،. . وإذا نزلت فصلِ ركعتين قبل أن تجلس، وإذا أردت قضاء حاجتك فأبعد المذهب في الأرض، وإذا ارتحلت فصلِّ ركعتين، وودّع الأرض التي حللت بها، وسلّم عليها وعلى أهلها، فإن لكل بقعة أهلاً من الملائكة، فإن استطعت أن لا تأكل طعاماً حتى تبدأ فتصدق منه فافعل، وعليك بقراءة كتاب الله تعالى ما دمت راكباً، وعليك بالتسبيح ما دمت عاملاً، وعليك بالدعاء ما دمت خالياً. . .».

وبالجملة أقول إن السفر ميزان الأخلاق، وقيل سُمّي السفر سفراً لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال، أي يكشف عنها، لما فيه من احتكاك مستمر في غالب التقلبات والأحوال.

وإذا حُكَّ التبرُ على المحكِّ   تَبَيّنَ غُشّه من دونِ شكِ

وقيل لمن ادعى معرفة رجل هل صحبته في سفر، فقال: لا. فقيل إذن ما نراك تعرفه.

وعندما سئل الرسولﷺ ما الحج المبرور قالﷺ: «**طيب الكلام وإطعام الطعام**».

وإلى هنا نختم الكلام عن آداب السفر الظاهرية والمعنوية.

الفصل الثالث

الآداب المعنوية
والأسرار الملكوتيه للمناسك ومقدماتها:

- الآداب المعنوية للنزول في الميقات والتجرد عن مخيط الثياب.
- الآداب المعنوية لغسل الإحرام.
- الآداب المعنوية للبس ثياب الإحرام.
- الآداب المعنوية لصلاة ما قبل الإحرام.
- الآداب المعنوية لنيّة الإحرام.
- الآداب المعنوية للتلبية واسرارها.
- أدب دخول الحرم ومكة المكرمة.
- أدب رؤية البيت الحرام (الكعبة).
- الآداب المعنوية للطواف واسراره.
- استلام الحجر آدابه واسراره.
- التعلق باستار الكعبة، والإلتصاق بالمستجار.

- الصلاة عند مقام ابراهيم.. آدابها واسرارها.
- الإشراف على زمزم والشرب من مائها.. آدابها واسرارها.
- الآداب المعنوية والأسرار الملكوتيه للسعي بين الصفا والمروة.
- أدب الخروج إلى منى يوم التروية.
- الوقوف بعرفه آدابه المعنوية واسراره.
- الآداب المعنوية للمزدلفة.
- أدب الوصول إلى منى.
- رمي الجمرات آدابه وأسراره.
- التضحية آدابها وأسرارها.
- الحلق آدابه واسراره.
- أدب الرجوع إلى الحرم.
- بعد الفراغ من المناسك... مستحبات وداع الكعبة.

الآداب المعنوية للمناسك

ليس الناس سواءً في إدراكهم لحقائق العبادات، ومعانيها الروحانية والعرفانية، فعامّة الناس ينصبُّ اهتمامهم على أداء تكاليفهم للوصول إلى براءة الذمة منها والخروج عن عهدتها، وهناك من لم يكتفِ بمجرد إسقاط التكليف عن كاهله بل طلب فهم ما توحي به العبادة من خلفية روحانية ومعنوية، ولكن اكتفى بالإجمال دون نفوذ إلى المداليل العميقة لأجزاء العبادة وشرائطها.

وهنالك الأولياء وأصحاب القلوب الذين يتخذون شكل العبادة وأداءها الظاهرية كمرآة للحقائق المعنوية، تعكس كل حركة أو سكنة فيها أدباً ربانياً، وواقعاً عرفانياً، وعروجاً ملكوتياً، وعبوراً من عالم الظاهر الصُّوَري إلى عالم المعنى والملكوت الأعلى.

رزقنا الله تعالى فيضاً من رشحات تلك القلوب التي تولّى رب العالمين رياضتها، وكساها من نور بهائه حِللاً، وتوجها بمقامات الرفعة كِللاً.

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يرى للناظرينَ
وأجنحة تطير بغير ريش إلى ملكوت رب العالمينَ

والأئمة عليهم السلام أفصحوا عن جملة من حقائق العبادات بما فيها الحج بما يتناسب مع مقامات المخاطَبين، كما ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة وغيره، وما رشح من فيوضات إمامنا السجاد عليه السلام في خطابه مع الشبلي وغير ذلك من أنوار البيت المحمدي التي بثها أهل ذلك البيت عليهم السلام المطهر، الذين هم مشكاة الأنوار العرفانية والمصباح الذي يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء.

ولنشرع مستعينين بحول الله وقوته ببيان بعض تلك الآداب المعنوية لمقدمات ومناسك عبادة الحج المقدسة، علّنا نُكتب ببضاعتنا المزجاة هذه في عداد من خدم على طريق الترقِّي المعنوي لعباد الله المؤمنين، فنكون من الذين نالوا وسام النفع لهم، وهو سبب قوي لنيل محبة الله تعالى: «**الخلق عيال الله وأحب الخلق إلى الله أنفعهم بعياله**».

الآداب المعنوية للنزول في الميقات والتجرد عن مخيط الثياب

اعلم أنك حين تحلّ في الميقات الذي يُفْرَض عليك أن تحرِم منه عليك أن تستحضر في قلبك الشروع في رحلة تفصلك عن عالمك الذي كنت فيه، فالميقات هو المحطة التي ستبدأ منها سفرك مع الله تعالى وفي رحابه تعالى إلى عالم المعنى.

وَتَذَكُّرِ دار المآل بعد الدنيا.

فكل تبعة، أو ذنب، أو معصية، أو قذارة معنوية، يجب أن تقلع عنها وتهجرها بعد أن تستغفر الله تعالى منها وتندم على اقترافك لها، وتعزم على عدم العود إليها.

فكما أن أول عمل ظاهري يقوم به الحاج عند حلوله في الميقات هو خلع لباسه المعتاد ليستعد للغسل (غسل الإحرام).

كذلك أول عمل باطني يجب أن يحضره في قلبه هو خلع ثياب المعصية وذلك لأمرين:

أولاً: لكي يوفق للإخلاص ونيل القرب من الله تعالى في مناسكه ويتعرض لنفحات الرب القدسية، وجذباته الملكوتية التي تجذب العبد وتدنيه من مقام القرب، فمع الإصرار على المعصية سوف تكون النتيجة عكسية وهي الخذلان والإبعاد.

ثانياً: لكي ينطبق عليه عنوان المتّقي، فيكون عمله في معرض القبول لدى الحق تبارك وتعالى.

فإنه تعالى لا يتقبل إلا من المتقين كما جاء التصريح في محكم الكتاب العزيز: «**إنما يتقبل الله من المتقين**».

ومع الإصرار وعدم خلع ثياب المعصية فإنه سوف لا يكون من المتقين وعليه فسيكون في معرض خطر ردّ عمله وعدم قبوله.

لذلك يقول الإمام السجادعليه السلام للشبلي: «.. **فحين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية... وأنك تجردت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات**»[1].

وأقول: وينبغي أن ينزع من قلبه علائق الدنيا، كما ينزع ما يعتاده من لباس الدنيا، فكل ما يُشغل القلب عن التوجه إلى خالقه، ويلهي عن عبادته وطاعته والإخلاص إليه ينبغي تركه، من أهل وعيال، وتجارة، ومساكن، ومشاغل، وأموال.

وليكن حبه لله تعالى هو الغالب على الفؤاد وليتذكر قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2].

فهذه السّياحة في عالم المعنى وفي رحاب الله تعالى يجب أن لا تعكّر صفوها علائق الدنيا، وغواشي المادة.

والتجرد لله في هذه الفترة (فترة أداء المناسك) يلقي في النفس بذرة الزهد في مناع الدنيا الفانية والتفرغ للآخرة، فهي دورة تدريبية معنوية يتذوق العبد من خلالها لذة الانقطاع إلى الله تعالى، وهي من أعظم الفرص الثمينة التي أتاحها الله تعالى لعبده لكي يبتعد عن كل مشاغله ومتعلقاته الدنوية ليعيش مع الله ساعات ملؤها الخشوع، والخضوع، والتضرع، والابتهال وتذكر المعاني السامية، من تفانٍ، وإخلاص، وتضحية في سبيل الله، فلا تكن يا أخي ممن يحضر إلى تلك الأماكن المقدسة

(١) مستدرك الوسائل ج١ ص١٦٦.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

بجسده ويبقى قلبه وعقله متعلقان بالأهل والعيال، والأوطان، والأعمال ومتطلباتها. بل ليكن قلبك حاضراً مع الله، كما أن جسمك حاضر في جوار بيت الله.

الآداب المعنوية لغسل الإحرام

يقول الإمامعليه السلام: «.. **فحين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب..**».

يستحب للحاج قبل الإحرم أن ينظف بدنه، ويقلّم أظفاره، ويأخد شاربه، ويحلق بعض مواضع الشعر في بدنه، ويستعمل السواك، ثم يغتسل غسل الإحرام.

هذه سنن ومستحبات متعلقة بالظاهر والبدن.

فما هو أدبها الباطني؟

إن النبيصلى الله عليه وآله يقول: «**بُني الدين على النظافة**».

وقطعاً ليس المقصود هو النظافة الظاهرية فحسب، إذ أن بعض غير المتدينين يهتمون بنظافة أبدانهم ويبالغون في ذلك.

فالمقصود هو النظافة الظاهرية والنظافة الباطنية.

فعند الطهارة الظاهرية على المؤمن أن ينوي أنه يطهر قلبه من اللَّوَث، والأوساخ، والأدران.

وأول هذه الأدران التي يجب أن يجلو قلبه منها هي الخطايا والذنوب التي قد ارتكبها وتركت آثارها البغيضة في مكنون قلبه وهذا ما أراد إمامنا السجادعليه السلام الإشارة إليه عندما قال للشبلي:

«**فحين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب..**».

وعندما قال له المخاطَب: لا.

قال له الإمام عليه السلام: **فما اغتسلت.**

وقال له عليه السلام: **فحين تنظفت.. نويت أنك تنظفت بنورة التوبة الخالصة لله تعالى؟**.

قال الشبلي: لا.

قال له الإمام عليه السلام: **ما تنظفت!**

يريد عليه السلام أن يبين أنه في عالم المعنى، والرقي الروحي، لا تنفع النظافة المادية دون أن تكون محاكية لواقع الطهارة المعنوية، الباطنية، ففي مضمون بعض الروايات أن الله ينظر إلى قلوبكم ولا ينظر إلى أجسادكم.

فإنما الغسل النافع، والنظافة المقربة من الحق تعالى، هما الممتدان إلى القلب والباطن، دون أن يتقصرا على البدن والظاهر.

وإلا فسيكون كما قال الإمام عليه السلام: «.. **لا اغتسلت.. وما تنظفت**».

ويعزّز هذا المطلب ما ورد في الدعاء عند الغسل وهو على ما رواه الصدوق (ره):

«بسم الله، وبالله، **اللهم اجعله لي نوراً وطهوراً**. وحرزاً وأمناً من كل خوف، وشفاءً من كل داءٍ وسقم، **اللهم طهرني، وطهر قلبي، واشرح لي صدري**. واجرِ على لساني محبتك ومدحتك، والثناء عليك، فإنه لا قوة لي إلا بك، وقد علمت أن قوام ديني التسليم لك، والاتباع لسنة نبيك صلواتك عليه وآله».

فلو دققنا في هذا الدعاء الشريف الذي من السنّة قراءته عند الغسل، لوجدنا أن الإمام عليه السلام يستطرق من الغسل الظاهري والنظافة البدنية إلى الطهارة القلبية الباطنية.

فقوله عليه السلام: **اللهم اجعله لي نوراً** يرمز إلى النور الباطني البصيرتي وكذلك عند قوله عليه السلام: «**اللهم طهرني، وطهر قلبي، واشرح لي صدري**» فإنه عليه السلام يربط بين الطهارة الظاهرية وطهارة القلب وانشراح الصدر.

والأمر الثاني الذي ينبغي أن يُطهَّر القلب من أوساخه ـ (بعد الخطايا والذنوب) ـ هو الغفلة عن الحق تعالى.

فإن قلب الغافل عن الله تعالى هو قلب متسخ، تائه في ظلمة الحيرة ففي المناجاة الشعبانية يشكر المعصومونﷺ الله تعالى على توفيقهم لتطهير قلوبهم من أوساخ الغفلة عنه تعالى: «**ولتطهير قلبي من أوساخ الغفلة عنك**».

فالأولى بالحاج أن لا يغفل عن الله تعالى عند تأديته لمناسكه بل في كل تقلباته بقدر طاقته واستطاعته، وإذا غفل فليذكِّر نفسه. (**واذكر ربك إذا نسيت**).

وإذا أوقعه الشيطان في حبالته وأشغله ببعض الجزئيات الملهية عن الله تعالى عليه أن يؤب من قريب ويستبصر:

«**إن الذين اتقوا إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**».

الآداب المعنوية للبس ثياب الإحرام:

بعد الاغتسال على القاصد لبيت الله الحرام أن يلبس ثوب الإحرام، فما هي الآداب المعنوية لذلك؟

ـ **أولاً**: أن يتذكر الكفن الذي سيُلفّ فيه عند موته وانتقاله إلى قبره، وخروجه من هذه النشأة إلى النشأة الأخرى.

فثوب الإحرام مذكِّر بالكفن من وجوه.

ـ فثوب الإحرام أبيض كما هو الكفن.

ـ وهو ليس مخيطاً وكذلك الكفن، وكذلك هو ليس فيه زركشة ولا شيء مما هو ثمين بالمعيار المادي الدنيوي كالكفن، فكأن المُحرِم قد قطع عن قلبه كل تعلق بزخارف الدنيا الفانية حتى هذا المقدار من الألوان والزركشة، وحتى خياطة الثوب وكونه مشغولاً فيه ولو بخيط.

وليتذكر أنه مهما ملك من الدنيا، ونال من نوالها ومتاعها سيأتي ذلك

اليوم الذي لا يصحبه منها إلا هذه القطعات القماشية تاركاً وراءه كل ما جمع وسعى وكدّ لنيله، فتتعزز القناعة في نفسه بالكفاف، ويزهد في فضول الدنيا.

هي القناعة فاحفظها تكن ملكاً لو لم تكن لك إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

- وكما أن ثوب الإحرام يجب أن يكون من أموال صافية، لا حق للناس فيها، ولا يتعلق فيها حق شرعي، بل ثمنه مخمّس طاهر من حقوق الغير، كذلك الكفن يجب أن يكون من صوافي أموال المرء.

- وكما أنه ليس له أن يلقى بيت الله تعالى إلا بزي وهيئة يخالفان عادته في حياته الطبيعية فيما يتزيّ ويلبس، كذلك سيلقى الله تعالى بعد خروجه من الدنيا بزيّ هو الكفن يخالف عادته في لباسه. فيتذكر تلك اللحظات التي يلف فيها بكفنه وليسأل نفسه ما أعدّ لتلك الساعة.

- **ثانياً**: وعندما ينظر إلى نفسه أنه لا يجوز له أن يستعمل أمواله وإن كثرت ليستعين بها على لباس يلبسه بدل ثوبي الإحرام، فليتذكر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ فإنه سوف لا تنفعه أمواله شيئاً يوم القيامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [المائدة: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا﴾.

فليستحضر تلك الحالة التي أتى بها إلى الدنيا كيف كان لا حول له ولا قوة، لا يملك من حطام الدنيا شيئاً حتى اللباس، وقد لف بلفافة الطفل المولود.

فإنه سيلقى الله تعالى هكذا كما خلق.

فقد ورد في الرواية عن النبي ﷺ: «**يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله عراة حفاة غرلاً، ثم تلا قوله تعالى**: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾».

نعم إن الذي يكسوه، ويستر سوأته هو تقواه، وعمله الصالح ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ـ **ثالثاً**: يجب أن ينوي عند لبسه لثوب الإحرام أنه يُلبس نفسه، وقلبه، وإرادته، وعزمه، ثوب الطاعة لله تعالى، وأن يندم على ذلك التقصير الذي كان منه تجاه مولاه وولي نعمته، ويخجل من نفسه، ويعزم ويصمم على إطاعته والتسليم لأمره من الآن فصاعداً، لذلك يقول الإمام عليه السلام عند لبس ثوب الإحرام «**نويت أنك.. لبست ثوب الطاعة**».

ـ **رابعاً**: يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**والبس كسوة الصدق، والصفا، والخضوع، والخشوع**»[1].

فمن لبس ثوب الإحرام ولم يُلبس باطنه وقلبه لباس الصدق، بل بقي على الكذب، فإنه أخل بالأدب المعنوي للباس الإحرام.

ومن لم يكس قلبه كسوة الصفاء، بل بقي قلبه مملوءاً غلاً لأرحامه، وأخوانه المؤمنين، فقد أخل أيضاً بأدب لباس الإحرام المعنوي.

ومن لم يتسربل بالخشوع لله تعالى والخضوع لعز جلاله بل بقي على غفلته، وسهوه، ولهوه، ولغوه أيضاً سيكون في عداد المخلّين بالأدب الباطني لارتداء ثوب الإحرام.

(١) مستدرك الوسائل ج١ ص١٧٢.

الآداب المعنوية لصلاة ما قبل الإحرام

يقول الإمام‏عليه السلام: «.. **فحين صليت الركعتين نويت أنك تقربت إلى الله بخير الأعمال من الصلاة، وأكبر حسنات العبادة..**».

فعند أداء صلاة الإحرام المستحبة على الحاج أن يستحضر من خلال الصلاة أنه يؤدي خير الأعمال، وأكبر عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى، فهي قربان كل تقي وهي معراج المؤمن.

وهناك شبه بين الصلاة وبين ما يريد أن يقدم عليه من عبادة الحج.

ـ **فأولاً**: إن الصلاة فيها تحريم وتحليل، فهي واقعة بينهما، فتحريمها تكبيرة الإحرام، وتحليلها التسليم، وبعد التحريم يجب على العبد أن ينقطع عن كل ما يشغل قلبه ما خلا الله تعالى، فإنه لا يقبل من صلاة العبد إلا مقدار ما أقبل به على ربه، ثم يباح له الاشتغال بأموره بعد التحليل بالتسليم.

وكذلك كل من الحج والعمرة بين تحريم وتحليل، فالتحريم هو الإحرام، والتحليل في العمرة التقصير، وفي الحج الحلق أو التقصير لمحرمات الإحرام ما دون الطيب والنساء والصيد، وأما التحليل للنساء فيكون بطواف النساء، ويحل الطيب بعد الطواف والسعي.

وينبغي للمتعبّد بعبادة الحج أن يحفظ قلبه بعد الإحرام عن كل ما يشغله عن الله تعالى ويسعى جهده أن يستحضر التقرب، والتخشع لله تعالى، والأدب المعنوي في كل نسك إلى أن يحلّ من إحرامه.

ـ **ثانياً**: إن الله تعالى قد جعل في الصلاة ما انفرد به لنفسه، وجعل لعبده ما يختص به، فما كان فيها من تعظيم فهو لله تعالى وحده فهو أهل

الكبرياء والعظمة على الحقيقة، وما كان فيها من ذلّة وافتقار فهو للعبد المسكين المستكين، فكذلك في الحج، فما كان فيه من تعظيم، وتهليل، وتحميد، وثناء، فهو لله تعالى.

وما يرى العبد من ذلة، وشعث، وتفت، وقتر، وضعف وانكسار أثر المشقة، فهو للعبد.

هذا بعض ما يمكن أن يقال في سبق الإحرام بالصلاة.

الآداب المعنوية لنيَّة الإحرام

ما هي نية الإحرام المعنوية؟ وماذا ينبغي للحاج أن يستحضر، وعلى ماذا يعقد قلبه؟

إن ما يتم التركيز عليه والتدقيق بشأنه عند عامة الناس ـ على ما رأينا ونرى ـ هو التلفظ الصحيح بالنية، ويُغْفَل غالباً جانب القلب، وأنه هل تُغَيّر شيء فيما يتعلق بعزم العبد، وانعقاد قلبه معنوياً على أمور لم يكن مستحضراً لها قبل الإحرام، وأصبح الآن (بعد الإحرام) ملتفتاً لها ناوياً على تحقيقها، أم أنه لم تتغير حالته القلبية في حالتي ما قبل الإحرام وما بعده؟

القلة هم الذين يلتفتون للجانب الروحي والمعنوي حالة الإحرام وهذا طبعاً شيء مؤسف ليس فقط في الإحرام، بل في كل المناسك، بل في سائر العبادات، لأن العبادة لها هيكل وروح، فهيكلها تلك الحركات والسكنات والألفاظ، وروحها التي تحي بها هي حقيقتها المعنوية، فهي المبتغى، وهي التي تستحق القبول لدى الحق تعالى، وهي التي ترفع الدرجات، وتُعلي المقامات السلوكية والعرفانية.

هناك عدة مقامات معنوية لا بد من توجيه النفس إليها حالة الإحرام كلٌ بحسب طاقته ومرتبته السلوكية:

المقام **الأول**: هو أن ينوي ويعزم على أن يحرِّم على نفسه كل ما حرّمه الله تعالى، صغيراً كان أم كبيراً، فعلاً كان أم قولاً، فإذا كان مقيماً على معصية مصراً أو متهاوناً بشأنها، فإنه سيهجرها نادماً، وعازماً على عدم العود لارتكابها.

وهذا يتطلب جهاداً مع النفس ومراقبة دقيقة بعد الإحرام.

لا كما رأينا من البعض حيث إنه لا تمضي فترة وجيزة على إحرامه إلا وتجده قد نسي ما أقدم عليه، وعاد إلى ما اعتادت نفسه عليه من تجاوزات شرعية، سواء عن طريق الألفاظ الخشنة والمؤذية لمن حوله من صحبة، أو عن طريق بعض التصرفات غير الأخلاقية، أو غير ذلك من المحاذير التي حرّمها الشرع المبين. فأي معنى لإحرام مثل هكذا نموذج؟!

لذلك تجد الإمامعليه السلام يؤكد على حقيقة الإحرام في مقامها الأول حيث يقولعليه السلام: «**فحين أحرمت نويت أنك حرمت على نفسك كل محرم حرمه الله (عز وجل)**».

المقام **الثاني**: وهو أرفع من المقام الأول، وهو أن لا يقتصر في نيته الإحرام تحريمه المحرمات فقط على نفسه، بل ينوي أن يحرّم على نفسه كل ما من شأنه أن يكون مانعاً له عن ذكر الله تعالى.

فإنه بعد الإحرام سيركب سفينة الذكر لتمخر به عباب الحقائق الملكوتية، ويكون في رحاب الرب الرؤوف ليغدق عليه من فيوضات رحمته، فيعلي له من درجاته، ويرفع له من أسهمه الروحية والمعنوية، إنه يشخص أمام عينه قول إمام العارفين وسيدهم أمير المؤمنينعليه السلام:

«**واجعل أوقاتي في الليل والنهار بذكرك معمورة وبخدمتك موصولة، حتى تكون أعمالي وأورادي كلها وِرداً واحداً وحالي في خدمتك سرمداً**».

نعم هذا مقام دوام الذكر وهو مقام أرفع من قمام اجتناب المحرمات فحسب، ففي هذا المقام سيصبح كل ما هو شاغل عن ذكر الله تعالى مرفوضاً لدى العبد، حتى حالة الأكل فإنه يأكل بنية التقوّي على عبادة الله ويتفكر في طعامه (**فلينظر الإنسان إلى طعامه**)، وفي نعمة الرزق الحلال.. وفي حالة الخلود للفراش للنوم ينام لاستعادة نشاطه وقوته، لأجل طاعة الله تعالى. وفي حالة الاستراحة يستريح للاستجمام ومعاودة العبادة، فإذا فعل ذلك على هذه الوتيرة وبهذه النية، فإنه سيكون ممن أوقاته مصروفة في الليل والنهار بذكر الله تعالى.

ويشير الإمام الصادقعليه السلام إلى هذا المقام بقولهعليه السلام:

«وأحرم من كل شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته»[١].

أقول هذا المقام أيضاً له مراتب متعددة، فاسعَ يا أخي جهدك كي تصل إلى المرتبة التي تليق بقابليتك واستعدادك، ولا تكن ممن حرمه لهوه ولعبه، وبطنه، وأكله، وشربه، ومنامه، واسترخاؤه عن نيل الزلفى لدى الباريء تعالى فإنها فرصة تكاد تذهب نفسه حسرات عليها يوم القيامة.

انظر أيها المؤمن إلى الشريعة المقدسة كيف أنها أرادت من خلال الإحرام أن تطوي الطريق أمامك لإيصالك إلى مقام دوام الذكر، أو كثرة الذكر، برفعها الموانع التي من شأنها أن تحول دون وصولك إلى ذلك المبتغى، حيث حرّمت عليك كل زينة، وكل ما من شأنه تقوية العلاقة بالبدن، والدنيا وشهواتها، فلكي يعيش الإنسان لحظات الانقطاع إلى الله تعالى بكل كيانه ويعمق وجدانه، عليه أن لا تشغله علائق البدن والدنيا.

فبعد الإحرام لا يجوز استعمال أي زينة عرفية، حتى الحنّاء، ولا يجوز استعمال الطيب، ولا الاكتحال، ولا حتى النظر في المرآة، ولا تقليم الأظافر، ولا الإدهان، ولا إزالة الشعر من البدن،

ولا يجوز مقاربة المرأة ولا حتى لمسها وتقبيلها.

كل هذا كان جائزاً قبل الإحرام، ولكنه بعده سيكون محرماً.

ونرى الرجل يخلع كل مظاهر الدنيا فلا يجوز له لبس المخيط من الثياب ويكره له الإحرام بالثياب المشتملة على الرسم ونحوه.

فلا شارات ولا رتب، ولا أوسمة، ولا نجوم.

بل يحرم عليه أن يغطي رأسه، فلا تيجان ولا قبعات، ولا عمائم.. فكل هذه الاعتبارات يجب أن تسقط بين يدي الله تعالى، في وقفة العبودية والرقيّة في محضره عز شأنه.

العباد بأجمعهم يستوون أمام خالقهم. وهم متحدون في أنهم هم

---

(١) مستدرك الوسائل ج١ ص١٧٢.

الفقراء بين يدي الغني المطلق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

ـ ولا بد للمحرّم حال الإحرام أن يكون مخلصاً لله تعالى في إحرامه وفي جميع مناسك حجه، فيتحقق من كون ما يقوم به هو لوجه الله تعالى الكريم، لا رياءً وسمعة ولا لغايات أخرى دنيوية.

لذلك يستحب أن يقول عند عقد نية الإحرام:

«أحرم لك شعري وبشري، ولحمي، ودمي، وعظامي، وفمي، وعصبي، من النساء والثياب، والطيب، ابتغي بذلك وجهك والدّار الآخرة».

هذا ليؤكد الإخلاص في قلبه، وأن حجّه لا يريد به إلا وجه الله تعالى وكذلك عندما يقول:

«اللهم إني خرجت من شقّة بعيدة وأنفقت مالي ابتغاء مرضاتك». لإجل أن يرسخ في قلبه نية ابتغاء مرضاة الله تعالى.

العبادة قائمة على التحمل في سبيل المبعود:

من الحقائق التي ينبغي للعبد أن يستحضرها حالة الإحرام، كونه يريد أن يمتنع عن أشياء اعتاد عليها، وتجلب له اللذة، فانقطاعه عنها يعقبه ألم في نفسه، وهو سيتحمل هذا الألم، وتلك المشقة لأجل المعبود عز شأنه، وتعبيراً عن الخضوع والمحبة له.

فإن العبادة قائمة على التحمل والتضحية في سبيل المعبود، فمن ادعى محبة الخالق تبارك وتعالى، لا بد أن يُختبر في دعواه تلك ليثبت صدقيّة ما يدّعي.

وترك ما يشتهي تقرباً لمولاه وطاعة له من أدلّ الدلائل على ذلك، فعلى الحاج أن ينوي بالامتناع عن محرمات الإحرام، وما يناله من ألم ومشقة إثر ذلك، أنه يتقرب إلى الله راجياً رحمته وعطفه عندما يراه بتلك الحالة وهو العبد الضعيف الذي يؤلمه ويعكر صفوه أي كَدَر.

وأيضاً يكون لسان حاله أنه على استعداد في حياته ليترك ما تهواه نفسه إذا كان محذوراً، أو غير راجح بنظر الشرع المقدس. يطلب بتركه وجه الله ومرضاته.

فكما أنه سيترك في إحرامه أموراً تميل نفسه إليها تقرباً إلى خالقه تعالى وسعياً لنيل رضاه، فكذلك إذا دار الأمر في بعض المواقف في حياته بين هوى نفسه وبين ما يريده دينه، فإنه سيقدم ما يبتغيه الدين ويخالف هوى النفس الأمارة بالسوء.

إن ترك بعض الملذات في الإحرام يعبر عن هذه الحقيقة، ولكي يكون العبد قد حَصّل هذا المقام لا بد أن ينعكس فعلاً وعملاً بعد عودته إلى وطنه وإلى حياته الاعتيادية.

فإذا كان يمارس ما فيه شبهة في تجارته لتحصيل ربح مادي هل يترك تلك الشبهة بعد تأديته لفريضة الحج، كما ترك بعض الملذات في إحرام حجة قربة إلى الله؟

أم أنه يرجع إلى ما كان عليه من فعل محرَّم، ويكون قد أفرغ الإحرام من محتواه المعنوي.

وكذلك كل من كان مقيماً على شهوة محرّمة تهواها نفسه، هل هو حاضر للإقلاع عنها تقرباً إلى خالقه تعالى، كما تقرب إليه عز شأنه بترك محرمات الإحرام التي تشتهيها نفسه؟

هذه بعض الحقائق والمقامات المعنوية في الإحرام نسأل الله تعالى أن يرزقنا إياها ولا يحرمنا والمؤمنين منها، بحق محمد ﷺ وعترته الأبرار عليهم السلام.

الآداب المعنوية للتلبية

- ماذا تعني التلبية؟

هي إجابة لدعوة الله تعالى، وتلبية لنداء إبراهيم الخليل عليه السلام.

إن الله تعالى أمر نبيه إبراهيم عليه السلام أن يؤذن بالناس بالحج فقال عز من قائل: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1].

وقد امتثل الخليل عليه السلام أمر مولاه تبارك وتعالى يقول إمامنا الباقر عليه السلام؛ **«قام على المقام، فارتفع به حتى صار بإزاء أبي قبيس فنادى في الناس بالحج، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى أن تقوم الساعة»**[2].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: **«فنادى فأجيب من كل فجّ عميق»**.

وعن إمامنا الصادق عليه السلام: «**لما أمر الله عز وجل إبراهيم وإسماعيل** عليهما السلام ببنيان البيت، وتم بناؤه، أمره أن يصعد ركناً، ثم ينادي في الناس: ألا هلمّ إلى الحج، فلو نادى: هلموا إلى الحج، لم يحج إلا من كان إنسياً مخلوقاً، ولكن نادى هلمّ إلى الحج، فلبى الناس في أصلاب الرجال: لبيك داعي الله.

فمن لبى عشراً حج عشراً، ومن لبّى خمساً حج خمساً، ومن لبّى

(١) سورة الحج، الآية: ٢٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (قده).

أكثر فبعدد ذلك، ومن لبى واحداً حجّ واحداً، ومن لم يلبِّ لم يحج»[١].

فمعنى «لبيك» أي إجابتي لك يا رب، ولم يستعمل إلا على لفظ التثنية، لإفادة معنى التكرير فيكون معناه: إجابة بعد إجابة[٢].

فأنا يا ربّ أجيبك مرة بعد مرة، وإجابة بعد أخرى.

فإذا كانت هذه هي حقيقة التلبية، فأدبها المعنوي إذن أن لا تقتصر على التلبية بما هي لفظ تنطق به، بل عليك أيها الحاج سدّدك الله تعالى أن تعيش معنى التلبية في قلبك.

فأولاً تدري من تجيب، فلو أن ذا شأن من الناس دعاك فأجبته بقولك لبيك. لكنت مسؤولاً عن هذه الإجابة خائفاً من التقصير بحق ذلك المنادي، فلو ظهر عدم إخلاصك له في الإجابة لطالَبَك، وأنّبك، ولعلّه أسقطك من مرتبتك التي لك عنده.

كل هذا مع أنه عبد فقير مخلوق مثلك!

فكيف إذا كان الداعي والمنادي هو جبّار الجبابرة، الخالق، البارئ المصور؟!

وأنت المجيب العبد الذليل المسكين المستكين؟!

فهل تلبيتك ستكون تحمل حقيقة إجابة نداء الله تعالى بكل إخلاص وانقطاع إلى الله تعالى، وخضوع، وطاعة، وترك لكل ما يكرهه تبارك وتعالى.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: **«فحين لبّيت هل نطقت لله سبحانه بكل طاعة، وصمت عن كل معصية»**.

فأن تكون صادقاً في التلبية، ومخلصاً في إجابة دعوة الحق تعالى، معناه أن تنقطع إلى الله تعالى خاضعاً له مسلماً طائعاً، هاجراً لكل ما نهى عنه، متجافياً عن دار الغرور، منيباً إلى دار الخلود.

---

(١) الكافي وعلل الشرائع.

(٢) النهاية لابن الأثير ج٤ ص٢٢٢.

يقول إمامن الصادق عليه السلام: **«ولبِّ بمعنى إجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله سبحانه في دعوتك، متمسكاً بالعروة الوثقى»**(١).

فاستحضار هذا الواقع المعنوي القلبي حين النطق بالتلبية هو حقيقة التلبية الروحية.

وباعتبار أن التلبية هي بداية المسير وأول الطريق فهو مورد خَطِر فمن بدأ طريقه موفقاً للتوجه المعنوي القلبي، كان الأمل كبيراً في توفيقه في سائر الطريق، بخلاف من يبدأ عبادته المعظمة هذه وقلبه غافل عن المعاني الروحية، همه إذا حصل يكون في إتقان اللفظ دون أن يكون له أدنى توجه إلى عالم المعنى.

ولأجل أن تذعن بأهمية وخطر هذا المنزل، وهذه المحطّة التي هي المنطلق لطيّ طريق العروج الروحاني في عبادة الحج المقدسة.

عليك أن تنظر إلى حالات أولياء الله وتأخذ منها العبرة، وتحاول أن تتشبه بهم، فإنهم الوسيلة للوصول إلى مقامات القرب.

يقول سفيان بن عيينة: «**حجّ علي بن الحسين** عليه السلام فلمّا أحرم واستوت به راحلته، اصفرَّ لونه وانتفض، ووقع عليه الرّعدة، ولم يستطع أن يلبّي.

فقيل له: لِمَ لا تلبّي؟

فقال: أخشى أن يقول لي ربّي: لا لبيك ولا سعديك.

فلما لبى غشي عليه وسقط من راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجّه»(٢).

فالسالك إلى الله تعالى ليس همه منحصراً بأداء العبادة فحسب، بل همه الأكبر في قبول الحق تعالى لعبادته.

فلكي تقع العبادة مورد قبول لدى الحق عز شأنه، لا بد أن يكون لها لياقة القبول، بأن تكون مستجمعة لآداب وشروط. والمؤمن يبقى متردداً بين الخوف والرجاء.

---

(١) مستدرك الوسائل ج١ ص١٧٢.
(٢) عوالي اللئالئ ج٤ ص٣٥

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

فاستجماع شرائط القبول ليس بالأمر الهين المتحصّل لكل أحد.

ومن أهم شرائط القبول عدم الإصرار على المعصية.

ففي الرواية: **«لا والله لا يقبل الله شيئاً من طاعته مع الإصرار على شيء من معصيته»** (جامع المدارك (الخونساري) ج٦ ص١٠٨).

وفي رواية: **«أنه مرّ موسى**عليه السلام بـرجل من أصحابه وهو ساجد، وانصرف من حاجته وهو ساجد، فقال عليه السلام: لو كانت حاجتك بيدي لقضيتها لك.

فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى لو سجد لي حتى انقطع عنقه ما قبلته أو يتحول عما أكره إلى ما أحب»[1].

ومن شرائط القبول أن لا يكون ظالماً لعباد الله بأيٍ من أنواع الظلم ففي الرواية عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله:

«أوحى الله تعالى إليّ أن أنذر قومك:

لا تدلخوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحد منكم مظلمة، فإني ألعنه ما دام قائماً يصلي بين يدي حتى يرد المظلمة»[2].

فماذا يصنع من كسب مالاً من حرام، وأكل أموال الناس بالباطل، وغصبهم حقوقهم، عن طريق الغش، أو الاحتيال، أو الكذب.. الخ وهو الآن يلبّي ويقول: (لبيك اللهم لبيك)؟!

فهل يا ترى سيقبل الله منه قوله هذا، العاري عن الحقيقة المعنوية وعن واقع التقوى، ما لم يتب ولم يعزم على رد المظالم إلى أهلها؟!

إنه قد ورد أنه: **«من حجّ من غير حِلّه ثم لبّى قال الله عز وجل له: لا لبيك ولا سعديك حتى تردّ ما في يديك»**.

إذن من أهم ما يجب أن يحققه الحاج في نفسه لكي ينطق بتلبية

---

(١) (٢) عدة الداعي.

مقبولة ردّ المظالم للعباد، وتصفية ذاته من تبعات الآخرين.

وإلا فلا يأمن من أن يقال له لا لبيك ولا سعديك حتى تردّ ما في يديك. وهل فوق هذا من خسران، وهل بعد ذلك من خذلان وقانا الله شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وخطرات الشيطان، ومواطن الخذلان.

وليدقق العبد في مكنون ضميره، هل هو صدقاً حضر في الميقات تلبية لدعوة الله تعالى، وطاعة، وخضوعاً لأمره.

أم أنه لبّى نداء أغراضه النفسية؟

فيجب أن يقطع نيته عن كل مأربٍ ما دون الله تعالى، فلا رياء، ولا سمعة، ولا (حياءً من الناس).. بل عليه أن يقول لبيك اللهم لبيك صادقاً مخلصاً.

كما قال إمامنا الصادق عليه السلام: «**ولبِّ بمعنى إجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله سبحانه في دعوتك**».

ومن أدب التلبية المعنوي:

أن يتذكر تلبيةً أخرى لنداء الله، وهي تلبية واستجابة قهرية وليست اختيارية وذلك عندما يأمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ في الصور، فإذا بالناس هم قيام من أجداثهم ينظرون، وكيف تكون حالاتهم في تلك المحطّة الرهيبة؟!

يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون، خشعاً أبصارهم ترهقهم ذلة.

وهذا الواقع لو استحضرناه في قلوبنا بصدق لاستدعى منا أن نبكي على أنفسنا فالنفس القدسية لإمامنا زين العابدين تقول:

«**ومالي لا أبكي ولا أدري إلى ما يكون مصيري... أبكي لخروجي من قبري عرياناً فقيراً حاملاً ثقلي على ظهري انظر مرة عن يمين وأخرى عن شمالي إذ الخلائق في شأن غير شأني لكل امرئ منهم يومئذٍ شأن يغنيه.**

وجوه يومئذٍ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجه يومئذٍ عليها غبرة ترهقها قترة وذلة».

فعندما يلبي الحاج ويستجيب لنداء الله تعالى بالحج حيث يقول عز وجل: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

فليتذكر تلبية الخلق لنداء خالقها في ذلك اليوم العصيب، حيث يحشرون من القبور، ويزدحمون على صعيد يوم القيامة، وهم منقسمون إلى مقربين ومبعدين، ومردّدون بين الخوف والرجاء.

تماماً كالحاج الذي هو في أول الأمر وبادئ الطريق، فإنه يلبي ليشرع في الحج دون أن يدري هل يتم له الحاج ويقبل منه أم لا.

ثم إذا استحضر هذا المعنى وحصلت عنده حالة الرهبة والخشية من ذلك اليوم الموعود الذي سيلبي فيه نداء الله، ويخرج من قبره بتلك الحالة، وبذلك الفقر، وبتلك المسكنة.

وتحققت في قلبه حالة الاسترحام من خالقه العظيم جل وعلا.

فليطلب منه تعالى بقلب منكسر خاشع متذلل أن يقبل تلبيته الاختيارية الآن في عالم التكليف، ويجعلها ذخراً له، وسنداً، ومعيناً في ذلك اليوم الذي يلبي فيه نداء الله قسراً، وبغير اختيار منه.

ويدفع عنه أهوال ذلك اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين.

وأيضاً من آداب التلبية: أنك تعيش بكل وجدانك مع من دعاك إلى بيته، ولبيت دعوته، مع خالقك وسيدك مولاك الحقيقي، وهذا يقتضي منك أن لا تلبي أحداً من الناس ناداك ما دمت محرماً.

فإذا ناداك أحد من الناس يكره لك أن تقول له لبيك، بل إن بعض الفقهاء يقول: «الأحوط ترك ذلك».

فأنت بعد التلبية لحجّك تتحرك ضمن دائرة الاستجابة والتلبية لدعوة

الحق تعالى، وإن تلبية نداء أحد من الخلق سوف يخرج تلبيتك عن كونها متمحضة لمولاك عز شأنه ولو بمستوى من المستويات المعنوية.

مع أنك تقول في التلبية: «**لبيك لا شريك لك لبيك**».

وعن إمامنا الصادق عليه السلام: «**ليس للمحرم أن يلبي من دعاه حتى يقضي إحرامه**»[١].

تنبيهات ضروريَّة للمحرِم:

أيها الحاج الكريم (أيدك الله) عليك أن تعلم بأن مرحلة ما قبل الإحرام تختلف عما بعده.

فإن على المحرم أن يترك ويتجنب كثيراً من الأمور التي اعتاد فعلها في حياته الاعتيادية. ومع تهيئة النفس وتوجيهها نحو نيل الحقائق المعنوية، والمراتب الروحانية، سيشعر المحرم بأنه قد حبس نفسه على ذات الله، وبالتالي سيترك طوعاً كل ما اعتاد فعله إلى الآن وقد أصبح محرماً بعد تلبّسه بالإحرام.

وأما من لم يتنبه إلى أين جاء، وفي أي مكان قد حلّ، وظن أن الحج فريضة هو مجبر على أدائها وإلقاء ثقلها عن كاهله، بأي شكل اتفقت، وكيفما وقعت، إن مثل هكذا أفراد وللأسف لا يلتفتون إلى الفرق بين مرحلتي ما قبل وما بعد الإحرام.

فترى أحدهم بعد إحرامه يتفوه بألفاظ، أو يقوم بتصرفات لا تليق بهذا السفر المقدس، ولا بتلك الأماكن المشرفة، ولا بحالة الإحرام النقية الناصعة المطهِرة من دنس الأهواء.

وكأن لباس الأحرام غَيّر مظهره دون أن يستطيع تغيير شيء في داخله وكأن بياض ثوبي الإحرام يصرخ على الداخل والقلب أن استجيبا لنداء الصفاء، والتجرد عن الأهواء!

---

(١) الوسائل ج٩ ص١٧٨ (الاسلامية).

إلا أن الداخل يأبى الاستجابة والتماهي مع الظاهر!

نرجو من الله العزيز أن لا نكون في هذا المورد وفي جميع عباداتنا من الذين انقادت ظواهرهم وصورهم دون أن تخشع قلوبهم وتدرك في العبادة حقيقة معناها (فإن الله لا ينظر إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم).

فهناك عدة أمور مهمة نلفت الحاج إليها، لا بد له من التنبه وعدم الغفلة عنها، وإلا فسينقص من قدر حجه المعنوي، بل قد يترتب في بعض الموارد أمور أخرى فقهية.

أولاً: في علاقته مع زوجته:

الأفضل بعد الإحرام الفصل بين الرجل وزوجته، لأن النظر إلى الزوجة بشهوة بعد الإحرام سيكون محرماً، وكذلك اللمس والتقبيل بشهوة، أما التحدث إليها ومجالستها وأن تُنَاوله شيئاً أو تأخذ منه، ونحو ذلك، فإنه وإن كان جائزاً إلا أن الفقهاء (رض) يقولون الأحوط تركه، حيث يقولون: (الأحوط ترك الإستمتاع منها مطلقاً).

فعلى المحرم أن يلتفت إلى ذلك في محطات السفر، وعند الجلوس لتناول الطعام، وفي محلّ الإقامة ما داما على إحراميهما.

ثانياً: فيما يتعلق بالطيب والعطر:

فمعلوم أن المحرم لا يجوز له شم الطيب، ولا أكله ولا تبخيره، وعلى المحرم أن يتنبه إلى أنه لا يجوز لبس الثياب التي عليها أثر من الطيب والعطر.

ويشمل الطيب كل مادة يطيب بها البدن أو الثياب أو الطعام أو غيرها. وكذلك يحرم عليه شم الرياحين من النباتات التي تفوح منها رائحة طيبة كالياسمين والورد الجوري..

وماذا عن الفاكهة، كالتفاح، والسفرجل، أو الخضار كالنعناع، والريحان.. هل يحرم شمها، وهل بالتالي يحرم أكلها؟

الجواب: إنه يجوز أكلها للمحرم، ولكن عليه أن يمسك عن شمها على الاحتياط اللزومي.

وعلى المحرم أن ينتبه إلى أنه إذا اشتم رائحة كريهة لا يجوز له أن يمسك على أنفه منها، نعم يجوز له أن يسرع في مشيه ليتخلص منها.

عن إمامنا الصادق عليه السلام: «**المحرم إذا مرّ على جيفة فلا يمسك على أنفه**»[١].

وفي رواية أخرى: «**ولا يمسك عليه (أي على أنفه) من الرائحة المنتنة**»[٢].

ثالثاً: على المحرم اجتناب الفسوق:

فما معنى الفسوق؟

الفسوق يشتمل على ثلاثة أمور: «الكذب، والسب، والمفاخرة المحرّمة». وهذه الأمور وإن كانت محرمة في جميع الأحوال، إلا أن حرمتها تتأكد في حال الإحرام.

فعلى المحرم أن يتجنب كل أنواع الكذب الصغير منه والكبير في الجد والهزل، فحتى الكذب في المزاح الذي يتهاون به أكثر الناس لا يجوز.

وكذلك السباب فعلى الحاج أن لا يُسْتَفَزّ ببعض المواقف فيتلفظ بالسباب. فليضبط نفسه، وليكظم غيظه، وليتحمل قربةً إلى الله تعالى فإن له بذلك الثواب العظيم.

وأما المفاخرة فهي التباهي أمام الآخرين سواء بالنسب، أو بالمال، أو بالجاه، أو ما أشبه ذلك.

وهذه المفاخرة إنما تكون محرّمة إذا استوجبت الحطّ من قدر المؤمنين وإهانة كرامتهم.

فلا ينسينّ المؤمن الحاج أنه في حالة الإحرام والعبادة، فتقوده تجاذب الأحاديث إلى المفاخرة المحرّمة، فيقع في الخسران.

رابعاً: اجتناب الجدال:

في الحقيقة إن البعض من حجاج بيت الله الحرام لا يلتفتون إلى

---

(١) الوسائل (الإسلامية) ج٥ ص١٠٠.

(٢) (المصدر ص١٠١).

أهمية ضبط اللسان، فيكثرون من الكلام الذي لا فائدة منه، والذي قد يجر إلى المعاصي من حيث يريد المرء أو لا يريد.

ومن الأمور المبتلى بها مسألة الجدال، وهو قول المحرِم (لا والله، بلى والله)، فهذا اليمين لا يجوز إن كان كاذباً ويتحقق به الجدال حتى وإن قاله مرة واحدة، وأما إن كان صادقاً فقد قال بعض الفقهاء إنه يتحقق به الجدال إذا كرّره ثلاثة ولكن يستحسن الاحتياط فلا تصدر منه ولو مرة.

فلا بد للحاج أن يخالف مزاجه، وعادته، وطبعه إن كان قد درج على ممارسة الجدل، واعتاد الحلف على كل شيء.

فالشريعة تريد منه أن تقوى إرادته، ليقوى فيه القدرة على ضبط النفس والسيطرة عليها.

والله تعالى يعلم أن في هذا مشقة وألم للنفس، ولكن العبادة إن لم يكن فيها تضحية، وتحمل، ومخالفة لهوى النفس الأمارة وعاداتها. هي عبادة صورية ولا تعبر عن حب العبد لخالقه، والخضوع له، والانصياع لأوامره، والإخلاص والتسليم لأوامره.

إذن أيها العزيز انتبه جداً للسانك، وإلى ما تتلفظ به فإن الله تعالى يقول: «.. **فمن فرض فيهن الحجّ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج**».

ويقول إمامنا الصادقعليه السلام:

«**إذا أحرمت فعليك بتقوى الله، وذكر الله، وقلة الكلام إلا بخير، فإن تمام الحجّ والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلا من خير. كما قال الله تعالى:** ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ فالرفث الجماع، والفسوق: الكذب والسباب، والجدال: قول الرجل لا والله وبلى والله»[1].

فانظر يا أخي كيف جعل الإمامعليه السلام تمام الحج في حفظ اللسان إلا

---

(١) وسائل الشيعة (الإسلامية) ج٩ ص١٠٨.

من خير، واحرص على أن لا يخرجن من فمك ولو كلمة تسخط الله تعالى سواء كانت في سياق غضب، أو مزاح، أو جدال.

واجتنب الكذب، والسباب، والغيبة، والنميمة، والتأنيب، والتعيير للمؤمنين.. الخ.

وعليك أن تكون حليماً لا تُستفز بسرعة، ولا تُستدرج، وإلا لما استطعت حفظ لسانك، وبالتالي لم تُتِم حجك معنوياً «**فإن تمام الحج والعمرة أن يحفظ المرء لسانه**».

أدب دخول الحرم ومكة المكرمة:

ـ **أولاً**: أن يعلم أنه قد حلّ في حرم آمن ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾، فليكن رجاؤه قوياً في أن يؤمنه الله تعالى أمناً كاملاً يشمل الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة. ومن ناحية أخرى فليكن خوفه متحققاً من أن لا يكون أهلاً للقرب من الله تعالى.

وليقوي جانب الرجاء في حرم الله الآمن، فإن كرم الباري تعالى عميم وشرف البيت عظيم، وهو زائر لبيت الله ووافد على الله تعالى، ولا بد أن يرعى الله تعالى ذمامه.

نعم ليكن شديد الحذر من أن يستهويه الشيطان فيوقعه في المعاصي في ذلك المكان المقدس، فإن قبح المعصية فيه يشتد، وعظم عقابها يتضاعف لعظيم شرف المكان وقدسيته.

ـ **ثانياً**: أن يضمر في قلبه الخير لجميع المؤمنين، فلا يُبْقي في قلبه غلاً عليهم، ولا يتناولهم بسوء بحضورهم ولا في غيبتهم.

كما نبهنا إلى ذلك إمامنا السجاد عليه السلام حيث قال:

«**فحين دخلت الحرم، نويت أنك حرّمت على نفسك كل غيبة تستغيبها المسلمين من أهل ملة الإسلام**».

ـ **ثالثاً**: أن يتذكر أنه حلَّ في البلد الأمين الذي نزل فيه الروح الأمين بالوحي على قلب الصادق الأمين.

وليدخل بكل خشوع واطمئنان، وعليه السكينة والوقاء، وليعرف قدر تلك البقعة المباركة في كل موطئ قدم، وفي كل تردد في حناياها، وفي كل ذهاب وإياب، وليكثر من التفكر خاصة في الأماكن التي تعد معالمَ ورموزاً للدعوة المحمدية والشريعة الخاتمية.

وليعلم أنه في الرحاب الذي كان يضم في حناياه رسول الإنسانية جمعاء ﷺ وعلى الأرض التي وطأتها أقدامه المقدسة الطاهرة، وفي الجو الذي كان رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام يستنشقون هواءه، وفي الطبيعة التي كانوا يتماشون معها.

وخلاصة، لا يقتصرن الحاج الداخل إلى مكة على النظرة السطحية فينظر إلى مكة كنظرته إلى أي بلد يشتمل على الأبنية وغيرها من مقومات الحياة، بل فلينفذ ببصيرته إلى أعماق المعاني، وليبحر في عمق التاريخ، مختصراً ذلك المقطع الزمني، واصلاً إلى رحاب النبوة، الذي يتضوع منه عطر الوحي، ماراً بعبقِ الإمامة المعمَّد بماء الولاية الإلهية.

ويا لها من معانٍ لا يُسبرُ غورُها، ولا يدرك شأوها.

إنها قمم شامخة متعالية في سماء الإنسانية والدين والفضيلة تنخلع الرقاب دون ذراها!!

وسأترك الكلام عن مكة وفضلها إلى الفصول الأخيرة من الكتاب حيث سنعقد عنواناً مستقلاً لبيان عظمة مكة المشرفة والمستحبات التي ينبغي للمؤمن أن يستغل فرصة وجوده فيها للإتيان بها.

على أي حال من آداب دخول الحرم ودخول مكة المكرمة الاغتسال، والدخول بسكينة ووقار وخشوع، وأن يخلع نعليه عند دخوله الحرم وأخذهما بيده تواضعاً وبخوعاً لله تعالى.

الأدب المعنوي
لرؤية البيت الحرام (الكعبة)

ـ **أولاً**: ينبغي للحاج عندما يقع بصره على البيت أن يحضر في قلبه عظمة هذا البيت عند الله تعالى، فيعظمه لتعظيم الله له، ونسبته إليه.

فعن إمامنا الصادقعليه السلام قال: «**من أتى الكعبة فعرف من حقها وحرمتها لم يخرج من مكة إلا وقد غفر الله له ذنوبه، وكفاه الله ما يهمه من أمر دنياه وآخرته**»[(١)].

وعنهعليه السلام: «**إن الله اختار من كل شيء شيئاً، واختار من الأرض موضع الكعبة**»[(٢)].

وفي رواية أخرى قالعليه السلام: «**ما خلق الله تعالى بقعة في الأرض أحب إليه منها، وأومى بيده إلى الكعبة، ولا أكرم على الله عز وجل منها، لها حرَّم الله الأشهر الحرم في كتابه يوم خلق السماوات والأرض**»[(٣)].

وقالعليه السلام: «**إن الله عز وجل خلقه «أي البيت العتيق» قبل الأرض ثم خلق الأرض من بعده فدحاها من تحته**»[(٤)].

فعلى المؤمن أن يعرف قدر هذا الموضع ومدى قدسيته، ولا ينظر إليه بنظرة سطحية فيكون قد صغّر ما عظمه الله تعالى.

ـ **ثانياً**: حيث إن لقاء الله تعالى والنظر إلى سبحات وجهه الكريم

---

(١) الوسائل ج٩ ص/ ٣٤٩.
(٢) (٣) (٤) الوسائل ج٩ ص/٣٤٨، ٣٤٩.

منى كل عاشق وغاية أمل كل محب، وحيث إن الوصول إلى ذلك في عالم الدنيا المادي متعذر، نعم هو في الآخرة للأولياء ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١]. فإن الله تعالى قد نصب للعباد بيتاً مادياً، يزورونه زيارة مادية ويقصدونه بأبدانهم، فمن لم يعرف من لباب المعنى إلا الظاهر اقتصر على وصول بدنه إلى بيت الله، واعتبر أنه قد أدى تكليفاً. وامتثل أمراً قد أُمر به. وأما من ورد عالم المعنى وعلم أنه لكل ظاهر في العبادة مضموناً روحياً ولكل عنوان معنوناً، علم أن زيارة البدن المادي للبيت الحرام الذي هو مادي يجب أن يوازيه توجه الروح والنفس الإنسانية غير المادية إلى رب البيت توجهاً ملكوتياً. فإن السالك إلى الله تعالى يرى وراء كل مظهر ملكي في العبادة معنى ملكوتياً.

فأدب زيارة البيت المعنوي هو أن وراء زيارة البدن لبيت مبني من الأحجار هناك زيارة الروح زيارة معنوية وسلوكاً ملكوتياً لرب هذا البيت. فلا يتوجه في قلبه إلا إلى خالقه، ولا يلهيه من متاع الدنيا ولذاتها شيء ما دام في حضرة الخالق عز شأنه، فتأخذه هيبة الحضور المعنوي. فإنك إذا حضرت بين يدي ملك من ملوك الدنيا استولت عليك حالة استغراق في تلك الأجواء، فاعتبر بهذا واستذكر أنك زائر في قلبك مِلك الملوك.

فما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

ـ **ثالثاً**: فليغمر قلبك الخوف والرجاء، الخوف من أن تكون مقصراً في أدبك مع ربك في ذلك الموضع المقدس، أو مقصراً في أدبك مع نفس المكان الذي شرفه الله ونسبه إليه فلا تكون قد عرفت قدره حق المعرفة، ولا عظمته ذلك التعظيم الذي أراده الله له، فترجع مقصراً مع الله تعالى.

وأما الرجاء فليتمكن من قلبك حيث إنك في جوار رحمة الله تعالى حيث تنال المنى، فأنت بقرب أشرف بقعة في الأرض اختراها الله تعالى وشرفها من بين بقاع الأرض كلها.

فارجُ غفران ذنوبك واستوهبها من الله، وارجُ قضاء حوائجك التي

---

(١) طبعاً النظر ليس مادياً تعالى الله عن ذلك علو كبيراً فإنه تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

تهمك كلها الدنيوية والأخروية وإصلاح ما فسد من أمورك كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**من أتى الكعبة فعرف من حقها وحرمتها لم يخرج من مكة إلا وقد غفر الله له ذنوبه، وكفاه الله ما يهمه من أمر دنياه وآخرته**».

واعرف أن وصولك إلى هذه البقعة المباركة لم يكن ليحدث لولا توفيق الله تعالى لك، فحلولك بجوار بيت الله الحرام هو توفيق كبير ونعمة إلَهية عظيمة قد منّ بها الباري عليك، فاغتنم هذا التوفيق فما كان الله ليوفقك لولا أنه أراد بك خيراً فاشكره على توفيقه إياك ليزيد في إنعامه عليك. فإنه جعلك في عداد الوافدين عليه في الدنيا فاسأله أن لا يحجبك عن كرامته ورحمته ولطفه في الآخرة.

وناجه وقل بقلب صادق إلهي رزقتني الحضور إلى بيتك الحرام في الدنيا بمنك وكرمك، ولم توفقني إلا لرحمة منك لي، فأتمم عليّ رحمتك بسدّ جميع خِلَلي ونواقصي، إلهي اجعلني من صالح من بقي، والحقني بصالح من مضى، وخذ بي سبيل الصالحين، وأعني على نفسي بما تعين به الصالحين على أنفسهم، إلهي واجعلني ممن يديم ذكرك، ولا يغفل عن شكرك، بحق محمد وآله الأطهار.

ـ **رابعاً**: عندما ترى الكعبة، وترى تقاطر الناس عليها، وتوجههم إليها تذكر الجنة التي هي قبلة آمال الناس يوم القيامة، حيث يتوجهون إليها راجين أن يدخلوها.

وكما أن في الناس المتوجهين نحو الكعبة من هو مقبول حجه ومشكور سعيه، ومن هو مرفوض، كذلك انقسام الناس المتوجهين إلى الجنة منهم المقبول الموفق لدخولها، ومنهم المخذول المردود، وارجُ أن يكون من المقبولين وأحسن الظن بربك فإن الله تعالى عند حسن ظن عبده به، واستعذ بالله تعالى من أن تكون من المردودين، ولتستشعر هذا الخوف في قلبك بأن نوري الخوف والرجاء في قلب يتواردان عليه دون أن يرجح أحدهما على الآخر.

الآداب المعنويَّة والأسرار الملوكتية للطواف:

ـ **أولاً**: اعلم أن الطواف له صورة ملكية في عالم الملك والشهادة، وصورة ملكوتية وحقيقة غيبية.

فطواف البدن بالبيت هو الصورة الملكية في دنيانا.

وحقيقته الغيبية الملكوتية هي طواف قلب العبد بذكر الله تعالى، وبحضرة الربوبية. وحيث إن الحضرة لا تشاهد بالبصر (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) جعل البيت مثالاً ظاهراً في عالم الطبيعة لتلك الحضرة المتعالية.

وجعل البدن مثالاً ظاهراً للقلب الذي أيضاً لا يشاهد بالبصر. فالطواف عند أهل المعنى يرى من حيثيتين:

حيثية البدن والمادة ويتجلى بطواف البدن حول البيت وحيثية القلب والمعنى وهو طواف القلب بذكر رب البيت تعالى فمن طاف بجسده حول الكعبة وهو غافل عن البعد الآخر، فقد رضي بالقشر والظاهر دون النفوذ إلى اللب.

ومن استحضر عند طواف بدنه بالكعبة طوافَ روحه وقلبه وكيانه المعنوي بذكر حضرة الحق تعالى، فقد نفد ببصيرته إلى حقيقة الطواف، وولج من باب المعنى إلى فضاء المعرفة الواسع، وله هناك مقامات، ومراتب، ودرجات.

وكما أن الطائف يبتدئ طوافه بالبيت، ويختتم به، كذلك القلب

يبتدئ بذكر الله ويختتم بذكره تعالى «هو الأول والآخر والظاهر والباطن».

فعلى الطائف أن يكون قلبه مع الله في كل أجزاء طوافه، ولا يغفل عن الله تعالى بل يكون متوجهاً بكلّه وكلكله إلى خالقه ومعبوده عز شأنه وجل ثناؤه، ولا يشغله الزحام، ولا عد الأشواط، ولا مدافعة الناس، ولا العناء والتعب، ولا الحرّ. . لا يشغله شيء من ذلك عن توجيه قلبه إلى الحضرة الربوبية.

ـ **ثانياً**: أن تعلم أن الطواف هو صلاة كما ورد في الحديث الشريف (الطواف بالبيت صلاة) وقِوام الصلاة بشرائط أهمها في عالم المعنى التوجه القلبي والخشوع فإنه لا يقبل من صلاة العبد إلا بقدر ما أقبل بقلبه فيها على ربه، فكذلك ينبغي للطائف أن يكون معظماً للخالق في قلبه، متخشعاً متذللاً، راجياً خائفاً.

وكما أن عليه أن يبقى مراعياً للكعبة طيلة طوافه فلا يلتفت عنها، كذلك عليه أن يبقى متوجهاً بقلبه إلى الله تعالى فلا يميل بقلبه عن ذكره وشكره.

ـ **ثالثاً**: أن يعلم الطائف بالبيت أنه بطوافه متشبّه بالملائكة المقربين، حيث إن الكعبة في عالمنا بإزاء البيت المعمور في السماوات الذي لا تفتأ الملائكة من الطواف حوله كما ورد في الرواية.

فالملائكة تطرف حول العرش وحول البيت المعمور، والإنسان في هذه النشأة المادية يطوف حول أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً، يقول إمامنا الصادقعليه السلام: **«وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمبن بنفسك حول البيت»**[1].

فاحرص يا أخي أن تحقق في قلبك مقام التسليم لله تعالى في كل أمورك (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا).

ومقام التعبد للخالق من دون سأم ولا ملل.

---

(١) مستدرك الوسائل ج١ ص١٧٢.

﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾[(١)].

ومن تشبه بقوم بإخلاصٍ أُلحِقَ بهم وإن لم يَرْقَ لدرجتهم.

ـ وتشير بعض الروايات إلى كون الملائكة قد لاذت بالعرش بعد أن ردّوا على الله تعالى بقولهم ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ وندموا واستغفروا فأحب الله تعالى أن يتعبد العباد بمثل ذلك، وبالتالي يكون الطواف واللواذ بالبيت سبباً عظيماً للتوبة والهروب إلى الله تعالى، فعلى العبد أن لا يغفل عن ذلك، ويستغل فرصة جواره وتطوافه بالبيت الحرام ليؤوب ويرجع إلى ربه. فذلك سبب عظيم لقبوله والصفح عنه، وغفران ذنوبه.

فعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: **«إن الله قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾** فردّوا على الله تعالى فندموا، فلاذوا بالعرش واستغفروا، فأحب الله أن يتعبد بمثل ذلك العباد، فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمى الضراح، ثم وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمى بيت المعمور بحذاء الضراح، ثم وضع البيت بحذاء البيت المعمور، ثم أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب عليه، وجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة»[(٢)].

فالحمد لله الذي جعل لنا طرقاً للوصول إلى التوبة منها هذا الطريق الذي أحبه واختاره لنا، وهو الطواف حول بيته الحرام، والذي كان وسيلة لقبول توبة أبينا آدم عليه السلام كما تصرح الرواية، فلا تفوتنا هذه النية حالة الطواف.

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إن الله تعالى أمر الملائكة أن يطوفوا بالضّراح، وهو البيت المعمور، فمكثوا يطوفون به سبع سنين، فهذا كان أصل الطواف، ثم جعل الله البيت الحرام حذو الضّراح توبة لمن أذنب من بني آدم وطهوراً لهم»**[(٣)].

وفي رواية علل الشرائع عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: لأي علة صار الطواف سبعة أشواط؟ فقال عليه السلام: **«إن الله قال**

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٨.

(٢) وسائل الشيعة ج٩ ص٣٨٨ (الإسلامية).

(٣) المصدر ص٣٨٧.

للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فردوا عليه وقالوا: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ فَقَالَ: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وكان لا يحجبهم عن نوره فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم وتاب عليهم، وجعل لهم البيت المعمور في السماء الرابعة، وجعله مثابة، وجعل البيت الحرام تحت البيت المعمور، وجعله مثابة للناس وأمناً فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد لكل ألف سنة شوطاً واحداً» (المصدر ص٤١٤).

ـ **رابعاً**: إن يطّلع على عظم الثواب المترتب على الطواف، فيعلم كم هي عظيمة هذه العبادة عند الخالق تعالى، فيحسن نية التقرب بها إلى الله عز شأنه.

ففي رواية الإمام زين العابدينعليه السلام قال: «**من قدم حاجاً وطاف بالبيت وصلى ركعتين كتب الله له سبعين ألف حسنة، ومحى عنه سبعين ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف درجة، وشفعه في سبعين ألف حاجة، وكتب له عتق سبعين ألف رقبة، قيمة كل رقبة عشرة آلاف درهم**»[١].

وعن إمامنا الصادقعليه السلام قال: كان أبي يقول: «**من طاف بهذا البيت أسبوعاً وصلى ركعتين في أي جوانب المسجد شاء، كتب الله له ستة آلاف حسنة، ومحى عنه ستة آلاف سيئة، ورفع له ستة آلاف درجة، وقضى له ستة لاف حاجة، فما عجل منها فبرحمة الله، وما أخر منها فشوقاً إلى دعائه**»[٢].

وفي رواية أخرى عنهعليه السلام قال لإسحاق بن عمار: «.. **حتى إذا صار إلى الملتزم فتح الله له ثمانية أبواب الجنة فيقال له: ادخل من أيها شئت..**»[٣].

إذا علمت هذه المثوبات الجزيلة على طواف سبعة أشواط بالكعبة طردت عن نفسك التكاسلَ والتلكُؤ عن تكرار هذا النسك العظيم القدر، واستفدت من فرصة وجودك في جوار البيت فتبذل قصارى وسعك في هذه

(١) وسائل الشيعة، كتاب الحج ج٩ ص٣٩٢.
(٢) المصدر ج٩ ص٣٩٣.
(٣) المصدر ص٣٩٤.

العبادة فإنها أفضل من الصلاة لغير أهل مكة كما دلت الروايات.

يقول الإمام الصادقعليه السلام: **«الطواف لغير أهل مكة أفضل من الصلاة، والصلاة لأهل مكة والقاطنين بها أفضل من الطواف»**[١].

وورد عن أهل البيتعليهم السلام استحباب أن يطوف ثلاثمأة وستين أسبوعاً على عدد أيام السنة.

فعن إمامنا الصادقعليه السلام: **«يستحب أن يطوف ثلاثمأة وستين أسبوعاً على عدد أيام السنة، فإن لم يستطع فثلاثمأة وستين شوطاف، فإن لم تستطع فما قدرت عليه من الطواف»**.

ـ **خامساً**: أن يعلم الطائف أنه حالة طوافه متعرض لستين رحمة من الله تعالى تنصب عليه، فهو يخوض في الرحمة خوضاً، فلا يغفل عن التضرع وطلب التوبة والمغفرة، وطلب الدرجات المعنوية الرفيعة عند خالقه فإذا كان في هذا المقام لايستجاب له حيث الرحمة المتقاطرة عليه فإذن أين ستناله رحمات الرب الرحيم، وليتضرع إلى الله تعالى بسد كل نواقصه وخلله، وبتقوية ضعفه، وشد إرادته وعزيمته على طاعته تبارك وتعالى، وأن يجعله متجافياً عن دار الغرور ومنيباً إلى دار الخلود، ومستعداً للموت قبل حلول الفوت، وليطلب حوائجه الدنيوية، وليسأل الله تعالى طول العمر في طاعته، وزيادة الرزق، وصحة البدن، والعافية في الدين والدنيا والآخرة وليدعُ لأهله وعياله وأرحامه وإخوانه فالطائف متعرض لستين رحمة من مائة وعشرين رحمة لله تعالى حول الكعبة.

فعن إمامنا الصادقعليه السلام: **«إن الله تبارك وتعالى جعل حول الكعبة عشرين ومائة رحمة، ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين»**[٢].

أيها العزيز ما عليك إلا أن تتعرض لهذه الرحمات من رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما بإخلاص نية وخشوع ورجاء. كي تنال سعادة ما بعدها سعادة في دنياك وآخرتك.

---

(١) الوسائل ج٩ ص٣٩٨.

(٢) الوسائل ج٩ كتاب الحج ص٣٩٨.

استلام الحجر الأسود (آدابه وأسراره)

ـ **أولاً**: اعلم أيها المتبصر في الحقائق المعنوية أن استلام الحجر الأسود ومصافحته، له حقيقة معنوية عظيمة يغفل أكثر الخلق عنها.

وهي أن الله تعالى قد مثل الحجر كمثال مادي كي يمد الإنسان يده المادية إليه فيصافحه.

وأراد الله بذلك أن ينتقل العبد إلى ما تكشف عنه المصافحة، وهو المبايعة من العبد لخالقه والمعاهدة له في قلبه على الطاعة والإخلاص وعدم عصيان أمره.

فأنت عندما تستلم الحجر وتضع يدك عليه وتستلمه عليك أن تستحضر معنى عظيماً يخاف الإنسان من أن يكون مقصراً في تطبيق لوازمه، لذلك تجد الولي المعصوم إمامنا زين العابدين عليه السلام عندما يسأل ذاك الرجل:

هل صافحت الحجر..

يقول: نعم.

يصيح الإمام عليه السلام صيحة كاد يفارق الدنيا.

ثم يقول عليه السلام: «**آه.. آه.. من صافح الحجر الأسود، فقد صافح الله تعالى**».

فمصافحة الحجر الأسود فيها عهد ثقيل مع الله تعالى وهذا أمر يهابه أهل المعنى.

فالصورة المادية استلام الحجر باليد.

والحقيقة والمضمون الباطني هو المبايعة لله تعالى.

كما قال تعالى ووصف من يبايعون النبيﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠].

فبيعة النبيﷺ صورتها الظاهرية صفق الأيدي على يد النبيﷺ وأما حقيقتها فمبايعة الله تعالى.

كذلك مد اليد إلى الحجر الأسود فهي في مضمونها مبايعةُ لله تعالى خالق الحجر. فقد روى ابن عباس على النبي الأعظمﷺ أنه قال: «**الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه**».

فمع كون الله تعالى (ليس كمثله شيء) (ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) فإن الاستلام في عالم المادة والالتقاء بين يد العبد المادية والحجر المادي للانتقال إلى الحقيقة واللب والمضمون، وهو تعلق القلب بالحق تعالى ومبايعة القلب لخالقه، مبايعة الخلوص له في السر والعلانية، في القول والفعل.

فالمبايعة هي تأكيد عملي على الالتزام بجميع لوازم العبودية وهي تدخل في العهود، والعهد مع الله ثقيل، وثقيل جداً فهو ليس عهداً مع المخلوق بل مع رب الأرباب والعبد لا يأمن على نفسه المخالفة لذلك يقول الإمامعليه السلام كما روي عنه: «**من صافح الحجر الأسود، فقد صالح الله تعالى، فانظر يا مسكين لا تضيع أجر ما عَظُمَ حرمتُه، وتنقض المصافحة بالمخالفة، وقبض الحرام، نظير أهل الآثام**».

فاعزم في قلبك على عدم نقض هذه المبايعة بالمخالفة لله تعالى بعد ذلك، وبعصيانه وإتيان الحرام، فالله تعالى موفقك إن علم الإخلاص له في قلبك.

ـ **ثانياً**: هناك حقيقة أخرى لو اطّلعت عليها لعظّمت من حرمة هذا الحجر الكريم وهي أن عنده تجدد الميثاق الذي أخذه الله منك في عالم الذر.

فإن الله تعالى قد ألقمه مواثيق العباد كلها، وكل عبد يأتيه ويستلمه

يجدد عنده العهد، ثم يشهد له الحجر يوم القيامة بموافاته وإتيانه لذلك أنت تقول عند استلامه: «**أمانتي أديتها، وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة يوم القيامة**»[١].

نعم فإنه يأتي يوم القيامة وله لسان وشفتان فيشهد لمن وافاه، وقد بيّن أهل بيت العصمة هذه الحقيقة لبعض من جهلها.

فعن إمامنا أبي عبد الله الصادقعليه السلام قال: «**مرّ عمر بن الخطاب على الحجر الأسود فقال: والله يا حجر إنا لنعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع إلا أنا رأينا رسول الله**صلى الله عليه وآله يحبك فنحن نحبك.

فقال أمير المؤمنينعليه السلام**: كيف يا بن الخطّاب، فوالله ليبعثنه الله يوم القيامة وله لسان وشفتان فيشهد لمن وافاه، وهو يمين الله في أرضه يبايع بها خلقه، فقال عمر: لا أبقانا الله في بلد لا يكون فيه علي بن أبي طالب**»[٢].

وفي رواية بكير بن أعين عن صادق أهل البيتعليهم السلام أنه قال:

«**إن الله وضع الحجر الأسود في الركن لعلة الميثاق، وذلك أنه لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم حين أخذ الله عليهم الميثاق في ذلك المكان...**

وأما القبلة (أي تقبيل الحجر) والاستلام فلعلّةِ العهد، تجديداً لذلك العهد والميثاق، وتجديداً للبيعة ليؤدوا إليه العهد الذي أخذ عليهم في الميثاق، فيأتوه في كل سنة ويؤدوا إليه ذلك العهد والأمانة الّذَين أخذا عليهم، ألا ترى أنك تقول: أمانتي أديتها، وميثاقي تعاهدته، لتشهد لي بالموافاة..

ثم قالعليه السلام**: هل تدري ما كان الحجر؟**

---

(١) الوسائل ج٩ باب استحباب استلام الحجر الأسود ص٤٠٥.

(٢) الوسائل ج٩ ص٤٠٦.

قلت: لا.

قال عليه السلام: كان ملكاً من عظماء الملائكة عند الله، فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق، كان أول من آمن به، وأقر ذلك الملك، فاتخذه الله أميناً على جميع خلقه فألقمه الميثاق، وأودعه عنده، واستعبد الخلق أن يجددوا عنده كل سنة الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذ الله عز وجل عليهم.. ثم إن الله عز وجل لما بنى الكعبة وضع الحجر في ذلك المكان، لأن الله حين أخذ الميثاق من ولد آدم أخذه في ذلك المكان، وفي ذلك المكان ألقم الملك الميثاق»[1].

وروي عبد الله بن سنان فيقول: بينا نحن في الطواف إذ مرّ رجل من آل عمر، فأخذ بيده رجل فاستلم الحجر، فانتهره وأغلظ له، وقال له: بطل حجك، لأن الذي استلمته حجر لا يضر ولا ينفع فقلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: أما سمعت قول العمري؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: **كذب ثم كذب ثم كذب، إن للحجر لساناً ذلقاً يوم القيامة يشهد لمن وافاه بالموافاة»**[2].

فالحاج المؤمن زيادة عن التبرك بالاستلام للحجر ينبغي له أن يستحضر هذه الحقائق، ليرتقي في عبادته، ويرفع من قدرها المعنوي.

أقول: ولا يفتك أن تستذكر عظمة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله قبل البعثة من تلك الحادثة التي رواها المؤرخون وهي أنه عندما تصدعت الكعبة من السيل وأعيد بناؤها وصلوا إلى الحجر الأسود فتشاجرت قريش في أنه من يضع الحجر الأسود في مكانه، وكل طرف يقول أنا أريد هذا الشرف، فاتفقوا على الرضا بحكم من يطلع من باب بني شيبة، وإذا بجمال نور محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وقد حكم بأن يوضع الحجر على رداء ويأخذ كل طرف من المتنازعين بأحد أطراف الرداء وبذلك يكون الجميع قد شاركوا بوضعه في موضعه، ثم أخذ سيد البشر صلى الله عليه وآله الحجر الأسود بيديه المباركتين ووضعه مكانه.

---

(١) فروع الكافي ج١، علل الشرائع ص١٤٨.

(٢) وسائل الشيعة ج٩ ص٤٠٥ عن علل الشرائع.

التعلق بأستار الكعبة، والالتصاق بالمستجار

أولاً: أن تستحضر كونك مذنباً قد جنيت على نفسك وتعرضت لمولاك وولي نعمتك بالمعصية، وأنت بتعلقك بأستار الكعبة كالجاني الذي يتوسل ويتضرع لمن أساء إليه كي يعفو عنه فإنه يتمسك بأذياله، ويتشبث بها، ولا يفلتها، تذللاً للمُسَاء إليه كي يعفو عنه ويصفح، فكأنه يقول يا ربّ أنا لا ملجأ لي إلا أنت وإن لم تغفر لي وترحمني أكن من الهالكين، فأنا متمسك بأذيال رحمتك، هارب منك إليك، لا أنفك عن التمسك بذيل رحمتك إلا أن تقيل عثرتي، وترحم حالي، وتغفر زلاتي وخطيئاتي.

فهذه الصورة، صورة الدخيل ملؤها التذلل، والتخشع، والتخضع، والله تعالى أرحم الراحمين بعيد أن يرى عبده في هذا الحال ولا ينزل عليه من رحمته.

ثانياً: عند الالتصاق بالمستجار، فإنه كما تدري يستحب أن تلصق صدرك، وبدنك، وخدك بالبيت في موضع الملتزم المسمى بالمستجار، ثم تقر لله تعالى بذنوبك فإنها تغفر لك إن شاء الله تعالى فإن أبانا آدم عليه السلام لما طاف بالبيت وانتهى إلى الملتزم قال له جبرئيل: يا آدم أقر لربك بذنوبك في هذا المكان... فأوحى الله إليه: يا آدم قد غفرت لك ذنبك.

قال: يا ربّ ولولدي ولذريتي.

فأوحى الله عز وجل إليه: يا آدم من جاء من ذريتك إلى هذا المكان وأقرّ بذنوبه وتاب كما تبت، ثم استغفر غفرت له»[١].

(١) راجع الوسائل ج٩ ص٤٢٤ نقلاً عن فروع الكافي.

أقول: إن غاية القرب المادي هو المماسة والالتصاق، فلينوي المؤمن الحاج عند التصاق بدنه بالمستجار طلب غاية القرب المعنوي من رب البيت.

وإذا كان هذا الالتصاق مبالغة في القرب لأجل الحب والشوق، فلتعزز في قلبك المبالغة في حب البيت ورب البيت، وإن حب البيت والشوق إليه يرجعان إلى حب رب البيت والشوق إليه:

فما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

ولا تنظر إلى البيت وأركانه وإلى المستجار بما هي أحجار، وأمكنة وجهات، بل انظر إليها بما هي منسوبة، فإن نسبتها هي التي شرفتها، فإلى من نسبت؟!

إنها نسبت إلى ملك الملوك، وجبار الجبابرة، بارئ الخلائق أجمعين، عز شأنه وجلّ ثناؤه.

فإن المنسوب إلى الحبيب والمقرب إليه محبوب.

وإن المحب يحب من أحبه محبوبه.

إن رسول الله ﷺ قال في عقيل إني أحبه حُبّين حُبّاً له، وحبّاً لحب أبي طالب له[١].

فمحبوب الحبيب حبيب.

ـ ثم ليكن من نيتك التبرك بالمماسة، فإن التبرك أمر واقعي له آثاره على النفس والقلب.

ـ وليكن رجاؤك قوياً بالله تعالى في غفران ذنوبك، ولتحسن ظنك بالله تعالى فإن الله تعالى عند حسن ظن عبده به.

فعن إمامنا الصادق عليه السلام: «**إذا فرغت من طوافك وبلغت مؤخر الكعبة وهو بحذاء المستجار دون الركن اليماني بقليل، فابسط يديك على البيت، والصق بدنك وخدك بالبيت وقل:**

---

(١) البحار ج٣٥ ص٧٥.

«اللهم البيت بيتك، والعبد عبدك، وهذا مكان العائذ بك من النار» ثم أقر لربك بما عملت، فإنه ليس من عبد مؤمن يقر لربه بذنوبه في هذا المكان إلا غفر الله له إن شاء الله وتقول: «اللهم من قِبَلِكَ الرَّوح والفرج والعافية، اللهم إن عملي ضعيف فضاعفه لي، واغفر لي ما اطلعت عليه مني وخفي على خلقك» ثم تستجير بالله تعالى من النار، وتخيّر لنفسك من الدعاء، ثم استلم الركن اليماني، ثم ائت الحجر الأسود»[1].

(١) الوسائل (الإسلامية) ج٥ ص٤٢٤ عن فروع الكافي ج١.

الصلاة عند مقام إبراهيم

يقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.

هذا تعظيم من الباري عز وجل لمقام إبراهيم الخليل الشامخ، الذي لم تؤثر فيه وسوسة الشيطان ولو بمقدار أنملة، ولم تُقصِهِ عن إنفاذ أوامر خالقه ومولاه حتى في أعقد وأشق وأعظم ما يمكن أن يتصورها عقل بشري من امتحان وتكليف في أمره بذبح ابنه!! نعم سنبين فيما يأتي من فصول كيف أن الخليل عليه السلام أرغم أنف الشيطان، ومرغه في تراب الخيبة، وتركه يجر أذيالها خاسئاً، ناكصاً على عقبيه، وبقي قلبه عليه السلام سالماً من أي انصياع لغير مولاه الحق عز شأنه، وكان إبراهيم الذي وفّى، وإبراهيم الذي جاء ربّه بقلب سليم، بقلب ليس فيه أحد سوى الله وطاعته وحبه.

إبراهيم الذي كان مَحْيَاه ومماته وصلاته ونسكه لخالقه الواحد القهار رب العالمين. ولم يكن في مَحْيَاه نصيباً للشيطان، بل أعيَ الشيطان بتوحيده الخالص، وأخزاه بتسليمه المطلق لخالقه.

نعم إن أمر الله تعالى لنا بالصلاة خلف مقام إبراهيم وبأن نتخذه مصلّى، هو لأجل تخليد هذا المقام الراقي من التوحيد الإبراهيمي، فقد جعلت ركعتا الطواف خلف المقام جزءاً من الحج الخالد إلى يوم القيامة تمجيداً لرتبة إبراهيم عليه السلام التوحيدية الشامخة، فلا بد لكل مسلم أن يقف عند المقام في حياته ولو مرة فيستذكر ذاك الشأن التوحيدي العظيم.

ـ **ثانياً**: بعد الاستذكار يريد الله تعالى من المؤمن أن يقيّمَ درجة توحيده، ومرتبة تسليمه، ومدى انصياعه لأوامر الخالق تعالى وعدم التفاته إلى تسويلات الشيطان الوسواس الخنّاس، وطبيعي أن يرى نفسه بعد التقييم أنه قد انصاع في بعض مواقفه لتزيينات الشيطان، فعندها ليرمق

بطرفه نحو القِمَّة التوحيدية الإبراهيمية الشامخة في ذراها وليندم على كل ما بدر منه انصياعاً لدوافع الشيطان، وليعزم على أنه سيرغم أنف الشيطان بمعونة الله تعالى فيما تبقى من عمره كما أرغم أنفه صاحب هذا المقام الذي يصلي خلفه.

وإلى هذا يشير إمامنا السجاد عليه السلام على ما روي عنه أنه قال:

(«نويت حين وقفت عند مقام إبراهيم عليه السلام أنك وقفت على كل طاعة، وتخلفت عن كل معصية؟ قال: لا.

قال عليه السلام: فحين صليت فيه ركعتين، نويت أنك صليت بصلاة إبراهيم عليه السلام، وأرغمت بصلاتك أنف الشيطان؟ قال: لا.

قال له عليه السلام: لا وقفت عند المقام ولا صليت فيه ركعتين»).

إن صلاة إبراهيم كانت لله خالصة، وهذه الصلاة هي التي ترغم أنف الشيطان. ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢١].

﴿إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

الإشراف على بئر زمزم والشرب من مائها

ينبغي للمؤمن المشرف على زمزم المستسقي من مائها. أن يعتقد خصوصية هذا الماء وبركته، ولا يكن سطحياً يتعاطى معه كالماء العادي، ولا يكن باعتقاداته كالجهلة المنكرين في قلوبهم لخصوصيات المقدسات وبركاتها، الذين غلبت المادة على قلوبهم، وجعلت على أبصارهم غشاوة منعتهم من إبصار ومضات الغيب والقداسة.

إن روّاد طريق الآخرة، ومفاتيح أبواب كنوز الغيب، النبي الأعظمﷺ وأهل بيته الأطهارعليهم السلام قد كشفوا لنا خواصاً وأسراراً لأمور ليس لنا سبيل إليها عن طريق المادة. فما علينا إلا التسليم بها وتلقفها بالإذعان والقبول بنية ترتب آثارها، وعاقبة نفعها يكون بالتأكيد لنا، ويعود علينا.

من تلك الأمور ماء زمزم، فاستمع إلى أمير المؤمنينعليه السلام وهو يقول: **«الإطلاع في بئر زمزم يذهب الداء، فاشربوا من مائها مما يلي الركن الذي فيه الحجر الأسود، فإن تحت الحجر أربعة أنهار من الجنّة»**[١].

وفي الروايه أن النبيﷺ: **«كان يستهدي من ماء زمزم وهو بالمدينة»**[٢] فلو تساوى ماء زمزم مع المياه الأخرى في الأثر والفائدة فلماذا يستهدي منه رسول اللهﷺ وهو في المدينة.

---

(١) الوسائل ج٩ ص٣٥١ عن الخصال ج٢.
(٢) المصدر ص٣٥٠ عن الفقيه ج١.

ففعل النبي الأكرمﷺ يكشف عن خواص لهذا الماء المبارك فما هي خواصه المادية والمعنوية:

أولاً: فيه شفاء.

فعن صادق أهل البيتعليه السلام: «**ماء زمزم شفاء لما شرب منه**»(١).

وفي رواية أخرى: «**من روى من ماء زمزم أحدث به شفاء وصرف عنه داء**»(٢).

وعن أمير المؤمنينعليه السلام: «**الاطلاع في بئر زمزم يذهب الداء، فاشربوا من مائها مما يلي الرّكن الذي فيه الحجر الأسود فإنّ تحت الحجر أربعة أنهار من الجنة**»(٣).

وورد عن إمامنا الصادقعليه السلام أن من أسماء زمزم (شفاء سقم).

ثانياً: يرجى في شربه زيادة الرزق.

ثالثاً: يرجى زيادة العلم.

لذلك يأمر الإمامعليه السلام بالدعاء لمن شرب من زمزم قالعليه السلام: «**إذا شربت من ماء زمزم فقل: اللهم اجعله علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء وسقم**»(٤).

فإذن أيها العزيز كلما شربت من ماء زمزم المبارك فانوِ بصدق يقين الشفاء من الأسقام، وزيادة علمك، وزيادة رزقك، ولا تكن كالمختبر للغيب في ذلك، بل كن مسلماً لخالقك راجياً ترتب الأثر، فإن ربك كريم جواد ولا يمنع فضله المؤمنين الموقنين المُسَلِّمين.

---

(١) (٢) المصدر ص٣٥١ عن الفقيه.

(٣) وسائل الشيعة ج٩ ص٣٥١.

(٤) المصدر ص٣٥٢.

الآداب المعنويَّة للسعي بين الصفا والمروة

إن في السعي لمعانٍ راقية، ومضامين متألقة في عالم العروج الرباني، والقرب الإلهي. من سعى بجسمه بين الصفا والمروة دون أن يطّلع على أسرار هذا السعي المعنوية فيسعى قلبه في رحاب الله تعالى فإنه اقتصر على الظاهر وترك بيت القصيد.

وكيف للعبد أن يحقق سعي الروح في عالم المعنى دون أن يطّلع على الحقائق والمعاني؟!

وإليك بعض مضامين وحقائق هذا النسك العظيم:

ـ **أولاً**: اعلم أن موضع السعي هو خارج الحرم الشريف أي خارج المسجد الحرام ولذلك لا يشترط في السعي الطهارة من الحدث الأكبر كما في الطواف فالحائض لا يجوز لها الطواف والدخول إلى المسجد الحرام، ويجوز لها السعي بين الصفا والمروة. إذا عُلِم ذلك نقول:

إنك بعد دخول الحرم الشريف والطواف حول البيت تخرج عن فناء البيت كي تسعى، فكأنك تتردد في فناء دار الملك بعد المثول في خدمته ولا تدري هل قبل منك تقربك إليه أم لا.

هل رأيت شخصاً قصد باب ملك طالباً منه حاجة ملحَّة، فدخل على الملك وعرض حاجته، وتضرع للملك كي يرحمه، ويقضي حاجته ويعفو عنه ما بدر منه من تقصير، فاستَمَعَ المِلِكُ إليه، ثم خرج من عنده وهو لا يدري هل قبِلَه الملك.. هل رحِمَه.. هل ستُقضَى حاجته.. أم لا؟

فهو في ترقُّبٍ خارج فناء الملك يذهب ويجيء، إظهاراً للخلوص، ورجاءً لقبول تقربه ورحمته، فإن لم يُقْبَل في الأولى هو يرجو أن يقبله الملك في الثانية.

فإذن المعنى الأول هو إظهار الإخلاص وتأكيده من خلال التردد مرة بعد أخرى. ثم الرجاء مرة بعد أخرى للرحمة والقبول.

ـ ثانياً: التردد بين الخوف والرجاء:

فالمؤمن في كل أحواله يجب أن يكون متردداً بين الخوف والرجاء فعن إمامنا أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه كان في وصية لقمان لابنه الأعاجيب وأعجب ما كان فيها أنه قال لابنه:

«خف الله عز وجل خيفة لو جئته ببر الثقلين لعذبك، وارج الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك.

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: كان أبي يقول:

إنه ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا»(1).

فالمطلوب من الناسك عند تردده بين الصفا والمروة أن يحقق في قلبه هذه الحالة، أعني أن يكون متردداً بين الخوف والرجاء.

لذلك يقول الإمام السجاد عليه السلام للشبلي: **أسعيت بين الصفا والمروة ومشيت وترددت بينهما؟ قال: نعم.**

قال عليه السلام له: نويت أنك بين الرجاء والخوف؛

قال: لا.

قال عليه السلام:

فما سعيت، ولا مشيت، ولا ترددت بين الصفا والمروة.

---

(١) أصول الكافي ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء ح١.

الخوف من ماذا؟

ـ أن تخاف من تقصيرك في أداء الواجب.

ـ ومن أداء حق العبودية، وآداب المناسك.

ـ ومن عدم خلوص النية في العمل مما يعرض عملك ليكون هباءً منثوراً.

وأن تخاف من عدم تحقيق شرائط توبتك، كأن تبقى تحدّث نفسك بالمعصية دون أن يتحقق منك قرار جازم بالإقلاع عن جميع المعاصي وعدم العود إليها. فإنما يتقبل الله من المتقين. والتقوى لا تتحقق الا بالتوبة ولا تتحقق التوبة مع الإصرار على المعاصي.

أن تخاف من أن يكون أداؤك للحج أداءً ظاهرياً يهتم بالحركات والسكنات فحسب، دون أن يكون حجاً معنوياً مشتملاً في أدائه على الحقائق القلبية، وجانياً من رحابه ثمار الكمالات العرفانية. وهذا ما كان يؤكد عليه إمامنا زين العابدين‌عليه‌السلام وينبه عليه مرة بعد أخرى في تلك الرواية الشريفة: .. فما نزلت الميقات وما اغتسلت.. ما دخلت الميقات ولا صليت..

نويت أنك بين الرجاء والخوف.. فما سعيت بين الصفا والمروة.. الخ».

فالإمام‌عليه‌السلام كان يريد أن يعطف نظر المؤمن إلى أداء الحج مع الآداب القلبية المعنوية وإدراك حقائق كل منسك.

فهنا الخوف، فإننا إن أدينا مناسكنا على طبق الموازين الفقهية فهل نحن مدركون للمعاني القلبية والحقائق لهذه المناسك كي يكون حجنا على موازين الفقه العرفاني الروحاني؟!

وكل هذا يجمعه الخوف من الردّ وعدم القبول عند جناب الحق تعالى.

وأما الرجاء فلماذا؟

أن تتوجه إلى رب البيت وتناجيه إلَهنا. . سيدنا. . مولانا لقد وفدنا إلى حرمك وبيتك العتيق مثقلين بالذنوب والخطايا، فنحن على أعتاب بيتك الذي جعلته مثابة للناس وأمناً، وفي فناء بيتك، وفي ضيافتك وفي رحاب جودك.

وإن خطايانا وخطايا جميع المذنبين لا تنقص من خزائن رحمتك. . .

إلهنا. . هل أنا إلا قبضة تراب قد حركتها بقدرتك فما عساك ربي صانعاً بهذا الضعيف الحقير المسكين المستكين الذي لا حول ولا قوة له إلا بقدرتك، ولا نجاة له من مكاره الدنيا وفتنتها إلا بعصمتك. . ماذا نأمل إلا أن تشملنا بلطفك ورحمتك التي وسعت كل شيء، فنحن إن لم نكن أهلاً لأن نبلغ رحمتك فرحمتك أهل أن تبلغنا وتسعنا لأنها سبقت غضبك، ولأنها وسعت كل شيء. فلتسعنا رحمتك يا إلهي، وذلك بأن تتجاوز عن تقصيرنا إن على صعيد العمل أو من جهة خلوص نياتنا.

فيا أيها الحاج المؤمن عليك أن تستحضر هذا المقام وهذه الحالة عند سعيك بين الصفا والمروة، بأن تكون متردداً بين هاتين الحالتين حالة الرجاء وحالة الخوف. فلا تنسَ نقصك وذنوبك وقصورك عن القيام بحق العبودية، وبالمقابل لا تنسَ رحمة ربك الواسعة.

ـ ثالثاً: التردد بين كفتي الميزان يوم الحساب:

على الساعي بين الصفا والمروة أن يستحضر في خاطره تلك المحطة العظيمة من محطات يوم القيامة وهي محطة ميزان الأعمال، حيث توضع الموازين القسط يقول تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فما أعظمها من وقفة حيث الترقب المصيري الذي مآله إما جنة عرضها السماوات والأرض، وإما لهبات لظى تنضج الأكباد والكلى. فإن أبصار الخلائق تتردد بين كفتي الميزان، كفة الحسنات، وكفة السيئات، ولكن شتان ما بين النظرتين فإن الأولى فيها الأمل والتمني والاستبشار، وأما الثانية ففيها القنوط واليأس والخوف الذي تكاد تتطاير منه القلوب.

وخاصة أن الميزان دقيق، والناقد بصير، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[1].

وفي الحقيقة لو أن الإنسان نفذ ببصيرته إلى حقيقة هذا الاستحقاق الأخروي المصيري لغيّر الكثير من سلوكياته غير المرضية في هذه الحياة الفانية.

فإنه موقف مصيري! لماذا؟

لأنه ليس بعده استدراك، ولا قدرة على تلافي التقصير بل هو يواجه في تلك الوقفة المصير الأبدي الذي لا تغيير فيه والذي يحدده عمله، ومدى سعيه وجهده في الحياة الدنيا لنيل مرضاة خالقه عز شأنه.

نعم فإما إلى الفوز والفلاح، وإما إلى الخسران المبين ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[2].

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

فإذا كان الله تعالى هو الذي وضع الميزان ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾[3].

وإذا كان عز وجل قد أنزل مع الرسل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط كما يقول عز من قائل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[4].

فالساعي بين الصفا والمروة ليتذكر بتردده بينهما التردد بين كفتي الميزان الذي لا بد منه، وليسعَ أن يكون الميزان في كل جزئيات حياته هو الميزان الذي قد وضعه الله لخلقه عن طريق الرسل، دون أي ميزان آخر،

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.
(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٨ ـ ٩.
(٣) سورة الرحمن.
(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

وليرفض الشيطان والهوى، وليرفض موازين الخلق الوضعية التي لا تتفق مع الدين وما أنزل الله بها من سلطان.

فليراجع حساباته وليقيّم مدى التزامه بميزان الشرع المبين وليتمثل كون الصفا هي كفة الحسنات، والمروة هي كفة السيئات وهو حائر مجهول المصير يوم القيامة لا يدري أياً من الكفتين سترجح على الأخرى.

وليقل لنفسه إنه لا زال في عالم الدنيا، وهو يصنع مصيره بيديه الآن، فبعمله في دار التكليف يجعل نفسه تأتي آمنة من الأهوال يوم القيامة، ويضمن رجحان كفة الحسنات، ولا يزال لديه متسع ما دام في هذه الحياة، فلينتبه من رقدته وليستيقظ من غفلته، ومن سكر الطبيعة الذي طالما أفقده الإدراك لما وراء هذا العالم المادي، وليشحذ همته وليستنهض إرادته للعمل على تثقيل ميزانه بالحسنات وأعمال الخير والبر، وعلى تخفيف كفة السيئات بالإقلاع عما يسخط المولى عز وجل كل هذا فليستحضره الساعي بين الصفا والمروة ليكون سعيه ذا مضمون معنوي وثمرة عملية، ولا يكون مجرد حركة جسمانية جافة خالية من المعاني التي هي روح العبادة.

وبالمناسبة أقول قد ورد عن رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام أن أثقل شيء في الميزان يوم القيامة الصلاة على النبي ﷺ وآله عليهم السلام وحسن الخلق. فأحسن ولايتك للرسول وأهل بيته الأطهار عليهم السلام وحسّن خلقك تضمن ثقل كفة الحسنات على السيئات يوم القيامة وتضمن العيشة الراضية، وتضمن الفلاح.

فعن إمامنا الباقر عليه السلام أو الصادق عليه السلام: «**ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد، وإن الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به فيخرج ﷺ الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح**»[1].

وفي رواية عنه ﷺ: «**إنا عند الميزان يوم القيامة فمن ثقلت سيئاته**

(١) أصول الكافي ـ باب الصلاة على النبي وآله ح١٥.

على حسناته جئت بالصلاة عليَّ حتى أثقل بها حسناته»[١].

ـ رابعاً: السعي بين الصفا والمروة مذلة للجبارين:

إن السعي الذي هو عبارة عن قطع مسافة بين مرتفعين ذهاباً وإياباً سبعة أشواط لهو أمر مشتمل على المشقة بمرتبةٍ ما، وهو تردد بين موضعين من دون هدف مادي قريب للشخص.

فلماذا إذن يتعب المرء نفسه ما دام هذا السعي والسير فاقداً لمنفعة وغاية قريبة يمكن تحصيلها؟!!

لا بد للساعي أن يجيب عندما يطرح هذا السؤال على نفسه بأنه يمتثل بفعله هذا أمر الله تعالى تعبداً ورقاً.

فانظر لنفسك كيف تروح وتغدو، وتذهب وتؤب وأنت تحصي أشواطاً يلزم أن لا تنقص ولا تزيد عن السبعة أشواط لا لشيء سوى إطاعتك لأمر الله تعالى..

هذا في الحقيقة ذلة للنفس بين يدي خالقها، حيث إن تنفيذ الأوامر وامتثالها تعبداً وخاصة مع اشتمالها على مشقة النفس وتعب البدن، يُشعر الإنسان بذلته وخشوعه، وفقره وخضوعه، واستكانته وبخوعه، أمام سيده ومعبوده.

فالمؤَدي لهذا النسك سيشعر بالخضوع والذلة، وهذا سينعكس، على الجبارين والمتكبرين، فإن السعي سيحني رؤوسهم، ويحطّ من كبريائهم، وينزل من ترفعهم وتجبرهم، ويذلل نفوسهم.

وهذا المطلب في غاية الأهمية عند المولى عز وجل، أعني شعور العبد باستكانته وضعفه، وفقره، وفاقته، وحاجته إلى بارئه ومصوره، وكل ما يوصل إلى هذا المرام هو مطلوب للمولى ومحبوب وبما أن السعي يوصل العبد إلى هذا الشعور وهذه الحقيقة ويخرجه عن عالم الخيال

(١) البحار ج٩٤ ص٥٧.

والغرور والرفعة الوهمية، والعزّة الكاذبة فإنه من أحب المناسك إلى الله تعالى.

فقد ورد عن إمامنا الصادقعليه السلام أنه قال: **«ليس لله منسك أحب إليه من السعي، وذلك أنه يذلّ فيه الجبارين»**[1].

وكذلك روى معاوية بن عمار عنهعليه السلام: **«ما لله عز وجل منسك أحب إلى الله من موضع السعي، وذلك أنه يذلّ فيه كل جبّار عنيد»**[2].

فالسعي محبوب عند الله تعالى ويعطي عليه الثواب الجزيل ففي الوسائل عن علي بن الحسينعليه السلام: **«الساعي بين الصفا والمروة تشفع له الملائكة فيشفّع فيه بالإيجاب»**[3].

وروي **«أن الحاج إذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه»**[4].

وعن محمد بن قيس عن أبي جعفرعليه السلام قال:

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله لرجل من الأنصار: **«إذا سعيت بين الصفا والمروة كان لك عند الله أجر من حجّ ماشياً من بلاده، ومثل أجر من أعتق سبعين رقبة مؤمنة»**[5].

فإن قال قائل: إن كل مناسك الحج تشتمل على التعبد وليس السعي وحده.

قلت: هذا صحيح، ولكن السعي فيه خصوصية تظهر للمتدبر، فمثلاً الطواف يستأنس الطائف فيه بالبيت الحرام الذي نسبه الله إلى نفسه. والوقوف بعرفة ليس فيه عناء ومشقة لأنه يتحقق بمجرد الكون والمكوث في عرفة، وهكذا بقية المناسك فتدبر.

وكذلك السعي هو مذلة للجبارين لاشتماله على الهرولة فانظر إلى

---

(١) الوسائل ج٩ (الإسلامية) ص٥١١.

(٢) الوسائل ج٩ ص٥١٣.

(٣) (٤) الوسائل ج٩ ص٥١٢.

(٥) المصدر ص٥١٣.

بعض من عمي قلبه عن الحق كيف ينظر إلى الهرولة وغيرها من أفعال الحج أعني ابن أبي العوجاء عندما جاء مكة متمرداً إنكاراً على من يحج حيث أتى إمامنا أبا عبد الله الصادقعليه السلام فقال له:

إلى كم تدوسون هذ البيدى، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر من فكر في هذا أو قدر، علم أن هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذي نظر. فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنامه وأبوك أسّه وتمامه.

فقال أبو عبد اللهعليه السلام:

«إن من أضله الله وأعمى قلبه، استوخم الحق فما يستعذبه، وصار الشيطن وليه وربه وقرينه، يورده مناهل الهلكة، ثم لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به خلقه، ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثهم على تعظيمه وزيارته وجعله محل أنبيائه وقبلة للمصلين إليه، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال ومجمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحق من أطيع فيما أمر وانتهى عما نهى عنه وزجر، الله المنشئ للأرواح والصور»[(١)].

إن هذا الضال صوّر الهرولة بهرولة البعير إذا نفر، فالساعي بين الصفا والمروة عندما يصل إلى مكان الهرولة ينفر مهرولاً فيشعر بالانصياع التام والذلة بين يدي الله تعالى، فمن كان في قلبه تجبر وتكبر ينقاد ذليلاً لأمر من هو أهل الكبرياء والعظمة والجبروت.

أقول وقد يكون المقصود من السعي الذي هو مذلة للجبّارين هو الهرولة فقد أطلق السعي على الهرولة في بعض الروايات كما في قولهعليه السلام: **«ليس على النساء سعي بين الصفا والمروة يعني الهرولة»**[(٢)].

وفي رواية أخرى: **«إنما السعي على الرجال وليس على النساء سعي»**[(٣)].

---

(١) الحدائق الناضرة ج١٧ ص٣٩٠.

(٢) (٣) راجع الوسائل ج٩ ص٥٣٧.

وحيث إن العبد يستشعر الذلة والخضوع للخالق حالة الهرولة يناسب طلب الرحمة منه تعالى لذلك ورد استحباب هذا الدعاء حالة الهرولة:

«**اللهم اغفر وارحم واعف عمّا تعلم إنك أنت الأعز الأكرم**»(١).

ويشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا المطلب وهو استشعار الذلّة بين يدي الله تعالى، فلا يبقى تعزز ولا تكبر في الخطبة ١٩٢ من نهج البلاغة عند قوله عليه السلام:

(ثم أمر آدم عليه السلام وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه (أي نحو البيت)... حتى يهزوا مناكبهم (رؤوس أكتافهم) ذللاً يهللّون لله حوله، ويرملون على أقدامهم شعثاً غبراً له).

ـ الهرولة.. حقيقتها المعنوية..

أيها المؤدي لمناسك الحج اعلم عندما تصل إلى الهرولة أن لها حقائق معنوية نذكر منها:

ـ **أولاً**: إنه في ذلك الموضع الذي تهرول فيه عرض إبليس لنبي الله إبراهيم عليه السلام فشد عليه إما هو عليه السلام وأما جبرئيل فهرب اللعين فجرت بذلك السنّة(٢).

فأنت عندما تهرول أحدث في قلبك نيةً وفي نفسك عزماً بأن تحمل على شيطانك، وتقوى عليه وتهزمه، وذلك بأن تترك الانصياع إليه، فإن الشيطان لا يهزم بمثل ما يهزم بترك المعصية والإقبال على الطاعة، فعن إمامنا الصادق عليه السلام: «.. **إن أحدكم إذا أطال الركوع والسجود هتف إبليس وقال: يا ويله أطاع عصيت، وسجد وأبيت**»(٣).

---

(١) الوسائل ج٩ ص٥٢١.

(٢) راجع الوسائل ج٩ ص٥١٣ الباب الأول من أبواب السعي ح١١ ـ ١٢.

(٣) وسائل الشيعة (الإسلامية) ج١١ ص١٩٤.

وعن رسول الله ﷺ: «.. **ألا أخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا بلى. قال** ﷺ:

الصوم يسوِّد وجهه والصدقة تكسر ظهره، والحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطع دابره والاستغفار يقطع وتينه»[1].

فانوِ أن تحطم رأس الشيطان بإقلاعك عن طاعته في الأمور التي كنت تعصي الله فيها، بالإقبال على ما يعنيك من طاعة خالقك تعالى فعندها تكون قد هرولت الهرولة الإبراهيميّة ذات القيمة المعنوية العظيمة، وبالمقابل لو أنك هرولت فقط بجسدك دون أن تتمثل هذه الحقيقة المعنوية فأنت تهرول هرولة صورية.

فتذكر وأنت تهرول كيف شد إبراهيم عليه السلام على إبليس واعزم على أن تكون إرادتك ابراهيمية كي تنتصر على شيطانك، وتكون من عباد الله المخلصين المتوكلين الذين لا سلطان للشيطان عليهم ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٣].

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠١].

ثانياً: الأدب الثاني للهرولة يبينه الإمام الصادق عليه السلام في رواية مصباح الشريعة حيث يقول عليه السلام: «**وهرول هروباً من هواك**».

فالهرولة فيها كرٌّ وفرّ، فهي كرٌّ على الشيطان حتى ينهزم، وفرار من هوى النفس الأمارة بالسوء.

والهروب من النفس إلى من؟

إنه لا يقدر أحد أن ينجيك من نفسك الأمارة بالسوء إلا الله تعالى فالفرار يجب أن يكون إليه يقول تعالى: «**ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين**» ويشير إلى ذلك الإمام السجاد عليه السلام بقوله: «**هربت إلى الله وعرف منك ذلك علام الغيوب**».

---

(١) الكافي ج٤ ص٦٢.

ويقول المعصوم عليه السلام: «**إلهي.. وإن أسلمتني أناتك لقائد الأمل والمنى فمن المقيل عثراتي من كبوة الهوى، وإن خذلني نصرك عند محاربة النفس والشيطان فقد وكلني خذلانك إلى حيث النصب والحرمان**».

«**إلهي نفسي هالكة أو تعصمها**».

فاتباع ما تهوى النفس بما يخالف الشرع المبين هو أمر مهلك «**ثلاثة مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرئ بنفسه**».

واتباع الهوى هو أمر مضلّ يعمي ويصمّ ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [ص: ٢٦].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن أخوف ما أخاف عليكم خصلتان: اتباع الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة**»[1].

أقول: لماذا أخوف ما يتخوف علينا إمامنا عليه السلام اتباع الهوى؟! لأنه قد يكون العبد ملتزماً بظواهر الشريعة ما لم يعصف بنفسه هوى النفس الأمارة فإنه قد يخسر كل شيء باتباع هواه، ويختم له بسوء، كما يخبرنا القرآن الكريم عن بلعم بن باعوراء الذي قد آتاه الله آياته ولكنه انسلخ منها وأخلد إلى الأرض واتبع هواه، فماذا كانت خاتمته عندما اتبع هواه؟

يقول تعالى: ﴿**فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ**﴾.

وبالمقابل طوبى لمن خشيَ ربه ونهى نفسه عن هواها فإن عاقبته الفوز والفلاح وجنة النعيم.

يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

---

(١) البحار ج٧٠ ص١٦٣.

فإذن من الآداب الروحانية للهرولة في السعي استحضار خطر اتباع الهوى، وتوكيد العزيمة على الهروب (منه بتوفيق من الله تعالى) إلى الله تعالى «وهرول هروباً من هواك».

«هربت إلى الله وعرف منك ذلك علام الغيوب».

خامساً: استحضار الحقائق الراقية التي يتضمنها تردد هاجر بين الصفا والمروة

إن تلك المواقف التوحيدية العظيمة بدرجاتها الراقية لإبراهيم ﷺ وإسماعيلَ وهاجر، قد خلِّدَت بمناسك تؤدَّى إلى يوم القيامة، يستذكرها ويستحضر معانيها كل مسلم ولو مرة في حياته، وذلك لِما لها من أثر توحيدي تربوي ينعكس في القلب وأعماق الذات، ليعود سلوكاً قويماً في مختلف مناحي الحياة العبادية والمعاملاتية.

من تلك المواقف التي تشتمل على دروس خالدة في التوكل على الله، والثقة به تعالى، والتسليم لأمره.

عندما أمر الله تعالى خليله إبراهيم ﷺ أن يرحل بهاجر وإسماعيل ﷺ عن بلاد الشامات، فنزل جبرئيل ﷺ وسار بهم، وكلما انتهوا إلى موضع فيه ماء وكلأ وزرع وشجر قال إبراهيم ﷺ لجبرئيل ﷺ: (إلى هاهنا)، ويستأذنه في إسكان هاجر وإسماعيل ﷺ فيه، وجبرئيل يقول: «لا، امضِ، امضِ».

حتى وافوا أرض مكة المكرمة، فأنزلهم في موضع البيت، بين جبال شامخة وأرض رمل يابسة ليس فيها ماء ولا زرع ولا أنيس، والبيت يومئذٍ ربوة حمراء من مدر ولا أثر فيه لبشر ولا وحش ولا طير ولا عمران.

أنزلهم إبراهيم ﷺ بين تلك الجبال الموحشة، ثم أراد أن ينصرف.. فاعترضته هاجر قائلة: إلى من تدعنا؟!

فقال ﷺ: أدعكما إلى رب هذه البنيّة، وإن الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان هو حاضر وسيكفيكم...

قالت: كيف تخلّف امرأة ضعيفة وغلاماً ضعيفاً لا حيلة لهما، بلا أنيس من البشر، ولا ماء يظهر، ولا زرع يثمر، ولا ضرع يحلب، فاهتز إبراهيمعليه السلام وارتعدت فرائصه واضطربت جوانحه بكلامها، واختنق بعبرته رقة وحزناً، ثم رفع رأسه إلى السماء متضرعاً وهو يقول: «**ربِّ إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**».

ثم انصرفعليه السلام عنهما من ساعته امتثالاً وطاعةً وتسليماً.

فجلست هاجر عند رضيعها حائرة في أمرها متفكرة إلى أن ارتفع النهار وحميت الشمس، وعطش إسماعيل وهو طفل، وأخذ يصرخ، وأنّى لها أن تأتي له بالماء يا ترى؟!

أشرفت على الهلاك وكادت أن تزهق روحها من بدنها خوفاً على ولدها من التلف حيث إنها أوشكت تستشرف مصير ابنها القاسي المفجع!

قامت عنه كالوالهة المجنونة بعد أن أظلّته بكساء كان معها من حرارة الشمس، ثم أتت إلى موضع المسعى، وأخذت تنادي برفيع صوتها:

هل في الوادي من أنيس؟

وبينما هي تدور من جانب إلى جانب لمع لها السراب في ناحية جبل الصفا فظننته ماءً، فأسرعت نحوه حتى صعدت الصفا، إلا أنها لم تجد ماءً، فأخذت تنظر في كل جانب، بينما هي كذلك إذ لمع لها السراب في ناحية المروة، فأسرعت إليه حتى صعدت جبل المروة فلم تجد شيئاً، ثم لمع لها ثالثاً في الصفا فأسرعت إليه وصعدت عليه فلم يكن سوى سراب، وهكذا إلى أن فعلت كذلك سبع مرات.

وفي المرة السابعة كانت قد أُجهِدَت وأخذ منها التعب كل مأخذ نظرت نحو ابنها الرضيع وهو يصرخ ويضرب برجليه الأرض من العطش، وإذا بالماء قد نبع وظهر من تحت قدميه.

فأقبلت إليه مسرعة ونظرت إلى الماء وهو يسيل، فجمعت حوله الرمل لتحبسه وتجمعه، وكان الماء يزداد حتى كاد أن يفيض، فقالت له

بالعبرانية «زمزم» أي اسكن، ولذلك سمي البئر «زمزم» (هذا بعض ما روي من سبب التسمية).

فشربت هاجر وسقت ابنها، وأَنِسَتْ بلطف الله تعالى.

وإن السعي بين الصفا والمروة يرمز إلى هذا الموقف العظيم فينبغي للساعي أن يستحضره في نفسه ويستحضر معه دروسه والتي سنذكر أهمها فيما يلي:

درس التوكل الحقيقي نتعلمه من هاجر:

من الآداب المعنوية للسعي استحضار موقف هاجر في توكلها على الله تعالى، والتوكل غير التواكل، فإن هاجر لم تجلس بلا عمل مكتوفة الأيدي متواكلة، بل كانت متوكلة على الله تعالى كما يريد الله، فإن حقيقة التوكل الشرعية هي أن يبذل المرء جهده في الوصول إلى المقصد متبعاً السنة باستعمال الأسباب الخارجية مراعياً الظروف الموضوعية، ثم مع ذلك لا يكون اعتماده عليها بل قلبه متعلق فقط وفقط بمسبب الأسباب الذي «إليه يرجع الأمر كله»، و«إليه ترجع الأمور».

فهاجر بذلت وسعها في تحصيل الماء، ثم كان شاهد حالها: أن يا رب إني سعيت جهدي، ونفدت طاقتي وما بي من قوة، وإني ألتجئ إليك فما عساك تخيب من توكل عليك ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾.

فكفاها الله تعالى وأسال الماء من أين؟!

من تحت قدمي وليدها، لا من مكان آخر!

فلماذا لم ينبع الله تعالى الماء من أول الأمر؟

إنه تأكيد على التوكل الحقيقي لا يتحقق إلا مع السعي وبذل الطاقة الممكنة من العبد، وإلا لكان تواكلاً وليس توكلاً.

ومن فهم التوكل بغير ذلك فقد أخطأ فهم هذا المفهوم الراقي. كالذي يجلس في بيته واضعاً يده على الأخرى دون عمل، قائلاً أنا متوكل على الله فإنه هو الرازق.

فإن أهل البيت عليهم السلام يؤكدون رفض هذا النمط من الاعتقاد فهذا إمامنا الصادق عليه السلام يذكر أصنافاً من الناس لا يستجاب دعاؤهم من بينهم رجل جلس في بيته دون أن يطرق أبواب الرزق المتاحة فإن الله تعالى يقول له: ألم آمرك بالطلب.

فالإمام الصادق عليه السلام يذكر ثلاثة داعين يُرَدُّ دعاؤهم.

ـ رجل رزقه الله مالاً فأنفقه في غير وجهه ثم قال: يا رب ارزقني فيقول الرب عز وجل ألم أرزقك؟

ـ ورجل جلس في بيته ولا يسعى في طلب الرزق ويقول: يا رب ارزقني فيقول الرب عز وجل: ألم أجعل سبيلاً إلى طلب الرزق؟

ـ ورجل له امرأة تؤذيه فيقول: يا رب خلصني منها فيقول الله عز وجل: ألم أجعل أمرها بيدك؟[1].

وروى الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسيره أن أمير المؤمنين عليه السلام مرّ يوماً على قوم، فرآهم أصحاء جالسين في زاوية المسجد فقال عليه السلام:

(«من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون قال عليه السلام: لا بل أنتم المتأكلة، فإن كنتم متوكلين فما بلغ بكم توكلكم؟ قالوا: إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا، قال عليه السلام: هكذا تفعل الكلاب عندنا. قالوا: فما نفعل؟ قال عليه السلام: كما نفعل. قالوا: كيف تفعل قال عليه السلام: إذا وجدنا بذلنا وإذا فقدنا شكرنا»)[2].

والله تعالى يقول: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾.

هكذا اقتضت حكمة الله تعالى أن تجري الأمور بأسبابها.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٦٩.

(٢) مستدرك الوسائل ج١١ ص٢٢٠.

وهكذا كانت سنة الرسول وأهل بيته عليهم السلام.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تجاهد الطلب جهاد المُغالب، ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم، فإن ابتغاء الفضل من السنّة، والإجمال في الطلب من العفة، وليست العفة برافعة رزقاً ولا الحرص بجالب فضلاً**».

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ينقل العيّاشي عن إمامنا الصادق عليه السلام أنه قال: «الزراعون»[1].

فأراد عليه السلام أن يعطي مصداقاً واضحاً للتوكل الحقيقي، وهم الزارعون لينفي التواكل، فإن الزراع يحرث الأرض، ويبذرها، فيكون قد بذل ما في وسعة، ثم إنه يتوكل على الله تعالى في نزول المطر، فإنه يذهب ويجلس منتظراً هطول الغيث بعد أن يكون قد أدّى كل ما باستطاعته أن يؤديه، فإنه حقاً التوكل الذي لا يدع السنّة التي جرت باستعمال والأسباب الطبيعة، وفي نفس الوقت لم يكن اعتماده عليها، بل على الخالق عز شأنه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾.

وثانياً: لا بد من التدقيق في مسألة جداً مهمة في حَدّ التوكل، وهي أن اتباع الأسباب الموضوعية ليس معناه الاعتماد عليها.

كلا، بل إن التوكل على الله هو أمر قلبي قوامه الاعتماد على مسبب الأسباب ونؤكد على كونه أمراً قلبياً، فانظر إلى قلبك بأي شيء متعلق ومن يرجو فذاك الشيء الذي تجد نفسك تعتمد عليه وتركن إليه وتثق به هو الذي تتوكل عليه، فقد يكون توكلك على عبد مثلك، أو على دراهمك وعقاراتك، أو على الأعوان والاتباع... وقد تكون متوكلاً على الله تعالى مع استعمالك لتلك الأمور كلها، ولكن دون أن تتكل عليها، وتكون راضياً عن ربك وشاكراً له وإن لم يحصل المسبّب، بناءً على أنه لا تدري في أي شيء الخيرة لك.

---

(١) البحار ج١٠٠ ص٦٦ عن تفسير العياشي ج٢ ص٢٢٢.

وهذه الحالة القلبية المسماة بالتوكل هي مقام عال من مقامات السالكين ودرجة عظيمة من درجات المقربين، ومنزلة رفيعة من منازل المتقين، تحتاج إلى الاطمئنان القلبي بأن الله تعالى قاهر فوق عباده.

وهو يعتمد على عدة أمور تكون في القلب على نحو اليقين:

الأمر **الأول**: أن يعلم العبد بأنه لا كفيل لمهماته وحوائجه إلا الله تعالى.

ـ **الثاني**: أن يعلم أنه سبحانه لا يخفى عليه شيء من أموره ومصالحه.

ـ **الثالث**: يعلم أن الله كل ما في السماوات والأرضين وما بينهما مسخر بأمره وأنه القادر الذي لا يعجز عن إمضاء مهماته وحوائجه، وإنجاح طلباته ومراداته فإنه تعالى بكل شيء محيط هو على كل شيء قدير.

ـ **الرابع**: أنه تعالى ليس بظالم في نفاذ أموره بل هو حكيم لا يجور.

ـ **الخامس**: أنه تعالى يعلم كل ما يصلح للعبد، وهو رؤوف بعباده يريد مصالحهم.

ـ **السادس**: أن يكون العبد راضياً بقضاء الله تعالى بعد تلك الأمور كلها، فيسهل عليه جريان صعاب الأمور.

فإذا أيقن بهذه الأمور ولم يعارضها الوهم والجبن وضعف البصيرة فإنه يحصل التوكل.

فينبغي لك أيها الحاج، الساعي بين الصفا والمروة أن تتذكر سعي هاجر مع كون قلبها متعلقاً بخالقها، فهي لم تترك السعي والسبب الطبيعي، وبنفس الوقت كان ثقتها ورجاؤها ومفزعها هو الله تعالى الذي إليه ترجع الأمور كلها، فكانت متوكلة حق التوكل، لا متواكلة وحيث إنها كانت متوكلة كان الله كافيها وحسبها.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾.

فأوصلها إلى مقصدها بعد أن بذلت وسعها ولجأت إليه، وأخرج لها الماء من تحت قدمي وليدها.

درس التسليم نتعلمه من هاجر:

نعم علينا أن نجر أنفسنا إلى تلك المرتبة المتسامية لهاجر في التسليم لأمر الله تعالى، فإن مقام التسليم هو مقام شامخ لا يصل إليه السالك إلا بعد معرفةٍ، وجهاد مرير مع نفسه.

انظر إلى هذه الحقيقة كيف تلتمع، وتشع من هاجر حينما نزل عليها جبرئيل بصورة بشر، وسألها: من أنتِ؟

قالت: أنا هاجر أم ولد إبراهيم.

قال: وإلى من خَلَّفكِ؟

قالت: لقد قلت يا إبراهيم إلى من تخلفني هاهنا؟ فقال: إلى الله عز وجل فقال جبرئيل عليه السلام: نِعْمَ من خلفك إليه، لقد وكلكم إلى كافٍ[١].

فما أعظم يقينكِ وتسليمكِ لربكِ يا هاجر.

وكذلك يظهر عظيم تسليمها للخالق عز وجل عند جوابها لقبيلة «جرهم» عندما سألوها: من أنت وما شأنك وشأن هذا الصبي؟ فقالت: أنا أم ولد إبراهيم خليل الرحمٰن، وهذا ابنه، أمرَه الله أن يُنزلنا هاهنا.

فلم تزعزع تلك الظروف القاسية المرعبة التي تحيط بها وبابنها لم تزعزع تسليمها وثقتها بخالقها عز وجل، فلنتذكر هاجر ونتذكر هذا المقام المعنوي العظيم مقام التسليم ولنحاول تحصيل مرتبة من مراتبه فإن الله تعالى قد خلّد بعض أعمال الحج التي ترمز إلى مقامات هاجر لكي نمر

(١) تواريخ الأنبياء ص٨١.

عليها عند أداء حجّنا، وتترك أثراً تربوياً في نفوسنا، فإن التوكل والتسليم هما ركنان معنويان أساسيان في شخصية المؤمن يجب أن ينالهما من طلب الحقيقة وأراد العروج إلى الكمال يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **«الإيمان له أركان أربعة: التوكل على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله عز وجل»**.

قال المجلسي في بيان الحديث: له أركان أربعة لعدم استقرار الإيمان وثباته إلا بها»[1].

تذكر جميلي من خلقتك نطفة ولا تنسى تصويري ولطفي في الحشا
وسلِّم إليّ الأمر واعلم بأنني أدبر أحكامي وأفعل ما أشا

«فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً»[2].

وكما نقل في الحديث القدسي:

«عبدي أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد».

إن مَقامَي التوكل والتسليم، أساسهما الثقة بالله تعالى، والعلم بأنه تعالى يريد مصلحة عباده ونفعهم سواء بلحاظ الدنيا أو بالنظر إلى العاقبة والآخرة.

فمن أيقن بذلك سكنت نفسه، واطمأن قلبه، ورضي عن الله تعالى وسلّم لأمره، وتوكل عليه في كل أموره، وحتى إن كانت النتيجة مخالفة لمراده ظاهراً، فإن المؤمن يعلم بأن مصلحته وسعادته لا تقتصر على عاجل الدنيا، بل إن نظره الأصيل إلى الآخرة والمنتهى، فإن لسان حاله دائماً:

«فلعلى الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور».

---

(١) بحار الأنوار ج٦٥ ص٣٤١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

«اللهم خر لي في قضائك وبارك لي في قدرك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت».

فإذا كان الله تعالى يريد نفع العبد، فإن نفعه قد يتفق خلاف هواه ومراده، ففي الرواية: «**إن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك، إن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر ولو صرفته لغير ذلك لهلك**» فإذا كان الأمر كذلك والله تعالى بصير بعباده وقادر على نفعهم وجواد، فكيف لا يسلم العبد أموره إلى خالقه، وكيف لا يتوكل عليه، وكيف لا يرضى بما قضى له.

درس ميزان التقييم عند الله تعالى

إذا تذكرنا هاجر حال السعي وفي غير السعي من المقامات.

فلنتذكر ذلك المقام الشامخ وذلك الفخر العظيم الذي وهبها إياه الله تعالى حيث جعل بعض أعمالها رمزاً عبادياً يحتذي العباد حذوه، ومواقفها جديرة بالتذكر يمر عليها كل مسلم إلى يوم القيامة.

واعلم أن الله تعالى قد زاد في تشريفها حيث كان مدفنها بإزاء الكعبة في المكان الذي يقال له حجر إسماعيل، وهذا غاية في التشريف والتعظيم حيث إن الطائف يجعل حجر إسماعيل ضمن المكان الذي يطوف حوله، فإنه يطوف حول الكعبة وهو في ذات الوقت يطوف حول الحجر. وطبعاً ليس هذا مصادفة، فإن كل شيء في مناسك الحج له مداليله. فأعظم بها من امرأة قد دفنت في مكان دفن الأنبياء، وبإزاء الكعبة، ويطوف المؤمن حول مدفنها في طريق طوافه بالكعبة المشرفة.

فعند السعي اذكر هاجر، واذكر مقاماتها، واذكر بماذا استحقت هذه المقامات، وتذكر شيئاً مهماً آخر وهو أن هذه المرأة كانت أَمَةً، ومع ذلك قد نالت من الخالق جلّ وعلا أوسِمَة لم تنلها الكثيرات من الحرائر وعاليات النسب، فهذا درس عظيم آخر نستوحيه من شخصية هاجر، درس وحقيقة تتكسر عند أعتابها كل العناوين البرّاقة الخاوية من المضمون، التي تصنعها الأحساب، والأنساب، والأموال، والإعلام المضَخِّم لما هو صغير، والمحقّر لما هو كبير.

فالتقييم عند المولى عز وجل يكون على أساس ما يمتلك المرء من معارف وقيَم وأعمال صالحة، وتقوى، وورع، ومخافة من الله..

فإن من يسمو بهذه المعاني يكون مخلّداً، وإن كان امرأة ولم يكن رجلاً، وإن كانت المرأة أمةً ولم تكن حرّة، وإن كانت فقيرة ولم تكن ثريّة..

إن سارة هي زوج الخليل إبراهيمعليه السلام أيضاً وكانت حرَّة، وثريّة، وذات حسب ونسب، إلا أنها ليس لها أثر في مناسك الحج، بخلاف هاجر الأَمَة الفقيرة التي لا حسب لها ولا نسب كما هو ديدن العبيد والإماء في تلك الأزمنة، ومع ذلك نالت تلك الكرامات والمقامات الشامخة عند الله تعالى.

فهلاّ تعلَّمْنَا أن نُقَيِّم على أساس المضمون لا الظاهر الاعتباري، على أساس المعنوَن لا العنوان، على أساس اللب لا القشر؟؟! نعم هكذا يريد منا الشرع المقدّس وروّاده العظماءعليهم السلام فلتكن عناية الله تعالى بهاجر درساً لنا لنعتني ونعظم كل صاحب كمال وعلم ومعرفة وتقوى وورع وإن هبطت أسهمه الظاهرية الإعلامية، ونحط كل من لا يمتلك ذلك وإن لُمِّعت شخصيته، ووضع بريق على اسمه.

الخروج إلى منى يوم التروية:

إن اليوم الثامن من ذي الحجة هو يوم التروية، وإنما سمي كذلك لأن جبرائيلَ أمر إبراهيم الخليلعليه السلام بعد إحرامه في ذلك اليوم بالخروج من مكة لكي يكون في زوال اليوم التاسع في عرفات، أمره هو وهاجر وإسماعيل، ولم يكن هنالك ماء بين مكة وعرفات فقال له:

«ارتوِ من الماء لك ولأهلك» فسمي يوم التروية[١].

وفي الحقيقة من السنّة التوجه إلى منى تلك الليلة، ولا أدري لماذا يترك هذا المستحب في يومنا هذا.

فعن محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفرعليه السلام: هل صلّى رسول

(١) الوسائل ج١٠ ص٢٦.

الله ﷺ الظهر بمنى يوم التروية؟ فقال عليه السلام: نعم، والغداة بمنى يوم عرفة»[١].

وعلى أية حال هناك آداب قلبية ومعنوية لدى الخروج إلى منى وهي:

ـ **أولاً**: في الرواية المنقولة عن إمامنا السجاد عليه السلام يسأل الإمام عليه السلام الرجل: **أخرجت إلى منى؟ قال نعم.**

قال عليه السلام:

نويت أنك آمنت الناس من لسانك وقلبك ويدك؟

قال: لا.

قال عليه السلام: فما خرجت إلى منى.

فإذن الأدب الأول للخروج إلى منى إضمار السلم والأمن في قلبك لكل المؤمنين، وكذلك العزم على المسالمة اللسانية والفعلية.

وبالتالي تجسد في قلبك مضمون الآية الكريمة:

«وعباد الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً».

وكذلك تجسد قولاً وفعلاً ما قاله إمامنا الصادق عليه السلام لعنوان البصري عندما أوصاه بثلاثة أمور في الحلم **«وأما اللواتي في الحلم فمن قال لك: إن قلت واحدة سمعت عشراً، فقل له: إن قلت عشراً لم تسمع واحدة..»**[٢].

فإذا كان في قلبك نزعة انتقام وتشفي وشر لعباد الله فأخرجها وحاول أن تكون مثالاً للإنسان الموادع المسالم الذي يؤمَن جانبه، كما يقول سيد المتقين علي عليه السلام في وصفه للمتقين: **«الخير منه مأمول، والشر منه مأمون»** هكذا يجب أن ترجع من الحج.

---

(١) المصدر ص٦.

(٢) مستدرك الوسائل ج١١ ص٢٩٠.

ـ **ثانياً**: عن إمامنا الصادقعليه السلام كما في مصباح الشريعة: «**واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك إلى منى**».

إن الحج عبادة يراد منها تنبيه العبد، وإيقاظه ليتخذ قراراً حازماً في حياته يغير فيه كل محطات المخالفة لخالقه، ويطور كل ما من شأنه أن يقرب منه تعالى.

وهذا لا يتحقق مع الدوام على الغفلة، فمن الأسس التي ينبغي للحاج أن يحققها جزماً هو طرد الغفلة إحلال اليقظة محلّها.

يقول أمير المؤمنينعليه السلام: «**ضادوا الغفلة باليقظة**»[١].

فليس أضرّ على دين المرئ من الغفلة «**الغفلة أضرّ الأعداء**»[٢].

وذلك لأنه ما دام المرء غافلاً سوف لا يخطو ولو خطوة واحدة في طريق الاستدراك والتوبة والإنابة إلى الله تعالى، وهي مبتغى الشيطان، وأصل كل حجاب عن الحق وعن الآخرة وعمّا وراء هذا العالم المادي الزائل.

ففي الرواية كما في البحار «**إن الغفلة مصطاد الشيطان، ورأس كل بلية، وسبب كل حجاب**»[٣].

وإن الغفلة من العبد إذا طالت ولم يستيقظ قد توره مورد الهلكة فعن أمير المؤمنينعليه السلام: «**من طالت غفلته تعجلت هلكته**»[٤].

نعم إن في الغفلة عن الله تعالى وعن الآخرة الهلكة وذلك لعدة أمور قد وردت في آثار أهل البيتعليهم السلام سنذكر بعضها فيما يلي:

١ ـ إن الغافل يكون كالسكران الذي لا يعي الواقع، ولا يدرك إلى أين يسير، ومن شأن السكران الهلاك، بل في الرواية إن سكر الغفلة أعظم من سكر الخمر وعليه فيكون أشد هلكة منه، ولعله لأن سكر الخمر قد

---

(١) (٢) ميزان الحكمة ج٧.

(٣) البحار ج٧٦ ص١١٠.

(٤) ميزان الحكمة ج٧.

يفيق منه العبد فيستدرك عند الإفاقة ما قد بدر منه وأما سكر الغفلة فقد لا يستيقظ منه صاحبه إلا بعد أن يرتطم خده بحافة قبره فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**سكر الغفلة والغرور أبعد إفاقة من سكر الخمور**»[١].

٢ ـ إن الغافل عن الآخرة سوف لا يسعى لها سعيها وإنما سيكون سعيه لما يطلب أي للدنيا فحسب، فعنه عليه السلام أيضاً «**لا عمل لغافل**»[٢] فكيف تعمل لشيء أنت لاهٍ عنه؟!

٣ ـ إن الغافل سيكون قاسي القلب، جاهلاً، أما قساوة قلبه فلأنه لا يتفاعل الإنسان عاطفياً وقلبياً مع شيء قد سهى عنه وغفل، وأما الجهل فطبيعي أن يكون الغافل عن الآخرة جاهلاً بأمرها، لأن كل امرئ يطلب المعرفة للأمور التي تهمه ويوجه نفسه إليها.

ففي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ «**من غفل جهل**»[٣].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إياك والغفلة، ففيها تكون قساوة القلب**»[٤].

٤ ـ إن الغافل موكول إلى نفسه فيخاف عليه سوء الخاتمة ففي حديث المعراج: «**يا أحمد اجعل همك هماً واحداً، واجعل لسانك لساناً واحداً، واجعل بدنك حياً لا تغفل أبداً، من غفل عني لا أبالي بأي وادٍ هلك**»[٥].

وإن الله تعالى قد عدّ الغافل من الضالين وأمر رسوله بالإعراض عنه في قوله تعالى: «**فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله**».

قال العلاّمة في الميزان في تفسير الآية «.. حيث دلّ على أن الإعراض عن ذكر الله وهو الغفلة عن آياته يوجب قصر علم الإنسان في الحياة الدنيا وشؤونها، فلا يريد إلا الحياة الدنيا، وهو الضلال عن سبيل الله.

---

(١) (٢) (٣) ميزان الحكمة ج٧.

(٤) المصدر.

(٥) المصدر.

وقد عرف هذا الضلال بنسيان يوم الحساب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ فقد تبين أن إنكار اللقاء ونسيان يوم الحساب يوجب رضى الإنسان بالحياة الدنيا والاطمئنان إليها من الآخرة، وقصر العلم عليه، وانحصار الطلب فيه...».

فإذا كانت الغفلة عن الله والآخرة يقابلها الإخلاد إلى الدنيا والاطمئنان بها فهذا يعني أن الإنسان سوف تنطفئ نور بصيرته فعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«دوام الغفلة يعمي البصيرة»** فلا تتعجب من إنسان منهمك بالدنيا حيث تجده لا يمتلك أدنى بصيرة في الدين، فطبيعي أن يكون كذلك.

وقد يقول البعض ممن أقبل بكلّه وكلكله على الدنيا، لماذا تنعتوننا بالغفلة فنحن لسنا كذلك أقول الجواب لمن انغمس بالدنيا وتعلقاتها من أمير المتقين عليه السلام حيث يقول: **«كفى بالرجل غفلة أن يضيع عمره فيما لا ينجيه» «كفى بالمرء غفلة أن يصرف همته فيما لا يعنيه»**.

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها ... يمسي ويصبح في دنياه سفّارا
هلاّ تركت من الدنيا معانقة ... حتى تعانق في الفردوس أبكارا

فاستيقظ أيها الأخ المؤمن واخرج من ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة فإن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: **«اليقظة نور»**، **«اليقظة استبصار»** وانفض عن كاهلك أدران وأوساخ الغفلة قبل أن يكشف عنك الغطاء حيث لا سبيل للتلافي والاستدراك عند سكرات الموت ومعاينة ملك الموت: **«وجاءت سكرة الموت ذلك ما كنت منه تحيد... لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد»**.

فلا تهبط بنفسك أيها الإنسان إلى الحضيض بغفلتك فتكون في ضلال يتصاغر أمامه ضلال الأنعام، فتأمل في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فالغفلة عن الحق تفقد المرء لياقة الإنسانية، وتضعه في حيز الحيرة والضلال بخلاف من كان في ذكرٍ وفكر فإنه سيكون دائماً في خضمّ

الواقع، وله قيمته العظيمة عند الله تعالى ففي الرواية: «**ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارّين، والمقاتل في الفارّين نزله الجنّة**».

فالمؤمن عليه دائماً أن ينبه نفسه ويوقظها إذا أحس بالغفلة.

فقد ورد في صفات المتقي أنه إن كان في الغافلين كتب من الذاكرين، وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين. ويكون حذراً لما حُذِّر من الغفلة.. لذلك بعد إحرامك للحج وخروجك من مكة لتواجه المناسك العظيمة التي من شأنها أن تغير معادلة حياتك وتقلبك إلى إنسان تائب مطهَّر محبوب لدى الباري عز وجل، عند هذا التوجه والخروج أول شيء عليك أن تتعاهده في قلبك هو أن لا تدع فيه مجالاً للغفلة بل تخرج من غفلتك إلى التيقظ الكلي والانتباه لكل ما ستقوم به فتتأدب بآدابه المعنوية كي تنال مبتغاك.

ثم بعد انتباهك وتذكرك ويقظتك، الأمر الأول الذي عليك أن تؤديه قبل الشروع في أعمال الحج هو الخروج عن زلاتك، فعند خروجك إلى منى عليك أن تحقق في نفسك توبة نصوحاً، وندماً على ما فرطت في جنب الله، وذلك لكي تُقدِم على مناسكك وأنت مطهَّر من دنس الإصرار على المعاصي والذنوب تقياً، كي يتقبل الله تعالى منك ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

(واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك إلى منى).

ـ **ثالثاً: الأدب الثالث للخروج إلى منى:**

«وتبرأ من حولك وقوتك»[(١)].

فعندما تخرج على هذه الهيئة تذكَّر كيف تخرج من قبرك بكفنك لا حول لك ولا قوة، فالآن وأنت في الدنيا شرع الله تعالى لك عبادة تجسد فيها معنى (لا حول ولا قوة إلا بالله)، فإذا رَدَدْتَ كل حولٍ إلى حوله، وكل قوة إلى قوته تعالى ووصلت إلى مقام التوحيد الأفعالي قبل موتك، وأشرق في قلبك أن لا مؤثر في الوجود إلا الله تعالى، فإنه سيهون عليك

---

(١) مستدرك الوسائل ج١ ص١٧٢.

النشور من القبور ثم الوقوف بين يدي الله تعالى.

فهذا مقام الانقطاع إلى الله، ونسيان الأهل والولد، والإذعان بأن القوة لله جميعاً، وإنك لا تملك لنفسك نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وليكن لسان حالك:

«إلهي لا حول ولا قوة لي إلا بقدرتك، ولا نجاة لي من مكاره الدنيا إلا بعصمتك».

ـ **رابعاً: من آداب الخروج إلى منى «لا تتمنى ما لا يحل لك ولا تستحقه»**[١].

فالمؤمن تحكم تطلعاتِه وطموحاتِه الحدودُ الإلهية.

فلا يمدنّ عينيه إلى ما لا يحل له، بل لا يفكر في المحرّم وإن كان فيه منفعته العاجلة الدنيوية.

وكذلك لا يتمنى ما لا يستحق، فما أجمل بالإنسان أن يدرس طاقاته وقابلياته ويقف عندها، ولا يطلب فوق ما يستحقه من قدر.

رحم الله عبداً عرف حدّه فوق عنده.

بخلاف الكثير من الذين يحبون أن يحمدوا على ما لم يفعلوا، ويبتغون الوصول إلى المقامات من دون تعب وبذل جهد، ويطمحون إلى عناوين فضفاضة عليهم لا أهلية لهم بنيلها، فهؤلاء يَضلون ويُضلون، ويفسدون ولا يصلحون.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«أشرف الغنى ترك المنى»**[٢].

وعن إمامنا الصادق عليه السلام: **«تجنبوا المنى فإنها تُذهِب بهجة ما خُوّلتم،**

---

(١) مستدرك الوسائل ج١ ص١٧٢.

(٢) نهج البلاغة الحكمة ٣٤.

وتستصغرون بهامواهب الله تعالى عندكم، وتعقبكم الحسرات فيما وهمتم به أنفسكم»[١].

وفي وصية أمير المؤمنين للحسن عليهما السلام: **«إياك والاتكال على المنى، فإنها بضائع النوكى، وتثبط عن الآخرة والدنيا»**[٢].

نعم الإنسان المؤمن عليه أن يتمنى ما يحب الله تعالى من الخير الكثير للدين والدنيا ويسعى دائماً لرقي درجاته عند خالقه تبارك وتعالى.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«إذا تمنى أحدكم فليكن مناه في الخير وليُكثر، فإن الله واسع كريم»**[٣] وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«لا تمني إلا في خير كثير»**[٤].

وعنه أيضاً صلى الله عليه وآله: **«من تمنى شيئاً هو لله تعالى رضى، لم يمت من الدنيا حتى يعطاه»**[٥].

---

(١) الكافي ج٥ ص٨٥.

(٢) «النوكي» جمع أنوك وهو الأحمق، مستدرك الوسائل ج١٣ ص٤٦.

(٣) (٤) (٥) مستدرك الوسائل ج١٣ ص٤٦.

الآداب المعنوية للوقوف بعرفة

قبل كل شيء أيها الحاج عليك أن تدرك عظمة هذا النسك، لكي تحصل عندك حالة الحرص على التأدب بآدابه المعنوية، وقطف ثماره الروحانية، فاعلم وأنت تقف في عرفات أنك في حلقة من أقدس حلقات سلسلة الحج العبادية. وأعظمها قدراً عند المعبود (تقدس اسمه) وذلك يظهر في عدة من الآثار والبيانات الشرعية نذكر فيما يلي بعضها:

١ ـ روي عنه ﷺ أنه قال: «**الحج عرفة**».

وهذا يعني أن الوقوف بعرفة جزء مهم من أعمال الحج، تصل أهميته وتعظيمه إلى درجة أنه يعبر به عن الكل، فإذا أطلق الجزء على الكل دل على أن هذا الجزء من المقومات الأساسية للكل، كما تطلق الرقبة على الإنسان فيقال (عتق رقبة) أي عتق إنسان، وعبر عن الإنسان بالرقبة لأن الإنسان لا يبقى مع ذهاب رقبته، وفي مقامنا نقول من فقد الوقوف بعرفة وآدابه وحقائقه فقد غاية الحج الكبرى، وسنذكر فيما سيأتي أسرار عظمة هذا النسك بمشيئة المولى عز وجل.

٢ ـ إن يوم عرفة لَيومٌ مشهود كما ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام؛ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ قال عليه السلام: «**المشهود يوم عرفة، والمجموع له الناس يوم القيامة**».

وعنه عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: «**الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة، والموعود يوم القيامة**»[1].

---

(١) وسائل الشيعة ج١٠ ص٢٣.

٣ ـ يوم عرفة هو الحج الأكبر على ما في بعض الروايات كما في رواية عمر بن أذينة قال: سألت أبا عبد الله الصادقعليه السلام عن قوله الله عز وجل (الحج الأكبر) فقالعليه السلام: «**الحج الأكبر الموقف بعرفة ورمي الجمار**»[١].

٤ ـ إنه ليوم ترجى السعادة فيه حتى لمن كان في بطن أمه.

ففي الرواية أن الإمام علي بن الحسينعليه السلام سمع يوم عرفة سائلاً يسأل الناس فقال له: «**ويحك أغير الله تسأل في هذا اليوم؟ إنه ليرجى لما في بطون الحبالى في هذا اليوم أن يكون سعيداً**»[٢].

لماذا سميت عرفة؟

لأن جبرئيلعليه السلام مضى بإبراهيم الخليلعليه السلام إلى الموقف فقال له: «**اعترف واعرف مناسكك فلذلك سميت عرفة**»[٣].

كلما كان النسك عظيماً كان استدراره لرحمة الله أعظم:

فعن رسول اللهصلى الله عليه وآله أنه قال: «**والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن لله باباً في سماء الدنيا يقال له باب الرحمة، وباب التوبة، وباب الحاجات، وباب التفضل، وباب الإحسان، وباب الجود، وباب الكرم، وباب العفو، ولا يجتمع بعرفات أحد إلا استأهل من الله في ذلك الوقت هذه الخصال.**

وإن لله ماة ألف ملك، مع كل ملك مائة وعشرون ألف ملك، ينزلون من الله بالرحمة على أهل عرفات، ولله على أهل عرفات رحمة ينزلها على أهل عرفات، فإذا انصرفوا أشهد الله ملائكته بعتق أهل عرفات من النار، وأوجب لهم الجنّة، ونادى منادٍ انصرفوا مغفورين فقد أرضيتموني ورضيت عليكم»[٤].

---

(١) المصدر ص٢٥.

(٢) المصدر ص٢٨.

(٣) راجع الوسائل ج١٠ ص٢٦.

(٤) الوسائل ج١٠ باب ١٩ من أبواب الوقوف بعرفات ح١ ص٢٤.

عرفه يوم دعاء

إن الله تعالى قد خصَّ بعض الأزمنة بلون خاص من العبادات، وذلك لإتاحة فُرَصٍ متعددة للمتعبد بأصناف مختلفة من القربات والعبادات، كي يصل إلى الرقي في كل صنف حيث إنه يتفرغ له وتندمج روحه وتتأثر فيه أيّما تأثر، فيرقى ويعرج في سلّم التكامل إلى تلك الدرجات التي قدرت ويُسِّرت له.

فمثلاً خصَّ بعض الليالي بالإحياء كليلتي الفطر والأضحى، وليلة خمسة عشر من شعبان، وليالي القدر من شهر رمضان.

وخصص أياماً للاعتكاف يكون الاعتكاف فيها أشد استحباباً ورجحاناً كالعشر الأواخر من شهر رمضان مثلاً.

ويوم الجمعة من كل أسبوع يتفرغ فيه العبد للعبادة والتفقه في الدين وللصدقة، حيث ورد عن بعض الأئمةعليهم السلام أنه كان إذا أراد أن يتصدق يؤخر الصدقة إلى يوم الجمعة فإنها تتضاعف بل هي بألف لفضل يوم الجمعة.

وخصص أشهراً للحج، وأياماً محدّدة لبعض مناسكه كالهدي والرمي. وخصص شهر رمضان لعبادة الصوم الواجب بالأصل.

وهكذا.. ومن بين الأزمنة يوم عرفة، فبماذا خصَّه الله تعالى؟

إن الله تعالى قد جعل يوم عرفة هو يوم دعاء، فأفضل شيء يُؤَدّى فيه هو الدعاء، بحيث إنه لو زُوحِم الدعاء بعبادة أخرى يسقط استحباب تلك العبادة ما دامت تؤثر سلباً على الدعاء، حتى وإن كانت تلك العبادة بمستوى عبادة الصوم العظيمة التي قال فيها الباري عز وجل الصوم لي وأنا أجزي به.

فإنه قد ورد استحباب صوم يوم العرفة لمن لا يضعفه الصوم عن الدعاء، فإن كان الصوم يؤثر على العبد فيضعفه عن الدعاء يسقط استحباب الصوم في ذلك اليوم.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**وتخيّر لنفسك من الدعاء ما أحببت، واجتهد فإنه يوم دعاء ومسألة، وتعوّذ بالله من الشيطان، فإن الشيطان لن يذهلك في موطن قطّ أحب إليه من أن يذهلك في ذلك الموطن، وإياك أن تشتغل بالنظر إلى الناس واقبل قِبَل نفسك..**»[١].

وكان أبو جعفر عليه السلام: «**إذا كان يوم عرفة لم يرِدّ سائلاً**»[٢] وعندما سمع الإمام السجاد سائلاً يوم عرفة يسأل الناس قال له: «**ويحك أغير الله تسأل في هذا اليوم؟! إنه ليرجى لما في بطون الحبالى في هذا اليوم أن يكون سعيداً**»[٣].

وعن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال لأحدهم: «**ويحك أفي حرم الله أسأل غير الله عز وجل، إني لآنف أن أسأل الدنيا خالقها، فكيف أسألها مخلوقاً مثلي**»[٤].

إنه تعالى لا يأمر بالدعاء ويمنع العطية:

إذا كان الله تعالى قد خص يوم عرفة بالدعاء إلى هذا الحد فإنه تبارك وتعالى لا بد يريد أن يستجيب دعاء عبده فإنه لا يأمر بالدعاء ويمنع العطية وهو المنّان بالعطيات على أهل مملكته.

يقول إمامنا علي بن الحسين عليه السلام: «**أما علمت أنه إذا كان عشية عرفة برز الله في ملائكته إلى سماء الدنيا ثم يقول تعالى: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً، أرسلت إليهم رسولاً من وراء وراء، فسألوني ودعوني، أشهدكم أنه حق عليَّ أن أجيبهم اليوم، قد شفعت محسنهم في مسيئتهم، وقد تقبلت من محسنهم، فأفيضوا مغفوراً لكم..**»[٥].

(١) وسائل الشيعة (الإسلامية) ج١٠ أبواب الوقوف بعرفة ص١٥.
(٢) (٣) المصدر ص٢٨.
(٤) المصدر ص٢٩.
(٥) الوسائل ج١٠ ص٢٥.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: سأل رجل أبي بعد منصرفه من الموقف فقال: أترى يجيب الله هذا الخلق كله؟

فقال أبي: **ما وقف بهذا الموقف أحد إلاّ غفر الله له مؤمناً كان أو كافراً، إلا أنهم في مغفرتهم على ثلاث منازل:**

مؤمن غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر، وأعتقه من النّار... ومنهم من غفر الله له ما تقدم من ذنبه وقيل له: أحسن فيما بقي من عمرك... وكافر وقف بهذا الموقف لزينة الحياة الدنيا غفر الله له ما تقدم من ذنبه إن تاب من الشرك فيما بقي من عمره... «من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها، وباطل ما كانوا يعملون»[1].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في جوابه لليهودي: **«إن العصر هي الساعة التي عصى آدم فيها ربّه، ففرض الله على أمتي الوقوف والتضرع والدعاء في أحب المواضع إليه، وتكفّل لهم بالجنّة، والساعة التي ينصرف فيها الناس هي الساعة التي تلقى فيها آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم»**[2].

فيا أيها الأخ الكريم أعرف قدر هذا النسك ولا تشتغل عن الله تعالى والابتهال إليه بشيء من أمور الدنيا.

وعليك أن تحسن الظن بربك، وتعيش في نفسك حالة أنه بإفاضتك عن عرفات قد انسلخت من جميع ذنوبك.

فقد ورد كما في الوسائل: **«أن من أعظم الناس ذنباً من وقف بعرفات ثم ظن أن الله لم يغفر له»**[3].

---

(١) المصدر ص٢٢.

(٢) الوسائل ج١٠ ص٢٤.

(٣) المصدر ص٢٢.

الأدب الأول للوقوف بعرفة:

ـ لا تنسَ الدعاء لإخوانك:

إن من أهم أسباب استجابة الدعاء أن يدعو الإنسان لإخوانه، فإن ذلك يكشف عن حسن النية، وجمال الطويّة، وصفاء السريرة عند المرء، وهذا من مفاتيح قضاء الحوائج واستجابة الأدعية، فمن كان محبّاً للخير للآخرين من إخوانه المؤمنين يكافئه الله تعالى بإعطائه الخير لنفسه في الدنيا والآخرة، وهذا ما كان متجسداً في أصحاب الأئمة عليهم السلام.

فانظر مثلاً إلى عبد الله ابن جندب هذا الرجل الصالح التقي من أصحاب إمامنا أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام كيف كان حاله في موقف عرفات يروي علي بن إبراهيم عن أبيه يقول: «**رأيت عبد الله بن جندب بالموقف فلم أرَ موقفاً كان أحسن من موقفه، ما زال مادّاً يده إلى السماء ودموعه تسيل على خديه حتى تبلغ الأرض، فلما انصرف الناس قلت: يا أبا محمد ما رأيت موقفاً قطّ أحسن من موقفك، قال: والله ما دعوت إلا لإخواني، وذلك لأن أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام**

(أخبرني أنه من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش: ولك مائة ألف ضعف مثله، فكرهت أن أدع مائة ألف ضعف مضمونه لواحدة لا أدري تستجاب أم لا)[1].

وكذلك كان عيسى بن أعين كما يروي عنه ابن أبي عمير فيقول:

«**كان عيسى بن أعين إذا حج فصار إلى الموقف أقبل على الدعاء لإخوانه حتى يفيض الناس، قال: فقلت له: تنفق مالك وتتعب بدنك حتى إذا صرت إلى الموضع الذي تبث فيه الحوائج إلى الله عز وجل أقبلت على الدعاء لإخوانك وتركت نفسك؟**

---

(١) الوسائل ج١٠ ص٢٠.

فقال: إني على ثقة من دعوة الملك لي، وفي شك من الدعاء لنفسي»[١].

وأيضاً إبراهيم بن شعيب يحكي عنه عبد الله بن جندب أنه عندما أفاض من عرفات التقى بإبراهيم وسلم عليه وكان مصاباً بإحدى عينيه، وإذا عينه الصحيحة حمراء كأنها علقة دم، فقال له: قد أصبت بإحدى عينيك وأنا والله مشفق على عينك الأخرى، فلو قصرت من البكاء قليلاً، قال إبراهيم: لا والله يا أبا محمد، ما دعوت لنفسي اليوم بدعوة.

فقال عبد الله: فلمن دعوت؟

قال: دعوت لإخواني فإني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

(من دعا لأخيه بظهر الغيب وكّل الله به ملكاً يقول: ولك مثلاه، فاردت أن أكون أنا أدعو لإخواني ويكون الملك يدعو لي، لأني في شك من دعائي لنفسي، ولست في شك من دعاء الملك لي)[٢].

فيا أيها الأخ العزيز انظر إلى هؤلاء الصلحاء إلى أي مرتبة معنوية قد رقوا، واسأل نفسك أين أنت منهم. فإنهم غير معصومين مثلك إلا أنهم اشتغلوا في صلاح سرائرهم، وتهذيب ذاتهم من الأنانية وعبادة الذات، ثم انظر إلى الفرق الشاسع بين هؤلاء العظماء في عالم الإنسانية وبين من يستغلّ فرصة وجوده في تلك الأماكن المقدسة للدعاء على الآخرين بالسوء، فلنُرَبِّ أنفسنا على محبة الخير للآخرين، ولنكبح جماح أنانياتنا فإننا مع حب الذات المتجذر في أعماق أنفسنا سوف لا نرقى مقدار أنملة في سماء الإنسانية والمعنى.

فموقف عرفات موقف ترسيخ الإيثار في القلوب، ونبذ الإنيّة والأنانيّة، نعم هذا من أعظم الآداب المعنوية لهذا الموقف العظيم، رزقنا الله تعالى هذه الدرجات بجاه من رفعهم درجات محمودة عنده.

---

(١) (٢) المصدر.

الأدب المعنوي الثاني للوقوف بعرفة

عن إمامنا زين العابدينعليه السلام: «**هل عرفت بموقفك بعرفة.. قبض الله على صحيفتك واطلاعه على سريرتك وقلبك؟**».

يعرف من كلام إمامناعليه السلام أن الوقوف بعرفة هو مقام معرفة، والمعرفة موطنها القلب وطريقها إلى القلب التفكر، فلا بد من وقفة مع النفس يستجمع فيها المؤمن الحاج قواه الباطنية، وما جناه من معرفة في مسيرته الإيمانية، كي يحصل عنده استحضار قلبي قوي للحقائق الغيبية التي من أهمها حقيقتان:

الحقيقة الأولى: هي أن تعرف (في عرفة) أن الله تعالى قابض على صحيفة أعمالك، فهو مطّلع على ما مضى من عمرك بما كان فيه من طاعة ومعصية، وهو عز شأنه مطّلع على صحيفتك فيما بقي من عمرك، فتخجل من المنعم عليك لما صدر منك من مخالفات. وتعزم (مستعيناً به تعالى) على إكمالك مسيرة ما تبقى من حياتك تحت غطاء الطاعة لله تعالى، فجدير بالعبد أن يخجل ممن يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. هذا ثمرته التوبة عما فات والعزم على الاستقامة وعدم العود فيما سيأتي.

والحقيقة الثانية: أن تعرف أن الله تعالى مطّلع على حقيقة نيتك وسريرتك وما تكنّه جوانحك، وهذا ثمرته الإخلاص في النية والعزم، والجديّة في دوام الطاعة لله تعالى، ولا تكون حالة عابرة يرجع العبد عنها برجوعه من تلك الأماكن المقدسة، فليعلم الحاج أن الله تعالى مطّلع على سريرته فإن لم يجد فيها الإخلاص سوف لا يوفقه إلى الإنتقال الدائم للاستقامة، فإنا وجدنا بعض الحجيج يتّسمون بسمات أهل الصلاح من خلال مظهرهم ولباسهم وتصرفاتهم وذلك قُبَيْل المسير إلى الحج وعند أداء

المناسك والإقامة في الأماكن المقدسة، وبُعَيد العودة، ثم بعد انخراطهم من جديد في واقعهم الدنيوي يعودون كما كانوا وكأن شيئاً لم يكن، وكأن أداء فريضة الحج محطّة في مسير الزمن طُويَت صفحتُها كسائر ما تعرضوا له من محطات، ففي الواقع ليس هذا ما أراده الله تعالى من تلكم العبادة الراقية في معانيها ومضمونها.

فخلاصة: إن موقف عرفه هو مقام معرفة واعتراف (اعرف واعترف).

اعرف مناسكك . . اعترف بذنبك

فالمعرفة هي التي تجر إلى الاعتراف، وبالمقابل إن الجهل وعدم المعرفة هو أساس كل تسويف ومماطلة وتمويه وعدم إقرار بالذنب والتقصير، فننصحك أيها الحاج العزيز أن لا تهدر وقتك في هذه الفترة القصيرة التي يفترض أن تفرِّغ نفسك فيها لعبادة ربك، وتنقطع فيها عن مشاغل الدنيا وملهياتها، بل اقتنص فرصة وجودك ـ بتوفيق من الله تعالى ـ في تلك الديار المقدسة واجعل مقاماتك مقامات معرفة واعتراف وخاصة في عرفة.

ولا تقتصر في المعرفة على مجرد الأحكام الفقهية وإن كان التفقه فيها لمن مهمات الأمور حيث إن صحة الحج تتوقف على أداء المناسك صحيحة بالمنظار الفقهي، ـ بل حاول أن تعرف الحقائق والآداب المعنوية والقلبية لتلك الحركات والسكنات الجسمية بمقدار ما وصلنا من أئمة الهدى عليهم السلام فإن القرآن الكريم يصرّح على نحو الإجمال بأن مناسك الحج خلفها منافع ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ وأهل البيت عليهم السلام قد فصلوا في بيان تلك المنافع، فمن كان يهتم بجانب المعنى، ويهمه الوصول إلى الحقائق عليه بذل الجهد للوصول إلى تلك المعارف والحقائق والفوائد المعنوية.

أقول ومن أهم وسائل نيل المعارف في موقف عرفات دعاء الإمام الحسين عليه السلام ودعاء السجاد عليه السلام فابتهل إلى الله تعالى بهذين الدعائين مع التدبر والتفكر بمضامينهما العالية الراقية، ولا تقرأهما بقلب ساهٍ فتقل جدواهما.

الأدب المعنوي الثالث للوقوف بعرفة

عندما تقف على صعيد عرفات ستطالعك عدة أمور:

١ ـ الازدحام العظيم للخق.

٢ ـ ارتفاع الأصوات والعجيج.

٣ ـ سماع الابتهال باللغات المختلفة.

٤ ـ اختلاف الألوان والعناصر، والقوميات، الكبير منهم والصغير، العاصي والمسرف على نفسه والمقتصد، الذكر والأنثى...

٥ ـ اتباع الفِرَق أئمتهم في التنقل في المشاعر وأداء المناسك، واقتفاء آثارهم، كل فرقة تتبع قائدها.

٦ ـ عدم التمايز بين كل هذه الفرق والأصناف من الخلق فالكل يلف نفسه بثوبين أبيضي اللون، خالعاً كل تمايز له عن غيره من شارة، أو رتبة، أو علامة، أو وسام، أو زي اجتماعي خاص كان يميز نفسه فيه.

كل هذه الأمور تذكِّرُكَ أيها المغمور في بحر الطبيعة بمشهد يوم القيامة حيث اجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة وسير كل أمة إثر نبيها، وامتداد أعناقهم إليهم بالشفاعة لهم عند خالقهم.

وعدم اكتراثهم للاعتبارات الدنيوية التي كانت في عالم الدنيا حيث إنه انكشف لهم يقيناً بأن لا شيء منها نافع في ذلك الموقف المهول.

فكل فرد من أفراد بني البشر يقول نفسي نفسي متحيراً لا يدري أمقبول هو أم مردود، قد ارتفعت القوميات والأنساب...

وتبددت الآمال بالرتب الاعتبارية والتقييمات الظاهرية ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾.

وحلّ مكانها تقييم الرب تعالى وهو التقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ تذكّر أيها الحاج في موقف عرفة ازدحام الخلائق يوم القيامة فقد ورد في الرواية «أن الله لم يفرض الحج... إلا للإستعداد والإشارة إلى الموت والقبر والبعث والقيامة..» (مصباح الشريعة).

وتذكَّر عندما ترى اتباع كل فرقة لقائدها أن الله تعالى يوم القيامة سوف يدعو كل طائفة بإمامها ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ فانظر الآن في الدنيا من أمامك ومن أسوتك ومقتداك كي تُدْعَى به يوم القيامة فيقودك إلى النعيم لا إلى الجحيم.

إذا استحضرْتَ ذلك كله واستشعرت على أثره الخشوع والإنابة إلى المولى عز وجل فعليك بالضراعة إليه تعالى في تحويل حالك في ذلك الموقف إلى أحسن حال، فإن الموقف شريف يحتاج إلى قلب طاهر نظيف وها أنت قد كنست فناء قلبك بألم الخوف والتخشع وحرقة الندم على ما فرطت إلى تلك الساعة في جنب الله تعالى.

وعليك أيضاً أن لا تنسى أنك تجتمع على ذلك الصعيد وفي ذلك الموقف (موقف عرفة) مع قلوب أوتاد وأبدال بل مع نور قلب إمام الزمان (عج) المتألق، تلك القلوب التي تولّى الله تعالى رياضتها، ومن خلالها تتدفق رحمة الخالق الرحيم عز شأنه فيستجيب للواقفين أدعيتهم ويبلغهم أمانيهم.

فإذا اجتمعت همم الواقفين بما فيهم أرباب القلوب وإمامنا صاحب العصر (أرواحنا وأرواح العالين لتراب مقدمه الفداء) فيما بينهم إذ أنه عجل الله تعالى فرجه يشهد عرفة في كل عام، فإن الابتهال والتضرع والدعاء والعجيج لجميع الواقفين سيصعد إلى السماء صفقة واحدة.

فإما أن يقبل الله من الإمام (عج) والبعض، ويرد الباقين.

وهذا خلاف كون الصاعد كالصفقة الواحدة، فمفترض بالصفقة أن تقبل كلها أو ترد كلها.

وإما أن ترد كلها، وهذا لا يكون وفيها عمل المعصوم ودعاؤه.

فلا بد أن نرجو رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء في قبول الصفقة كلها فيكون عملك مقبولاً ودعاؤك مستجاباً وإن كنت فاقداً لبعض شرائط القبول وذلك في ضمن تلك الأدعية والأعمال التي يتلألأ فيها عمل الإمام (عج) ودعاؤه، وعمل أرباب القلوب والمعرفة، لذلك ورد «**أن من أعظم الناس ذنباً من وقف بعرفات ثم ظن أن الله لم يغفر له**» وهذا فرع مهمّ يجري في كثير من الموارد التي أمر الله تعالى بأدائها جماعةً، كصلاة الجماعة، وصلاة الاستسقاء، والصلاة في أول الوقت.. وغيرها من الموارد التي يجتمع فيها عملك مع عمل الإمام والصالحين فتصعد الأعمال جميعها كصفقة واحدة، ويحصل الرَّجاء الكبير من الله أن يقبلها جميعاً ببركة ما يقبل من أعمال الكُمّل المستجمعين لشرائط القبول.

حسن الظن بالله تعالى

الأدب المعنوي الرابع للوقوف بعرفة:

فقد ورد كما أسلفنا «**أن من أعظم الناس ذنباً من وقف بعرفات ثم ظن أن الله لم يغفر له**»[١].

ينبغي للمؤمن في دعائه وفي كل ما يتقرب به إلى الله تعالى أن يكون محسناً للظن بربه، فيعمل العمل الصالح ويرجو من الله القبول، ويدعو الدعاء ويظن بالإجابة، بل ليكن حسن ظنه بحيث إنه يظن الإجابة في الباب..

وللأسف تجد البعض حتى لو دعا يكون دعاؤه صورياً لا رجاء فيه للاستجابة وذلك إما لكثرة الذنوب في الداعي، أو للجهل بهذا المطلب المعنوي العظيم، فلتعلم أيها العزيز أن حسن الظن بالله تعالى من الأرزاق الثمينة التي تطلب من المولى عز وجل فالإمام المعصوم عليه السلام يسأل الله في دعائه أن يرزقه حسن الظن به «**اللهم ارزقني اليقين وحسن الظن بك**».

وقد ورد عن إمامنا الرضا عليه السلام أنه قال: الله تعالى يقول: «**أنا عند حسن ظن عبدي المؤمن بي، أن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً**»[٢].

فإن الله تبارك وتعالى يحثُّ عباده على أن يحسنوا به الظن إن أرادوا النجاة وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

---

(١) الوسائل ج١٠ ص٢٢.

(٢) بحار الأنوار ج٦٧ ص٣٦٦.

«رأيت رجلاً من أمتي على الصراط يرتعد كما ترتعد السعفة في يوم ريح عاصف فجاء حسن ظنه فمسكت رعدته»[(١)].

وعنهﷺ أنه قال: «**لا يموتَنَّ أحدُكُم حتى يحسن ظنه بالله، فإن حسن الظن بالله تعالى ثمن الجنّة**»[(٢)].

ونعلم من ذلك أن حسن الظن بالله تعالى مقام معنوي ينبغي للمؤمن تحصيله في مهلة هذه الحياة وقبل أن يموت، وذلك لأنه إن فارق الحياة سَيئ الظن بالله تعالى فإنه سيتعرض لمهالك خطرة، أولها سوء الخاتمة فإذا غلب عليه القنوت عند الموت قد يخرج من الدنيا ساخطاً على ربه وقد يؤول هذا السخط إلى كراهية الخالق تعالى فيقبض وهو على هذه الحالة لذلك ورد عن النبي الأعظمﷺ: «**أكبر الكبائر سوء الظن بالله تعالى**»[(٣)].

من أين يأتي سوء الظن بالله تعالى؟

نعم إن سوء الظن بالله تعالى يأتي إما من كثرة الذنوب فيغلب على قلب الإنسان سوء الظن واليأس من تجاوز الله تعالى عنه.

وإما من استقلال العمل والتفريط في جنب الله والتقصير في التقرب إليه تعالى ونقول أما الذنوب مهما كثرت فإن بيد الإنسان طرق باب التوبة والمغفرة طالما أنه في هذه الحياة وليحسن الظن بخالقه الرؤوف الرحيم الذي يقول بلسان الرأفة والشفقة على عباده:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(٤)].

فليتأمل مَن يُسيء الظن بالله لأجل اقترافه للذنوب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ وليعلم بأنه إذا قرر بعزم إرادةِ الإنابةَ إلى الله فإنه تعالى بكرمه ورحمته يغفر كل ما بدر منه في ساعة وبمجرد أن يعلم

---

(١) ميزان الحكمة ج٥ ص٦٣٠.

(٢) البحار ج٦٧ ص٣٩٥.

(٣) ميزان الحكمة عن كنز العمال ٥٨٤٩.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

ذلك من قلبه بصدق وإخلاص، فلماذا سوء الظن بهكذا رب رؤوف رحيم.

وأما سوء الظن الناشئ من استقلال العمل فنقول إن الله تعالى يعطي الكثير بالقليل، ولا يعطي العطاء منقوصاً.

«يا من يعطي الكثير بالقليل، يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة اعطني بمسألتي إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة واصرف عني بمسألتي إياك جميع شر الدنيا وشر الآخرة فإنه غير منقوص ما أعطيت وزدني من فضلك يا كريم».

ثم إن ظن العبد بالله تعالى له نهاية، وأما كرم الله تعالى فلا نهاية له فعن رسول الله ﷺ يعلل كون الله تعالى عند حسن ظن العبد المؤمن به فيقول:

«. . . لأن الله كريم بيده الخيرات يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاه، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه»[١].

ـ من ظن بك خيراً فصدق ظنه:

نعم هكذا يأمرنا أمير المؤمنين عليه السلام والشريعة المقدسة بأن لا نخيب ظن من أحسن بنا الظن، بل نصدق ظنه، مع أننا العبيد الضعاف الأشحّاء فالمأمول من الخالق العظيم القدير الجواد أن لا يخيب ظن من أحسن به الظن فإذا كان تعالى يأمرنا بأن نكون عند حسن ظن من أحسن بنا الظن، فإنه عز شأنه سيكون عند حسن ظننا برحمته وتجاوزه وعفوه وكرمه.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **«من ظن بك خيراً فصدق ظنه»**[٢].

وقد ورد عن الإمام العسكري عليه السلام أنه قال: **«أحسن ظنك ولو بحجر يطرح الله فيه سرّه فتتناول نصيبك منه فقال الراوي: يا ابن رسول الله ولو بحجر؟**

فقال عليه السلام:

ألا تنظر إلى الحجر الأسود»[٣].

---

(١) ميزان الحكمة ج٢ باب حسن الظن بالله تعالى نقلاً عن البحار ج٧٠.

(٢) نهج البلاغة باب المختار من الحكم.

(٣) بحار الأنوار ج٧٢ ص١٩٧.

أقول ومن ذلك: الشرب من سؤر المؤمن، وحسن الظن بإمام الجماعة، والشرب من ماء زمزم، ومن ذلك أيضاً تصديق شهادة من يشهدون للميت وغفران الله تعالى بعض ذنوب الميت لأجل شهادتهم فيه.

وإن ظننت بإنسان خيراً فلك ثواب ذلك وإن لم يكن من أهل الخير.

ففي الخبر: **إن الرجل قد يكرم رجلاً على أنه من أهل الخير فيدخله الله بذلك الجنّة وإن كان في علم الله أن ذلك المكرَم من أهل النار**[١].

وهناك ما يدل على أنه قد ينقلب من أحسنت به الظن إلى الخير بعد أن لم يكن كذلك، وفي الحقيقة هذا باب عظيم من أبواب الرحمة الإلهية، الله تعالى يقبل صلاة الجماعة من الإمام والمأمومين لحسن ظن المأمومين بالإمام وتقديمهم إياه للصلاة فيهم.

وكذلك الأمور الأخرى التي ذكرناها.

أقول: إن حسن الظن بالأشياء في واقع أمره يرجع إلى حسن الظن بخالقها لذلك كل من يحسن الظن بشيء يصدق الله ظنه ويجري الأمر على وفق ظنه الحسن، فمعنى ظن الخير بشخصٍ ما يعود في حقيقته إلى أن الله تعالى قد أودع الخير المظنون في ذلك الشخص، أليس كل خير من الله تعالى ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فمرجع ظنك الحسن بشيء إلى حسن ظنك بجاعل الخير في ذلك الشيء وهو الله تعالى، وكأنك ترجو من الله تعالى أن يكون قد وضع الخير فيه، والله تعالى عند حسن ظن عبده به فإنه سيوجِد فيه ذلك الخير المظنون.

ـ ما معنى حسن الظن بالله تعالى؟ هل معناه الخلود إلى الراحة وترك العمل؟!

لا يذهبن بك الخيال إلى كون معنى حسن الظن بالله تعالى هو مقام استرخاء وتفريط وترك للعمل، فهذا من أوثق أحابيل الشيطان التي اصطاد

(١) الطريق إلى الله.

بها كمّاً كبيراً من الجهلة، حيث إنهم يفعلون كل ما تهوى أنفسُهُم الأمَّارة بالسوء ويقولون كما في اللهجة الشعبية (ليوم الله بهوّن الله).

فالحث من الشريعة على حسن الظن بالله ليس معناه الدعوة إلى التفريط في جنب الله تعالى، فالله تعالى في كتابه الحكيم يذكر مآل النفس المفرطة بقوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦].

بل مقتضى الدعوة إلى حسن الظن بالله تعالى هو الانجذاب الوجداني لما عند الله وتعظيم الرغبة في مواهبه السنية، فمن أنس بالمواهب الإلَهية ازداد طمعه في التقرب إليه تعالى، وتذلَّلَ عنده كل صعب للوصول إلى ذلك المبتغى.

وعن إمامنا الصادق عليه السلام: «**حسن الظن بالله أن لا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا ذنبك**» (البحار ج٦٧ ص٣٦٧).

قال المجلسي (قده): «فيه إشارة إلى أن حسن الظن بالله ليس معناه ومقتضاه ترك العمل والاجتراء على المعاصي اتكالاً على رحمة الله، بل معناه أنه مع العمل لا يتكل على عمله، وإنما يرجو قبوله من فضله وكرمه، ويكون خوفه من ذنبه وقصور عمله لا من ربه، فحسن الظن لا ينافي الخوف بل لا بد من الخوف وضمه مع الرجاء وحسن الظن».

وقد أوضح إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام أن حقيقة حسن الظن بالله تعالى متقومة بإخلاص العمل، وبالخوف من الله تعالى، وبرجاء العفو عن الزلاّت التي تبدر من العبد، يقول عليه السلام: «**حسن الظن أن تخلص العمل، وترجو من الله أن يعفو عن الزلل**».

وفي رواية أخرى: «... **فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه، وإن أحسن الناس ظناً بالله أشدهم خوفاً لله**» فكأن لسان حال العبد الذي يحسن الظن بخالقه هو: أن يا رب إني أخافك، وأحرص على أن أتقي عذابك بكل إخلاص، وبكل ما أوتيت من طاقة، ولكن مع ذلك يا رب إني أجد نفسي في معرض الزلل من حين لآخر، وبين الفينة

والأخرى، فرجائي كبير مع شدة الخوف منك أن لا تخيب ظني بإحسانك وعفوك.

يا رب..

أنت تريد منا أن نكون عند حسن ظن من أحسن بنا الظن فإذا كان هذا المأمول من العبد الضعيف الحقير المسكين المستكين الشحيح اللئيم، فكيف بمن أحسن الظن بك أنت يا أكرم الأكرمين وأجود الأجودين، ياذا القوة المتين، يا من بعباده رؤوف رحيم!!؟

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**من ظن بك خيراً فصدق ظنه**».

ونحن يا ربنا نحسن ظننا بك فصدق ظنوننا فإنك أولى بذلك منا.

نعم لقد روي من عظم رحمة الله، وعفوه، وتصديقه لظن من أحسن به الظن ما يذهل الإنسان عند سماعه، ففي الرواية:

إن آخر عبد يؤمر به إلى النار فإذا التفت فيقول الجبّار: ردّوه، فيردونه، فيقول له لِمَ التفتّ؟

فيقول: يا رب لم يكن ظني بك هذا.

فيقول: وما كان ظنّك بي؟

فيقول: يا رب كان ظني بك أن تغفر لي خطيئتي، وتُسكِنَني جنَّتك.

فيقول الجبار: يا ملائكتي وعزتي وجلالي وآلائي وعلوي وارتفاع مكاني ما ظن بي عبدي هذا ساعة من خير قط، ولو ظن بي ساعة من خير ما روَّعتُه بالنار، أجيزوا له كذبه وأدخلوه الجنّة.

ثم قال عليه السلام: قال الله عز وجل: «**ألا لا يتكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي، فإنهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم أعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عباداتهم كنه عبادتي فيما يظنونه عندي من كرامتي، ولكن برحمتي فليثقوا، ومن فضلي فليرجوا، وإلى حسن ظني فليطمئنوا، فإنّ رحمتي عند ذلك تُدرِكُهُم، ومِنَّتي تبلُغُهم، ورضواني ومغفرتي تلبسهم، فإني أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك سميت**».

وعن العالِم عليه السلام: **«إن الله تعالى أوحى إلى موسى بن عمران أن يحبس رجلين من بني إسرائيل فحبسهما ثم أمر بإطلاقهما، قال فنظر إلى أحدهما فإذا هو مثل الهدبة، فقال له: ما الذي بلغ بك ما أرى منك؟ قال: الخوف من الله، ونظر إلى الآخر لم يتشعب منه شيء، فقال له: أنت وصاحبك كنتما في أمر واحد، وقد رأيت ما بلغ الأمر بصاحبك وأنت لم تتغير، فقال له الرجل: إنه كان ظني بالله جميلاً حسناً، فقال: يا رب قد سمعت مقالة عبديك فأيهما أفضل؛ قال: صاحب الظن الحسن أفضل»**[1].

ـ ومن الفوائد العظمى الأخلاقية للوقوف بعرفة والمزدلفة ومنى.. تواضع العبد ورجوعه إلى قدره الواقعي بعد اختزال كل الفوارق والعلامات والمميزات الاعتبارية فإذا عرف المرء حدّه وقدره ولم يتجاوزه كان مرحوماً (رحم الله امرءاً عرف حدّه فوقف عنده) فكم من رجل غرّه المال أو السلطة فتجاوز طور العبودية واستطال على خلق الله تعالى بملك أو عنوان اعتباريين، فكل تلك الظواهر والاعتبارات الدنيوية تسقط في تجمع الحج الهائل ذكر البعض عن طبيب مشهور قد رزقه الله تعالى المال والسمعة والشهرة فكان فيه نفحة تكبر على الآخرين من عباد الله، وقد رزق في سنةٍ حجّ بيت الله الحرام، وبقي على ما به من أخلاق إلى أن فقد رفاقه وقافلته وضيعهم في المزدلفة، وبقي يومين تائهاً شريداً ينظر إلى الآخرين دون أن يعرفونه ولا يعيرونه أهمية لأجل عنوانه، ولا من شارة ولا علامة تميزه عن الآخرين وتدل الآخرين على عنوانه ومقامه، فالجميع في مشهد واحد في ثياب واحدة متواضعة لا تفاضل ولا تمايز في المقامات الظاهرية وأما المقامات المعنوية فالله يعلمها، وبعد مرور يومين بتلك الحال عثر على رفاقه فبادروه بقولهم: الحمد لله لقد وجدناك فأجابهم ذلك الطبيب ولكن بجواب له أهمية كبرى يحمل في طياته مرارة التجربة التي مرّ بها وحلاوة الموعظة والحكمة التي عثر عليها في طيات ذلك الامتحان أجابهم بقوله: كلا بل الحمد لله لقد وجدت نفسي بعد جهل بها؟!!!.

ما أروع أن يستفيد المؤمن الحاج تلك الاستفادات المعنوية من

---

(١) مستدرك الوسائل ج١١ ص٢٤٩ ـ تفسير الصافي ج٤ ـ تفسير نور الثقلين ج٤.

مناسك الحج المقدسة. ثم عليك يا من أراد الحج الإبراهيمي أن لا تغفل عن أن أعمال الحج التي مبدؤها الوقوف بعرفة بعد الإحرام هي سلسلة مترابطة من المقامات المعنوية غايتها ومنتهاها وسنامها وبيت قصيدها الوصول إلى مقام التضحية الذي هو البلاء المبين، وبه يمتاز المخلص من غيره، وبه تقع المفاضلة في الدرجات.

فمبدأ السلسلة مقام التخلية والتصفية وذلك يتم في يوم عرفة العظيم حيث يتم فيه الاعتراف والمعرفة بمنازل طريق العروج والمعرفة بضعف النفس وتقصيرها في مقام الطاعة والعبودية للخالق عز شأنه، وفيه يتم طلب المغفرة والتجاوز والرحمة، فيفيض الحاج من هذا المنزل المشهود وقد نفض عن كاهله غبار المعاصي التي كان قد ارتكبها، وتخلص من أهم موانع التوفيق والقبول وهو درن الذنوب الذي كان قد ران على قلبه لذلك إن من أعظم الناس ذنباً من وقف بعرفات ثم ظن أن الله لم يغفر له وإذا انصرف الحجيج نادى مناد (عن الله تعالى) انصرفوا مغفورين فقد ارضيتموني ورضيت عليكم.

فهذا المقام الأول وهو مقام التوبة والتصفية والتخلية.

ثم المزدلفة مقام الاستعداد القلبي المعنوي بالذكر والدعاء وجمع الحصى لرمي الجمار.

ثم في اليوم العاشر يبتدئ الجهاد بالقضاء على التسويلات الشيطانية من خلال رمي الجمرة الكبرى.

وبعدها يصل إلى أوج الخضوع والتعبير عن المحبة والعشق للبارئ من خلال التضحية بأعز ما يمكن أن يكون على قلب ابن آدم التضحية في الحج الإبراهيمي تضحية بثمرة الفؤاد في سبيل الله تعالى. فيسهل أمام هذه التضحية كل أنواع وأصناف التضحيات

الآداب المعنوية للمزدلفة «المشعر الحرام»

ـ **أولاً**: اعلم أنك عند دخولك المزدلفة، قد أشرفت على رحمة الله تعالى، وتنسمت نسائم العطف الإلهي، لأن المزدلفة من الحرم، وعرفة خارجة عنه، ولم يكن لك لتدخل المزدلفة التي هي ضمن الحرم قبل الغروب من يوم التاسع، فعليك أن ترعى حرمة هذا الإذن من الله تعالى بدخولك حرمه من جديد، وذلك بأن تشعر قلبك التقوى والمخافة من الله تعالى، المخافة التي تردعك عن معاودة العصيان. فعن إمامنا السجاد﴿ع﴾: «**فعندما مررت بالمشعر الحرام نويت أنك أشعرت قلبك إشعار أهل التقوى والخوف لله عزّ وجل**..».

فمن دخل حرم الملوك خاف من أن لا تكون فيه اللياقة للكون في حرمهم، فيكون بذلك منتهكاً لحرماتهم، وخاف من ضياع فرصة نيل كراماتهم وعطاياتهم ومواهبهم لكونه قد وصل من التقصير لدرجة عدم استحقاقها. ولكن هو مع ذلك يرجو الرحمة والرأفة والتجاوز فهو بين خوف ورجاء.

ـ **ثانياً**: قد ورد في بعض الآثار أن إبراهيم الخليل﴿ع﴾ قد رأى في هذه الليلة تلك الرؤيا التي أمر فيها بذبح ابنه اسماعيل﴿ع﴾، فهذه الليلة هي ليلة الاستعداد القلبي والروحي للتضحية في سبيل الله، فهي ليلة ذكر وتصفية واستعداد لليوم الآتي الذي سيكون فيه اختبار عظيم، وتعبير عن العبودية الخاصة، فإن التضحية هي أرقى تعبير عن المحبة والعشق وعن الصدق في الطاعة والخضوع والعبادة. وما أشبه هذه الليلة بليلة عاشوراء، ووجه الشبه هو ليلة استعداد للتضحية والفداء في سبيل الحبيب الخالق البارئ المصور، فإبراهيم﴿ع﴾ كان يستعد ليلة العيد للبلاء المبين وهو

التضحية بابنه إسماعيل عليه السلام والأنوار الكربلائية وعلى رأسهم بدرهم سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام كانوا في تلك الليلة يستعدون بشحن أنفسهم المقدسة بالمعاني السامية العرفانية فكان لهم ليلة عاشوراء دوي كدوي النحل، فليست التضحية بالأمر السهل فقد يصغي الإنسان إلى تسويلات الشيطان فينقلب على عقبيه ويبخل بنفسه عن نصرة الحق، وقد حصل ذلك للعديد ممن كانوا مع الإمام الحسين عليه السلام. فعند التضحية بالمال والنفس يكرم المرء أو يهان وعند تقلب الأحوال تعرف جواهر الرجال.

وإذا حُكَّ التِّبرُ على المحَكِّ   تبيَّنَ غشه من دون شَكِّ

ولكن الفرق بين إبراهيم عليه السلام وبين الحسين عليه السلام هو أن إبراهيم في آخر لحظة ارتفع عنه البلاء والتكليف العسير بذبح ابنه، بينما الحسين عليه السلام لم يرتفع عنه ذلك حتى بذل وضحى بالفعل بأصحابه وأولاده وأهل بيته وبنفسه المقدسة.

فإذن ليلة الوقوف بالمزدلفة هي ليلة شحن وتعبئة روحية، ليلة قرب وعروج عرفاني، ليلة ذكر وطلب وابتهال إلى الله لنيل التوفيق والعون وعدم الخذلان، فيستحب إحياؤها بالعبادة والدعاء.

وأنت أيها الحاج عليك أن تعد نفسك لتغيير نفسك وتطهيرها من الجبن والبخل، والحرص على الدنيا، والطمع في حطامها، فمع هذه الخصال لا تجود النفس ولا تضحي في سبيل الله تعالى وهذا يحتاج إلى الانتصار على شيطانك ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾.

ومن هنا يستحب التقاط الحصى في هذه الليلة استعداداً للمعركة مع شيطان النفس فإنه ليس من السهل الانتصار عليه، فبالذكر والتضرع والتعبئة الروحية والمعنوية في هذه الليلة، وتهيئة أدوات مجاهدة الشيطان والانتصار عليه التي رمزها الحصى التي تُلْتقَط في ليلة الوقوف بالمزدلفة، بهذا كله يكون العبد قد استعد ليوم العاشر يوم التضحية والفداء الذي من شأنه تغيير الحال ورفع الدرجات. ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ [البقرة: ١٩٨].

ـ **ثالثاً**: التقاط الحصى، علاوة على أنه رمز للاستعداد النفسي المعنوي، والتهيئة الروحية لصرع الشيطان فيما سيأتي، له دلالة معنوية

أخرى يعلمنا إياها الإمام السجاد عليه السلام بقوله: «**فعندما مشيت بمزدلفة ولقطت منها الحصى، نويت أنك رفعت عنك كل معصية وجهل، وثبتّ كل علم وعمل**».

ويستحب الدعاء بالمأثور في هذه الليلة ومنه:

(«اللهم هذه جَمْعٌ، اللهم إني أسألك أن تجمع لي فيها جوامع الخير اللهم لا تؤيسني من الخير الذي سألتك أن تجمعه لي في قلبي، واطلب إليك أن تعرفني ما عرّفت أولياءك في منزلي هذا، وأن تقيني جوامع الشر». «اللهم رب المشعر الحرام فك رقبتي من النار، وأوسع عليَّ في رزقك الحلال، وادرأ عني شر فسقة الجن والإنس، اللهم أنت خير مطلوب إليه، وخير مدعو، وخير مسؤول، ولكل وافد جائزة، فاجعل جائزتي في موطني هذا أن تقيلني عثرتي وتقبل معذرتي، وأن تجاوز عن خطيئتي، ثم اجعل التقوى من الدنيا زادي»).

ويستحب تأخير العشاءين إلى المزدلفة، والجمع بينهما بأذان واحد وإقامتين وإن ذهب ثلث الليل.

أَدبُ الوصُول إلى مِنَى

عن الإمام السجّاد عليه السلام: **«نويت عندما وصلت منى أنك بلغت إلى مطلبك وقد قضى ربك لك كل حاجة؟»**.

فأدب (منى) أن تستشعر بأنك وصلت إلى المُنى، وذلك بقضاء حوائجك الدنيوية والأخروية، وخاصة بعد الرمي والتضحية.

فعرفات تطهيرٌ من الذنوب، والمزدلفة استعداد لما في (منى) من رمي الجمرات، وصرع الشيطان، والتضحية، وبذلك يتم الانتصار على إبليس وجنوده وعلى شيطان النفس الأمارة بالسوء، وكسر تلك النفس وتذليلها، وأخذ التعهد منها كي تكون دائماً بجهوزية تامة للوقوف في وجه هوى النفس، وما تتعرض له من تسويلات وإغراءات بالمعاصي، وكي تكون حاضرة في كل آن لتقديم التضحيات بالغالي والنفيس في سبيل الله تعالى والمبادئ والشرع المقدس.

فإذا وصل الإنسان الحاج إلى هذا المقام بهذا التدرج فإنه سيكون قد حقق المنى ووصل إلى المُبتغى ومَخَرَ العباب، ووصل إلى لب اللباب.

الآداب المعنوية لرمي الجمرات

ـ **أولاً**: بعد الاستعداد المعنوي والتهيئة الروحية اللتين حصلهما المؤمن الحاج في عَرفة والمزدلفة، يصل إلى منى وملؤه التصميم على اجتثاث أصول مسببات الزيغ عن الطريق الرباني القويم، التي أساسها تسلط الشيطان على النفس، وإغواءات النفس الأمارة بالسوء، فأول عمل يقوم به رمي الجمرة الكبرى (جمرة العقبة) بسبع حصيات، يؤكد بالرمية تلوى الأخرى في قلبه ونفسه رجم شيطانه، وإخساءه وإذلاله مستعيناً بالله تعالى داعياً إياه في توفيقه لذلك قائلاً عند كل رمية حصى:

«الله أكبر، اللهم ادحر عني الشيطان، اللهم تصديقاً بكتابك وعلى سُنَّة نبيك، اللهم اجعله حجاً مبروراً، وعملاً مقبولاً، وسعياً مشكوراً، وذنباً مغفوراً» وعندما يعود إلى منزله في منى يقول راجياً خالقه في توفيقه واثقاً به متوكلاً عليه: «اللهم بك وثقت وعليك توكلت، فنعم الرب ونعم المولى ونعم النصير».

يقول إمامنا زين العابدين عليه السلام: «**فعندما رميت الجمار نويت أنك رميت عدوك ابليس وأغضبته بتمام حجك النفيس**».

ولعلّه من حقائق الابتداء برمي أكبر الجمرات أنه ما لم ينتصر على أقوى شياطينه فإنه سوف لا يتأهل روحياً للتضحية بثمرات الأفئدة في سبيل الخالق جل شأنه.

فإذا تأكد ذلك في سريرته بصدق وإخلاص يكون قد أصبح مؤهلاً للانتصار في المرتبة التالية على النفس الأمارة بالسوء وذلك بكسر الأنانية والحرص على متاع الدنيا، وتطهيرها من الذمائم الأخلاقية فيقدم على التضحية.

ونعلم من ذلك أن الحاج لكي يحج حجاً معنوياً يجب أن لا تبقى حاله ما بعد الرمي كما كانت قبله بل ينبغي أن يجد تغيراً معنوياً في ذاته.

فيرى أن نفسه قد تحررت من قيود وأغلال شياطين الجن والإنس، وتطهرت سريرته من رذائل الأخلاق، من تكبر، وحسد، وكراهية للمؤمنين، وحرص على الدنيا..

فتهجم نفسه عندئذٍ على التعبير عن ذلك بتقديم القربان والأضحية، فإن أرقى علامات الصدق في المحبة والإخلاص هو التضحية.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**وارمِ الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمار**».

- **ثانياً**: التأسي بإبراهيم الخليل عليه السلام وبآدم الصفي عليه السلام:

فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

(أن جبرئيل عليه السلام ذهب بإبراهيم عليه السلام إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ، ثم أتى الجمرة الوسطى فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ، ثم أتى الجمرة القصوى، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات، فساخ)[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

(إن الجمار إنما رميت لأن جبرئيل عليه السلام حين أرى إبراهيم عليه السلام المشاعر برز له إبليس فأمره جبرئيل أن يرميه فرماه بسبع حصيات، فدخل عند الجمرة الأولى تحت الأرض فامسك، ثم إنه برز له عند

---

(١) مستدرك الوسائل ج١١ ص٢٤٩ تفسير الصافي ج٤ تفسير نور الثقلين ج٤.

(٢) معالم المدرستين ج١ ص٦٢ نقلاً عن مسند أحمد والطيالسي.

الثانية فرماه بسبع حصيات أخر فدخل تحت الأرض في موضع الثانية، ثم برز له في موضع الثالثة فرماه بسبع حصيات فدخل موضعها)(١).

وفي البحار عن علل الشرائع رواية عن إمامنا الصادقعليه السلام:

.. ثم أخذ جبرئيل بيد آدم فانطلق به إلى البيت فعرض له إبليس عند الجمرة فقال له: يا آدم أين تريد؟

قال جبرئيلعليه السلام:

..(يا آدم ارمه بسبع حصيات وكبّر مع كل حصاة تكبيرة، ففعل آدم ذلك كما أمره جبرئيل فذهب إبليس، ثم أخذ بيده في اليوم الثاني فانطلق به إلى الجمرة فعرض له إبليس فقال له جبرئيلعليه السلام: ارمه بسبع حصيات وكبر مع كل حصاة تكبيرة، ففعل آدم ذلك فذهب إبليس، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فقال له: يا آدم أين تريد؟ فقال له جبرئيل: ارمه بسبع حصيات وكبِّر مع كل حصاة تكبيرة ففعل ذلك آدم فذهب إبليس، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فقال له: يا آدم أين تريد؟ فقال له جبرئيل: ارمه بسبع حصيات وكبر مع كل حصاة تكبيرة ففعل ذلك آدم فذهب إبليس، ثم فعل ذلك به في اليوم الثالث والرابع فذهب إبليس، فقال له جبرئيلعليه السلام: إنك لن تراه بعد مقامك هذا أبداً)(٢).

ـ **ثالثاً**: استحضار حادثة الأمر بذبح إسماعيلعليه السلام التي نستلهم منها الانتصار على تسويلات إبليس في أصعب الأحوال وأشقها ففي الرواية:

لما أسلما الأمر لله وقد التهبت نيران الحسرة والحزن في قلب إبراهيمعليه السلام

(وأخذ ابنه ليضجعه أقبل إليه إبليس بصورة شيخ كبير وقال له: ما تريد من هذا الغلام)؟

---

(١) قرب الإسناد (طبع إيران) ص٦٨.

(٢) بحار الأنوار ج١١ ص١٦٨ عن علل الشرائع.

قال: أريد أن أذبحه!

قال اللعين: سبحان الله! تذبح غلاماً لم يعص الله طرفة عين؟!

قال إبراهيمعليه السلام: إن الله أمرني بذلك.

قال إبليس: إن ربك ينهاك عن ذلك، وإن الذي أمرك به هو الشيطان.

قال إبراهيمعليه السلام: (ويلك إن الذي بلغني هذا المبلغ هو الذي أمرني به ومنه الكلام الذي وقع في أذني).

قال اللعين: لا والله ما أمرك بهذا إلا الشيطان.

قال إبراهيمعليه السلام:(لا والله لا أكلمك).

قال اللعين: إنك إمام يقتدى بك، وإنك إن ذبحته ذبح الناس أولادهم. فلم يكلمه إبراهيمعليه السلام وأقبل إلى الغلام..[(١)].

فانظر أيها الرامي للجمرات كيف أن إبراهيمعليه السلام خليل الرحمٰن كان رميه للشيطان ظاهراً وباطناً، صورةً ومعنى، مظهراً ومضموناً، وقولاً فعلاً وموقفاً، فاحرص أن يكون إبراهيمعليه السلام إمامك في ذلك، فلا يكونّن رميك مظهراً قشرياً خالياً من اللب والمضمون والموقف والتطبيق والتنفيذ في الخارج، فكن صلب الإيمان، قوي الإرادة، نافذ البصيرة، لا يقدر إبليس على أن يستهويك، ويغويك، ويستجرك إلى مخالفة أوامر الخالق (عز وجل) بتسويلاته وإغواءاته وحبائله، فإن الشيطان له أساليب خداع وتزيين لا تحصى وقد يُدخل ابن آدم في مائة باب من الخير كي يدخله في باب من الشر والفتنة فانظر إلى المنطق الذي جاء به إلى النبي إبراهيمعليه السلام كيف أنه يبدو بظاهره منطقاً مقنعاً يتضمن العقل ويتضمن العاطفة والوجدان وترقيق القلب، ولكن كل هذا لا ينطلي على الموحِّد التوحيد الإبراهيمي الذي اطّلع على ملكوت السموات والأرض.

---

(١) راجع تفسير علي بن إبراهيم القمي ج٢ ص٢٢٤.

فالرمي ينبغي أن يكون مظهراً وحقيقة ومضموناً معبراً عن الانتصار على إبليس، وليس عداوة ظاهرية لإبليس مع طاعته في مقام العمل.

يقول أمير المؤمنين‌عليه‌السلام: «**لا تسبنّ إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر**»[1].

ـ **رابعاً**: قد يكون في البدء برمي الصغرى في اليومين الحادي عشر والثاني عشر إشارة إلى التدرج مع النفس في معركتها ضد الشيطان، فهو تعبير عن السلوك التصاعدي في سلم الكمال ومجاهدة إبليس، فأولاً نجاهد تسويلات الشيطان الضعيفة، فإذا انتصرنا عليها انتقلنا إلى الأقوى والأخطر، إلى أن نوفق للانتصار على إبليس وجنوده في غالب الميادين التي ينصب لنا شباك إغواءاته فيها.

ولعل تكرار الرمي في اليومين الحادي عشر والثاني عشر بعد رمي جمرة العقبة في اليوم العاشر من ذي الحجة لعلّه لأجل التأكيد في النفس إبعاد اللعين إبليس والانتصار عليه وعلى جنوده، فكأن أساليبه وتزييناته وتسويلاته مترسخة في النفوس ومتجذرة في الأعماق فتحتاج في قلعها واجتثاثها إلى تكرار الضربات، وتوجيه السلاح الرباني إليها مرة بعد أخرى (ورمزه الخارجي الرمي) فيحصل القضاء المبرم على هذا العدو اللدود بتوفيق الله تعالى.

وقد قال جبرئيل‌عليه‌السلام لآدم بعد إتمام الرمي وتكراره في الأيام المفروضات:

«**إنك لن تراه بعد مقامك هذا أبداً**» وقد تقدمت الرواية.

أقول وأخيراً لا يفوتنك الثواب على الجنبة التعبديّة لرمي الجمرات وهي الانصياع للأمر متجاوزاً لكل الاعتبارات التي قد يخيلها إبليس من أن هذا الذي ترميه إن هو إلا حجر فما الفائدة من رميه وغير ذلك.

---

(١) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ج٢٠ ص٣٢٩.

الآداب المعنوية للتضحية

إن التضحية مقام شامخ من مقامات التسامي الروحي، وهي أدل دليل على الإخلاص والمحبة، يُمتحن في رحابه المريدون ومدّعو الحب والعشق. . .

فمن ادعى أنه مريدٌ ومحب ثم بخل بالتضحيات في سبيل محبوبه كان ادعاؤه زيفاً وحبّه خيالاً ووهماً. .

وقد يُدَّعى أن كل ما تقدم من أعمال ومناسك كان محصوله المعنوي مقدمةً للوصول إلى هذا المقام العرفاني الشامخ، مقام تقديم القربان والفداء على مذبح المحبة والعشق الإلّهيين.

فعرفة:

مقام غفران الذنوب، وتطهير النفس من أدرانها المانعة من الخلوص للخالق، ومقام الدعاء للتوفيق والعون واستمداد القوة المعنوية من المعبود.

ومزدلفة:

مقام الذكر، وتعزيز الإرادة الإيمانية الصلبة المستمدة من الحقائق النورانية التي يفيضها المولى على عباده في تلك الليلة.

مقام التعبئة الروحانية، وشحذ سيف الهمة في النفس.

مقام جمع كل قوة معنوية في كيان النفس، والارتباط بالملكوت والاستمداد منه لأمر عظيم، ومعركة حاسمة مع النفس والشيطان، فهي مقام (وأعدوا) المعنوي.

وأما منى:

فهي مقام الرجاء والأمل بالإمداد الإلهي الغيبي وعدم ورود المعركة ضد الشيطان والنفس الأمارة بالسوء بمعزل عن توفيق الله تعالى وتسديده.

ثم إن رمي الجمرة الكبرى: نتيجتها خذلان الشيطان وإذلاله والانتصار عليه.

فكل هذه المقامات والمناسك المقدسة التي حصلناها وحققناها ظاهراً وباطناً، تُعِدُّنا وتؤهِّلُنا لنكون لائقين بهذا المقام الشامخ المتألق في سماء الحب والعشق الإلَهيين أعني مقام التضحية.

فهو الامتحان الحقيقي الذي لا تُزوَّرُ نتائجه، ويُميَّز فيه بين الصادق والكاذب بين صاحب الحقيقة والمدَّعِي، لذلك يصفه الله تعالى بالبلاء المبين عندما يتحدث عن التضحية الإبراهيمية (وإن هذا لهو البلاء المبين).

وبعد هذا الامتحان العظيم والبلاء المبين نال إبراهيم الخليل عليه السلام وسام الإمامة ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

ونال عليه السلام وسام الوفاء من خالقه أيضاً حيث قال تعالى بشأنه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾.

والتضحية ـ ذلك التعبير المتألق عن العشق والصدق والإخلاص ـ لها درجات ومراتب فكل عبد مبتلى ومختبر بمرتبة من مراتبها.

فهناك التضحية بالمال والممتلكات.

والتضحية في المجالات المتعددة من الكمالات، والفنون، والعلوم، والطاقات العقلية والذهنية، وأعز التضحيات التضحية بثمرات الأفئدة، والتضحية بالنفوس.

يقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

﴿قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾.

وفي الرواية: «**فوق كل ذي بر حتى يقتل الرجل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر**»[١].

فلكي يكون المؤمن صادقاً في دعوى إيمانه لا بد أن يكون مضحياً ليثبت حقيقة تلك الدعوى فالتضحية هي المثبِت الذي لا غبار عليه، وأدنى ما يؤدَّى به ذلك التعبير هو بذل ما رزقه الله تعالى من أموال ومتاع ومقتنيات، ومواهب، وطاقات، ولا يخفى أن في ذلك مراتب أيضاً، فمن بذل القليل ليس كمن يبذل الكثير، ومن بذل في حالة الفقر أعظم ممن يبذل وهو مستغنٍ...

وقد تصل التضحية إلى مستوى بذل النفس، أو بذل ما هو عزيز كالنفس من ثمرات الأفئدة، والأعزة، وأفلاذ الأكباد، كما قدم الحسين عليه السلام علياً الأكبر والعباس ليحتسبهم عند الله، وكما قدم العباس أخوته ليستشهدوا بين يديه أيضاً ليحتسبهم في سبيل الله تعالى قبل أن يستشهد وقد تصل التضحية إلى أن يؤمَر المرءُ هو نفسه بأن يضحي بفلذة كبده فينفذ أمر خالقه ومعبوده وينصاع إليه كما جرى لإبراهيم الخليل عليه السلام حيث أُمِرَ بذبح ابنه بنفسه.

فعليك أيها الحاج الكريم أن تستحضر هذه الحادثة الخالدة التي أراد الله تعالى أن يخلدها إلى يوم القيامة من خلال الأمر بالأضحية في اليوم العاشر من ذي الحجة لتكون حافزاً دائماً وقوياً للتضحية في سبيل الله تعالى وعدم البخل بشيء مهما عظمت قيمته وحرمته في سبيل الله وشريعته ودينه.

---

(١) الوسائل ج١١ ص١٠.

التضحية الإبراهيمية

يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**فعندما ذبحت هديك نويت أنك اتبعت سنة إبراهيم عليه السلام بذبح ولده، وثمرة فؤاده، وريحان قلبه..**».

إن إبراهيم عليه السلام كان قد رأى في ليلة مبيته في المشعر في عالم الرؤيا أن الله تعالى أمره بذبح ابنه، وكان ابنه اسماعيل غلاماً يافعاً لعله قد بلغ الثلاثة عشر سنة، وكان من أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خَلقاً وخُلُقاً، وفي جبينه يتلألأ نور خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وكان قد تعلق به قلب أبيه أيما تعلق، وخاصة أنه كان قد رزق به بعد الشيخوخة وكبر السن، وكل ما تقوله في إبراهيم قُلْه على أعظم وأشد في هاجر أمه حيث عاطفة الأم عادة تكون تربو على عاطفة الوالد.

وبعد الإفاضة من المزدلفة والوصول إلى منى أمر إبراهيم عليه السلام هاجر بالذهاب إلى مكة للطواف حول موضع البيت، ثم طلب من إسماعيل أن يأخذ الحبل والمدية معه للاحتطاب، وعندما انتهى به إلى موضع الجمرة الوسطى استشاره فيما رآه في المنام من الأمر بالذبح «**قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى**» فاستقبل الغلام أمر ربه بكل خضوع وتسليم «**قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين**».

ولك أنت أن تُصَوِّرَ في نفسك حال إبراهيم في تلك اللحظات التي أراد أن ينفذ فيها حكم التضحية بابنه ذبحاً وبيده نفسه، وخاصة مع ما في ذلك الغلام من خصوصيات تذيب الأكباد من العطف والحنو والشفقة، جمال خَلْقي في الصورة، وحسن خُلُقي، وانصياع تام، ورجاحة في العقل، وحصافة في الرأي، كل ذلك جعل نيران الحنو الأبوي والشفقة والعاطفة تلتهب في كيان إبراهيم عليه السلام وفؤاده وجوانحه.

وما يزيد هذا المعنى ما بدأه من تسجيل وصاياه التي تقرح القلوب وتذيب الأحشاء:

(ـ يا أبتاه خمّر وجهي (أي غطي وجهي بخمار للحد من استثارة شفقة الأبوة حين إنفاذ أمر الله تعالى).

ـ اشدد وثاقي ورباطي حتى لا اضطرب عند الذبح.

ـ واكفف عني ثيابك كي لا تتلطخ بشيء من دمي فتراه أمي.

ـ واشحذ شفرتك وأسرع مر السكين على نحري ليكون أهون علي، فإن الموت شديد.

ـ وابلغ سلامي إلى أمي وكن رفيقاً بها من بعدي..)

كل ذلك والخليل عليه السلام يستمع إليه وقد تفتت كبده، وغارت عيناه في حدقتيه يتململ تململ السليم وقد اختنق بعبرته واضطرمت حشاياه...

أقول: تأمل مضامين ما ورد في هذه الوصية من عناوين، واعتنِ بها جيداً:

ـ الشفقة (من الولد اسماعيل) على الوالد مع أنه (الولد) هو الذبيح!

ـ الإعانة على أمر الله ولو كان تنفيذه بذبحه!.

ـ شدة الموت ونزع الروح!

ـ مدى البر بالوالدة والتفكير بها ـ والشفقة عليها والإيصاء بها لما بعد الموت!

وأخيراً أقبل على الغلام يُقبل خدّه قائلاً: نِعْمَ العون أنتَ يا بني على أمرِ اللهِ ثم فَرَشَ له قرطان الحمار (وهو الحلس الذي يلقى تحت الرحل) واضجعه عليه، والفتى يسأل أباه الوثاق ويطلب منه أن يربط يديه ورجليه حذراً من الاضطراب عند شدة السكين على نحره، وأبوه يقول: الوثاق مع الذبح؟! لا والله لا أجمعهما عليك!

ثم أخذ السكين وقد اضطجع الغلام على جنبه الأيمن تجاه موضع الكعبة المكرمة، ماداً، يديه مسبلاً رجليه، هادئاً مستقراً مستسلماً لأمر ربه.

ورفع إبراهيم رأسه إلى السماء باكياً مناجياً ربّه وقد وضع المدية على نحر ولده إسماعيل عليه السلام ثم شد عليها بقوة تامة مع شفرتها الحادة، ولكنها لم تؤثر في رقبة الغلام، فعجب من ذلك ونظر إلى المدية فإذا هي مقلوبة، وهكذا أعاد وضع المدية ثانياً على رقبة الغلام التي تُضَاهِي الحرير وشد عليها بتمام قدرته فلم تؤثر وكذلك في المرة الثالثة (وكان جبرئيل الأمين عليه السلام يقلبها بأمر الجليل تبارك وتعالى).

بينما هو كذلك وإذ بجبرئيل يظهر من قبل جبل ثبير ومعه كبش غنم هبط به من الجنّة لم تلده أنثى وإنما خلقه الله تعالى بقدرته من غير أب وأم، وكان كبشاً أملح أغبر (أي أبيض يخالطه سواد)، فتقدم إليه جبرئيل عليه السلام وأثار الغلام من تحته ووضع الكبش مكانه وأمره بذبحه ونودي من ميسرة مسجد الخيف ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾.

وقد ذكر الله تعالى حادثة الفداء في كتابه المجيد بقوله تعالى:

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

محاولة إبليس اللعين لصد إبراهيم الخليل عليه السلام عن التضحية:

وأما إبليس اللعين فلم يترك حيلة ولا سبيلاً لكي يثني إبراهيم عن عزمه ويقصيه عن تنفيذ أمر ربه، فإنه أقبل إليه بصورة شيخ كبير (عندما أسلما لأمر الله هو وابنه إسماعيل).

وقال له: يا إبراهيم ما تريد من هذا الغلام؟

قال إبراهيم عليه السلام: أريد أن أذبحه؟

قال: سبحان الله! تذبح غلاماً لم يعصِ الله طرفة عين؟

قال عليه السلام: إن الله أمرني بذلك.

قال اللعين: إن ربك ينهاك عن ذلك، وأن الذي أمرك به هو الشيطان.

قال عليه السلام: ويلك إن الذي بلغني هذا المبلغ هو الذي أمرني به، ومنه الكلام الذي وقع في أذني.

قال اللعين: لا والله ما أمرك بهذا إلا الشيطان.

قال إبراهيم عليه السلام: لا والله لا أكلمك.

ثم جاءه اللعين بصورة برهان آخر وحجة أخرى، وإن إبليس هذا دأبه في تكثير الأساليب وتعديد الحِيَل لإيقاع ابن آدم في مخالفة الأوامر الإلهية.

قال اللعين: يا إبراهيم إنك إمامٌ يُقْتَدَى بك، وإنك إن ذبحته ذبح الناس أولادهم. فلم يكلمه إبراهيم عليه السلام وأقبل على ابنه يستشيره.

ولا بد عند سرد هذه الواقعة العظيمة من التضحية الإبراهيمية التي يصعب على الأذهان العادية تقبلها بسهولة لولا أنها وردت في كتاب الله الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا بد من ذكر تجليات اليقين، وإشراقات الأنوار الإلَهية في قلوب كل من نبي الله إبراهيم عليه السلام، ونبي الله إسماعيل عليه السلام، وهاجر عليها السلام، التي تجسدت في مواقف تعبر عن العناية الإلهية الكاملة بهذه القلوب المخلصة، والهدف دائماً هو أن نستقي العبر ونحاول الاقتداء والتأسي مهما أمكن (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب).

ومن ثم ليكون حَجُنا حجّاً متضمناً للحقائق المعنوية التي تشرق في أعماق ذواتنا.

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

١ ـ تجليات عظمة إسماعيلعليه السلام

ضمن هذا البيان القرآني الكريم تتألق وتتجلى عظمة إسماعيلعليه السلام في أمور:

ـ **أولاً**: أنهعليه السلام لم يقل لأبيهعليه السلام إذبحني إن شئت، بل قال له: (افعل ما تؤمر) وفي ذلك إشارة إلى أن أباه مأمور بأمر ليس له إلا تنفيذه.

فما أطهرها من فطرة، وما أعظمه من يقين ثابت لا شك ولا ريب فيه ذاك الذي أظهره غلام قد بلغ السعي أي ابن ثلاثة عشر عاماً كما نقل.

وما أنفذها من بصيره وما أمضاه من جَنَان ذاك الذي يدرك فيه معنى النبوة ومفهوم الوحي مصدقاً بهما تصديقاً جازماً ليس فيه شائبة ريب. ولا غرو فإنه نبي كريم وابن نبي عظيم قد أراه الله ملكوت السماوات والأرض وكان من الموقنين.

فإنه لم يتردد، ولم يطلب من والده التثبت والتأكد حيث إن المسألة مسألة ذبح لا تضحية بشيء عرضي، بل بادر أباه بلا أدنى تزلزل بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾.

ثم إنه لم يناقش في كون هذه رؤيا، وما يراد الإقدام عليه (الذبح) هو ليس بالأمر الهيّن السهل الذي يتم تنفيذه استناداً إلى رؤيا ومنام، بل هو أمر خطير جداً يحتاج في إثباته إلى ما هو أبين وأوضح من ذلك.

كلا فإن إسماعيلعليه السلام كان يدرك تمام الإدراك بأن هذه الرؤيا لم تكن كالرؤا العادية بل هي إحدى طرق الوحي، وأن أباه لا ينطق عن الهوى ومن دون تثبت، فكانت لديه الثقة التامة بصدق والده وصوابية قوله.

وهذا التسليم والطمأنينة لا يمكن أن يحدثا إلا في قلب من أدرك

أبعاد وحدود النبوة الإلهية، ومعنى الوحي وأقسامه وطرقه، وآمن وأيقن بتمام ذلك.

ـ **ثانياً**: تصوّر أن إسماعيل عليه السلام في هذا المقام، مقام من يريد تسليم نفسه للذبح كان يفكر بوالده، فكان يُطَيِّبُ نفسَ والدِه بأنه سوف يصبر ولا يجزع ولا يأتي بما يهيّج وَجْدَ والدِهِ عليه حالة كونه مزمّلاً بدمائه، فأفصح لوالده عن ذلك بقوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

فواقعاً يستحق هذا العظيم مقولة والده عليه السلام: «نعم العون أنت على أمر الله يا بني» إن في ذلك لدرساً متسامياً لا يُدْرَكُ شَأْوُهُ في بِرِّ الوالدين وأضف إلى ذلك ما ورد في وصيته من التوصية بوالدته وغيرها من الوصايا (راجع وصيته عليه السلام).

وأما قوله عليه السلام ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فإنه زيادة صفاء على صفاء، حيث يفيد أن تَصبّره ليس منه بل من مواهب الرحمن، فهو تعالى الذي يُثبِّتُه عليه، وهو الذي ينزعه منه إن شاء.

ـ **ثالثاً**: إن هذا التسليم المطلق الذي أشرق من شمس قلب إسماعيل عليه السلام وبدا ساطعاً في أقواله وأفعاله، لم يأتِ من لا شيء، بل كان نتيجة يقين مطلق بالغيب، حتى أن عالم الغيب غدا لديه كعالم الشهادة، وعالم الملك كعالم الملكوت، والرؤية بعين القلب والبصيرة الملكوتية لم تَقُلّ عنده عن الرؤية بالعين الباصرة المُلْكيَّة.

نعم فمن ذا الذي يُسَلِّمُ وينقاد هذا الانقياد إلى أمرٍ خطير كهذا إلا الذي كان اطلاعه بيقينه إلى عالم الغيب لا يَقِلُّ عن اطلاعُه بباصِرتِه إلى عالم الشهادة، فقد ينصاع من لم يكن إيمانه بالغيب عميقاً إلى أمر قليل الأهمية، أو قد يقدم على تنفيذ أمر ذي قيمةٍ ما مضطراً، إلا أنه يستحيل أن يُنَفِّذ أمراً فيه تلف نفسه وبتلك الطريقة.

فمن حقائق التضحية في الحج تعميق إيماننا بالغيب إلى أقصى المراتب الممكنة.

ـ **رابعاً**: إن عظمة إسماعيل عليه السلام تظهر عند مواجهته لإبليس اللعين حيث تظهر قوة ثباته، وعِظم رسوخه، فكما نقل قد جاءه اللعين ـ بعد يأسه

من التأثير ولو بمقدار ذرة على والده ـ وأخذ يُوسوس له بأن يَعْصِي أمرَ والده ولا يسلم نفسه للذبح، بل يهرب.

وكان إسماعيلﷺ ذلك الغلام اليافع كالجبل الشامخ بإرادته ونفاذ بصيرته لا يزداد إلا تسليماً وخضوعاً لأمر الله تعالى...

هذه معانٍ ينبغي للحاج أن يستحضرها في الحج عند التضحية فإن التضحية إنما خُلِّدَت وجعلت منسكاً عظيماً لأجل هذه المعاني المتسامية:

التسليم ـ الثبات أمام وساوس الشيطان ـ عمق الإيمان بالغيب ـ الانصياع لأوامر الله تعالى بلا نقاش حتى وإن كانت تستلزم تضحية كبيرة وبذلاً عظيماً...

بعض تجليات العظمة الإبراهيمية:

وأما نبي الله إبراهيمﷺ فتشع منه (في هذه الواقعة) أنوار العظمة في موارد:

ـ **الأول**: تفانيه في ذات الله تعالى، وحبه وعشقه وإخلاصه لربه، فمن يقدر على التضحية بثمرة فؤاده بيده غير المتفاني.. المحب.. المخلص الصادق في حبه؟! فإبراهيمﷺ امتحن من قبل الله تعالى في هذه المقامات العرفانية الشامخية ووفى (وإبراهيم الذي وفّى)، وأظهر بما لا ريب فيه أنه على استعداد لأن يبذل في سبيل الله تعالى (في ميدان العمل لا القول) ويضحي بكل ما قد تصل إليه مخيلة متخيل.

ونحن عندما نريد أن نقدم أضحية في منى لنسأل أنفسنا: ما هو مدى استعدادنا للتضحية في سبيل الله، وإنفاذ أمره، وإحياء شريعته، والذبّ عن أحكامه، هل سرنا في طي طريق هذا المقام (مقام التضحية والبذل)؟

كم قطعنا فيه، وما كان نصيبنا منه؟

فإن الله تعالى لم يوجب علينا التضحية بالهدي دون مضمون معنوي.

ـ **ثانياً**: تجلت العظمة الإبراهيمية عندما تَمَثَّل له إبليس اللعين وأخذ يلقي أمامه صور البراهين التي بزعمه هي قوية وكافية لتجعل في قلب

إبراهيم عليه السلام شيئاً من التردد في إنفاذ حكم الله تعالى، ولكن هيهات لمن أسلم قلبه لله وجاء ربه بقلب سليم أن يمرّ بخاطره ولو لمحة من شك أو تردد. فكان عليه السلام داحراً لإبليس، داحضاً لمزاعمه، منتصراً على تسويلاته، وذلك في أدق الظروف، وأشق الأحوال، وأعظم الابتلاءات على الإطلاق، (وإن هذا لهو البلاء المبين).

ـ **ثالثاً**: انظر إلى تفاني إبراهيم عليه السلام في ذات الله كيف يتجلى في أرقى درجاته، وأعظم مقاماته. عندما ينظر إلى ابنه الوحيد اليافع (الذي هو كالأقحوانة في نداها وقد انصاع وامتثل طوعاً لإرادة الله وإرادة أبيه، وأسلم نفسه للذبح) ويقول له:

«نعم العون أنت يا بني على أمر الله».

فهذا يبرر جوانب عظيمة من الفناء في محبة الله وعشقه، بحيث إن جميع المخلوقات مهما اشتدت لحمتها ودنت قرابتها إنما تكون محبوبة بقدر ما تعين على طاعة الله تعالى.

حتى الإبن المميَّز الخارق للعادة في صفاته الكمالية، والذي هو مهجة القلب، وثمرة الفؤاد، إنما يتألق عند إبراهيم عليه السلام ويأرج نوره، ويعظم قدره، وينال الامتنان والشكر منه عليه السلام عندما يعين على إنفاذ أمر المولى تبارك وتعالى ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، فيتقدم إليه والده عليه السلام بكلمات التقدير والإطراء على موقفه المعين على طاعة الله.

وبالمقابل كل من لا يعين على الطاعة للمولى عز وجل فهو يستحق الذم والإبعاد مهما دنت قرابته، واتصلت لحمته، هذا هو ميزان التقريب والإبعاد عند من أخلص العبودية لخالقه عز شأنه.

وعلى نفس هذا المبدأ تجد رسول الله يقرِّب الفارسي أرقى درجات التقريب الذي يصل إلى درجة الإدخال له في أهل بيته حيث قال في سلمان (رض): سلمان منا أهل البيت ويطرد ويبعد عمه القرشي أقصى درجات الإبعاد ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾.

ونفس المنهج لأئمتنا عليهم السلام فهذا إمامنا الباقر عليه السلام يقول لجابر (رض):

«من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع» (الكافي ج٢ ص٥٧).

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«إن ولي محمد من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت قرابته»**.

فليكن هذا الموقف من إبراهيم عليه السلام تربوياً لنا بأن يكون تقديرنا للآخرين وقربنا منهم بقدر إعانتهم لنا على طاعة الله يقول الإمام الصادق عليه السلام: **«صاحب الذي إذا نسيت ذكرك وإذا ذكرت أعانك»**، وليكن حذرنا وبعدنا عنهم بقدر ما يُنسونا الذكر ويبعدوننا عن طاعة الله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾.

وأما هاجر عليها السلام فتظهر عظمتها في هذه الواقعة في عدة مواقف:

ـ **أولاً**: مدى ثقتها بنبي الله إبراهيم عليه السلام حيث إنها لم تصدق كلام إبليس اللعين عندما جاءها يخبرها بأنه قد رأى إبراهيم(ع) قد اضجع إسماعيل(ع) وأخذ المدية ليذبحه! بل نهرته وقالت كذبت أيها الرجل، إن إبراهيم أرحم الناس، فكيف بابنه يذبحه؟!

ـ **ثانياً**: تظهر عظمة إيمانها، ومدى قوة عقلها من جوابها لإبليس اللعين عندما أكد لها الخبر بقوله: فورب السماء والأرض، ورب هذا البيت لقد رأيته اضجعه وأخذ المدية ليذبحه فقالت عليها السلام: ولِمَ؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك.

فأجابت بإجابة ملؤها التعقل والفهم واليقين والتسليم...

إجابة مذهلة في الواقع. قالت له: فحق له أن يطيع ربه!!

أي أنه بعقيدة هذه المرأة العظيمة مهما كانت التضحية عظيمة، والفداء عزيز. إذا كان فيه إطاعة للخالق فحق على الإنسان أن يقدم ذلك الفداء ويقوم بتلك التضحية تأدية لواجب ولحق الطاعة للمنعم الذي وهبنا بكرمه كل نعمة بما فيها نعمة الوجود فإن نفس وجودنا هو نعمة ابتدائية منه

تبارك وتعالى. فالذي أعطى له حق الاسترداد فلا شيء من عند أنفسنا ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾.

وبعد ذكرنا لهذه التضحية الإبراهيمية التي تفوق الخيال نقول إن استحضار ما تتضمنه هذه التضحية من حقائق إيمانية وعرفانية هو من أهم الآداب المعنوية لهذا النسك المقدس العظيم.

لذلك يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**فعندما ذبحت هديك نويت.. أنك اتبعت سنة إبراهيم عليه السلام بذبح ولده، وثمرة فؤاده، وريحان قلبه، وأحييت سنته لمن بعده، وقربه إلى الله لمن خلفه**»؟.

٢ ـ الأدب المعنوي الثاني لذبح الهدي

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**واذبح حنجرة الهوىٰ والطمع عنك عند الذبيحة**».

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «**فعندما ذبحت هديك نويت أنك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسكت به من حقيقة الورع..**».

قال الراغب: «الطمع نزوع النفس إلى الشيء شهوة له».

ولا يخفى أن الطمع بالمعنى المذكور قد يكون متعلقه الخير كما قد يكون متعلقه الشر فقد تنزع النفس وتميل إلى خير ومعروف شهوة لذلك الأمر الخيِّر كما أنها قد تميل وتريد أمراً بداعي هوى النفس وحب الدنيا.

فذاك طمع محمود وهو الطمع في الخير والدين ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا﴾ [الشعراء: ٥١] ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وهذا طمع مذموم لأنه بداعي الهوى للنفس الأمارة بالسوء.

ولكن لمّا كان أكثر الطمع من أجل الهوى وحب الدنيا وَرَدَ الذم للطمع والتحذير منه بشكل كبير.

فإن الطمع في حطام الدنيا الزائلة مهلك مُردي لعدة جهات:

ـ **أولاً**: لأنه لا غاية ولا حدّ يصل إليه الإنسان يشفي غليله ويقطع مطمعه فإن حب الدنيا كماء البحر كلما شرب منه ازداد عطشه، وكلما طمعت إلى شيء قادك إلى آخر، وهذا بحد ذاته مهلك لأنه ينسيك الآخرة والعمل لها، ومع كل هذا لا تصل إلى حد تشعر فيه بالغنى لذلك يقول عليه السلام: «**الطمع فقر حاضر**».

ـ **ثانياً**: إن كل ما يطمع به الإنسان في حياته الدنيا هذه زائل بلغ ما بلغ، فعند تصرم العمر، وحلول لحظة الفراق، عندما تلتف الساق بالساق، ويكون إلى ربك المساق، يدرك الإنسان بأن كل ما طمع فيه حصَّله أم لم يحققه سيخلفه وراء ظهره، وسيستقبل أمراً مهولاً لم يكن قد أعد له عدته، وهل هناك خسران أعظم من هذا الخسران «خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين». **(فساد الدين الطمع)**.

ـ **ثالثاً**: الطمع في أمور الدنيا وشره النفس إليها يوجب المذلة في الدنيا والآخرة لأن نفس الإنسان إذا نزعت إلى شيء واشتهته فإنها تجنح إلى تحقيقه وإن استلزم ذلك التقرب إلى البعض والتزلف إلى البعض الآخر، وإنما يكون عز المؤمن في استغنائه عن الناس وخاصة الأشرار منهم يقول الإمام علي عليه السلام: احتج لمن شئت تكن أسيره.

وكذلك الطامع سيكون ذليلاً أمام شهواته ورغباته وأسيراً لها، وعبد الشهوة أذل من عبد الرق.

وفي هذا كله وردت أخبار فعن أمير المؤمنين عليه السلام:

ـ **العبد حرّ ما قنع، الحر عبد ما طمع.**

ـ **الطمع مذلّة حاضرة.**

ـ **ثمرة الطمع ذلّ الدنيا والآخرة.**

ـ **لا يسترقنّك الطمع وكن عزوفاً.**

ـ **رابعاً**: الطمع في الأمور الدنيوية يصرع العقل:

ورد في الرواية: **«إذا أبصرت العين الشهوة عمي القلب عن العاقبة»**.

فالطمع إذا كان نزوع النفس إلى الشيء مع الشهوة له، فإنه إذا وجد في قلب إنسان عطل جانباً من تعقله، وقد يصم صاحبه عن سماع صوت العقل كلياً.

فقد تسمع أذناه الموعظة وأما أذنا قلبه فقد صُمَّتا، ﴿ وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾.

وقد تر عيناه العبرة ولكن عيني القلب قد عميتا ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾.

وهكذا نجد أكثر أهل الدنيا قد أهلكهم طمعهم وأرداهم وأمات قلوبهم عن إدراك الموعظة بمن كان قبلهم وقد عمروا الأرض أكثر مما عمروها وكانوا أكثر منهم إعماراً وأطول آجالاً، وقد أهلكهم الطمع في حطام الدنيا فأين هم الآن؟!! ولكن «**من عشق شيئاً أعشى بصره وأعمى قلبه**».

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع**».

ـ **خامساً**: الطمع في مغريات الدنيا يفقد الإنسان الورع.

وذلك لأن الطمع إنما هو من حب الدنيا.

يقول الأمير عليه السلام؛ «**حب الدنيا يوجب الطمع**».

وحب الدنيا رأس كل خطيئة، فمع طمع في زخارف الدنيا ومالها وجاهها أدى به طمعه إلى أن يفقد أخيراً الورع في دين الله، لأنه سيقتحم لاشبهات وينتهك بعض المحرمات، ويتجاوز كثيراً ما أمر الله تعالى به من الطاعات ومآل ذلك إلى تدني الورع لديه إلى أن يفقده بالكلية والعياذ بالله.

يقول الأمير عليه السلام: «**من لزم الطمع عدم الورع**».

وأخيراً أقول إن أجمع الأقوال في الطمع لسيد البلغاء والفصحاء سلام الله عليه حيث يقول: «**فساد الدين الطمع**».

فيا أخي عند ذبح لهديك اذبح في مكنون ذاتك طمعك في هذه الدنيا الدنيّة، واعزم في قرارة نفسك على أن تقلّل من انهماكك في أزقتها الملهية عن الله والآخرة. عندها تكون قد ضحيت التضحية بمضمونها المعنوي الذي أراده الله تعالى والرسول والأئمة المعصومون عليهم السلام.

٣ ـ الأدب الثالث لذبح الهدي

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٦، ٣٧]

إن البُدْن من شعائر الله أي ذبح الهدي هو من الشعائر ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب، فالهدي أمر نابع من التقوى ومعزز في نفس الوقت للتقوى في القلوب.

وقد روي أن أهل الجاهلية كانوا إذا نحروا لطخوا البيت بالدم، وحيث إن الله تعالى منزه عن الجسمية وعن كل حاجة بَيَّنَ تعالى بأن النفع من الأضحية إنما هو نيل معنوي وهو قرب المضحّي من الله تعالى، وذلك بقوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾.

وقد يقول قائل: بما أن الله تعالى منزّه عن الجسمية وعن كل نقص ولا ينتفع بلحم أو دم فما معنى التضحية بهذه الضحايا والآية الكريمة أيضاً تجيب بأن هذه التضحية يصحبها صفة معنوية لمن يتقرب بها، وهذه الصفة المعنوية من شأنها أن تنال الله حيث تصعد إليه تعالى وتُقَرِّب صاحبها منه، فالتقوى والتحرز عمّا يسخط الله تعالى أمر معنوي لذلك أضيفت إلى القلوب في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ وليست التقوى هي عين الأعمال فإنها (أي الأعمال) تشترك بين الطاعة والمعصية فالقتل قد يكون طاعة وذلك إذا كان قصاصاً وقد يكون ذنباً كبيراً إذا كان ظلماً عمداً، والصلاة قد تكون مع الإخلاص وقد تكون رياءً فحقيقة التقوى أنها أمر معنوي وإليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه. فينبغي للمؤمن أن

يكون اعتناؤه الكبير بالقلب والتوجه والنية وليس فقط بجسد العمل ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾.

وأخيراً نقول ليكن عندك رجاء بأن يعتق الله بكل جزء من الأضحية جزءاً منك من النار فقد ورد الوعد بذلك، وكلما كانت أجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أكبر.

الأدب المعنوي للحلق

يقول الإمام السجاد عليه السلام: **فعندما حلقت رأسك، نويت أنك تطهرت من الأدناس، ومن تبعة بني آدم، وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمك؟**

إن الإسلام يريد للمتعبد بهذه المناسك المقدسة التي تعتبر من أهم دعائم عبادة الحج أن تكون شخصيته قد تغيرت عما قبل أدائها، فبعد الوقوف بعرفة، والمزدلفة، والرمي لجمرة العقبة، وذبح الهدي، يفترض أن يكون قد حدث انقلاب معنوي في داخل الحاج، من أهم معالمه وآثاره الطهارة من الأدناس والذنوب.

وكأن الشريعة المقدسة أرادت تعبيراً ظاهرياً حسياً عن ذلك الواقع الباطني المعنوي المتغير، فحلق شعر الرأس تعبير ظاهري يرمز إلى اجتثاث كل ما هو دنس سواء في العقائد، أو الصفات، أو الأعمال، أو الأقوال.

وثانياً: هذا التعبير الظاهري يترك أثره لدى المكلف من خلال إشعاره بأنه قد حدث تغيير مفصلي في حياته على صعيد الطهارة للنفس، والغفران للذنوب، فيشعر بمسؤولية المحافظة على ما حققه وحصل عليه ببركة عبادة الحج العظيمة.

وثالثاً: كأن هذا الشَّعْر الذي تزامَن وجودُه مع المعاصي التي صدرت من العبد، لا بد في تلك الحلَّة الباطنية المعنوية الجديدة أن لا يبقى منه شيء، وفيه إشارة إلى أن الأعمال الظاهرة بعد أعمال الحج العبادية ينبغي أن تتناسب مع حالة الحاج الباطنية الطاهرة النظيفة التي لا يشوبها كدر ولا دنس، فالشعر الذي عاصر المعاصي ينبغي أن لا يبقى ليذكِّر بالنفس العاصية، بل يُحلق لينبت مكانه شعر جديد لم تصدر المعصية من العبد بوجوده على أقل تقدير في ذلك الوقت الذي يلي المناسك المقدسة،

ويحرص على التقوى والورع عن المعاصي بعد ذلك بقدر ما أوتي من طاقة وقدرة، وبتعبير آخر يحسن التناسب بين الظاهر والباطن في الطهارة، فمن رجع إلى الطهارة بتلك المناسك العبادية وصار بريئاً من الذنوب كيوم ولدته أمه يلزم أن تتغير أعماله الجوارحية فتكون مُتّسِمَة بالخير والإحسان والمعروف والطهارة لكي يحصل التناسب بين الباطن والظاهر.

فمن لم يتغير فعله ولم يتحسن سلوكه بعد الحلق وبقي كما كان قبل أداء المناسك فإنه لم يدرك غاية الحلق المعنوية. حيث إنه لم يحقق التناسب بين الظاهر والباطن.

رابعاً: لا بد من حلق العيوب المعنوية أيضاً، وهي كل شك وريب وشرك في العقيدة، وكل صفة أخلاقية مذمومة كالحسد، الكبر، والعجب، والحقد، والعداوة للمؤمنين...

ويستبدلها بحب الخير لخلق الله، والتسامح، والتغاضي، والتغافل، والعفو والتجاوز عن المسيء، والتواضع، واليقين بحقائق الدين، والتوحيد الخالص لله رب العالمين.

يقول الإمام الصادقعليه السلام كما في الرواية في مصباح الشريعة: «**واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك**»[(١)].

ويستحب أن يدفن شعره في منى فقد ورد عن إمامنا الصادقعليه السلام أنه قال: «**إن المؤمن إذا حلق أسه بمنى ثم دفنه جاء يوم القيامة وكل شعرة لها لسان طلق، تلبي باسم صاحبها**»[(٢)].

أدب الرجوع إلى الحرم:

وأما عند الرجوع إلى مكة فلتكن سريرتك منطوية على ما ذكره إمامنا الصادقعليه السلام حيث يقولعليه السلام: «**وادخل في أمان الله وكنفه وستره وكلاءته من متابعة مرادك بدخول الحرم، ودخول البيت، متحققاً لتعظيم صاحبه، ومعرفة جلاله وسلطانه، واستلم الحجر رضى بقسمته وخضوعاً لعزته، ودع**

---

(١) مصباح الشريعة.

(٢) الوسائل ج١٠ ص١٨٤ ح٣.

ما سواه بطواف الوداع، واصف روحك وسرك للقائه يوم تلقاه بوقوفك على الصفا، وكن بمرأى من الله نقياً عند المروة، واستقم على شرط حجتك هذه، ووفاء عهدك الذي عوهدت به مع ربك وأوجبت له إلى يوم القيامة. . .».

وعن إمامنا السجادعليه السلام: **فعندما رجعت إلى مكة وطفت طواف الإفاضة نويت أنك أفضت من رحمة الله تعالى ورجعت إلى طاعته، وتمسكت بوده، وأديت فرائضه، وتقربت إلى الله تعالى. . ؟**.

بعد الفراغ من الحج أو العمرة:

يستحب للحاج وللمعتمر بعد الفراغ من نسكه أن يطوف بالبيت أسبوعاً (سبع أشواط) ويصلي صلاة الطواف عن أبيه، وعن أمه، وعن ولده، وعن زوجته، وعن أخيه ورحمه وجاره، وصديقه، وذي الحق عليه. فإن لم يفرد كل واحد منهم بطواف أو لم يقدر على ذلك، استحب له أن يطوف طوافاً ويصلي ركعتيه عن جميعهم، ففي خبر إبراهيم الحضرمي قال لأبي الحسن موسىعليه السلام: إني إذا خرجت إلى مكة ربما قال لي الرجل: طف عني أسبوعاً وصلّ ركعتين، فاشتغل عن ذلك، فإن رجعت لم أدر ما أقول له، قالعليه السلام:

> **(إذا أتيت مكة فقضيت نسكك، فطف أسبوعاً وصل ركعتين ثم قل: (اللهم إن هذا الطواف وهاتين الركعتين عن أبي وعن أمي وعن زوجتي وعن ولدي، وعن حامتي، وعن جميع أهل بلدي حرهم وعبدهم وأبيضهم وأسودهم) فلا تشاء أن تقول للرجل إني قد طفت عنك وصليت عنك ركعتين إلا كنت صادقاً).**

مستحبات وداع الكعبة:

هناك مستحبات كثيرة لوداع الكعبة المشرفة نذكر بعضها:

١ ـ أن يتصدق بمقدار من التمر يعطيه قبضة قبضة للفقراء، ليكون كفارة عن بعض تروك الإحرام التي خالفها غفلة.

٢ ـ أن يطوف طواف الوداع، يستلم في كل شوط ركن الحجر والركن اليماني، وإلا فليستلمهما فقط في بداية الطواف ونهايته.

٣ ـ أن يأتي إلى المستجار وليكثر من الدعاء عنده.

٤ ـ أن يستلم الحجر الأسود، وأن يلصق بطنه بالبيت.

٥ ـ أن يأتي بئر زمزم ويشرب منه ويقول: «آئبون تائبون عابدون لربنا حامدون إلى ربنا منقلبون راغبون، إلى ربنا راجعون إن شاء الله».

٦ ـ أن يصلي خلف مقام إبراهيم ركعتين، بعد أن يأتي إليه.

٧ ـ أن يأتي إلى الملتزم ويلصق ويمسح بطنه فيه، ويبقى عنده مدة سبعة أشواط وثمانية.

٨ ـ أن يأتي إلى الحجر الأسود ويقبله، ويمسح بيده عليه ثم يمسح وجهه.

٩ ـ أن يأتي باب الكعبة ويضع يده عليه ويقول: «المسكين على بابك فتصدق عليه بالجنّة».

١٠ ـ أن يسجد مقابل باب المسجد سجدة طويلة، ثم يقف ووجهه إلى الكعبة ويقول: «اللهم إني أنقلب على لا إله إلا الله».

١١ ـ أن يخرج من باب الحناطين.

ـ ملحق ـ

الفصل الرابع

رسالة مشتملة على:

ما ينبغي للناسك أن يفعل بعد أداء مناسكه، وإتمام حجِّه وعمرته، سواء في مكة أو المدينة

- ـ اعمال وعبادات مستحبّة.
- ـ اتيان مقامات ومساجد.
- ـ زيارة قبور.
- ـ ارتياد معالم تاريخية لها صلة بالنبي الأعظمﷺ وأهل بيتهعليهم السلام والبعثة النبوية الشريفة في فجر الإسلام.
- ـ حضور في مواضع بعض الوقائع والمعارك المفصلية المهمة في تاريخ البعثة الشريفة.
- ـ استيحاءات من تلك الموارد.

تمهيد

في الواقع اني عقدت هذا الفصل كملحق ومتمّم للغاية التي وضع هذا المؤلَّف لأجلها.

فإذا كان الإطلاع على المناسك الواجبة من قِبَلِ كثير من الحجيج خجولاً ومجملاً فبطريق أولى ستكون معرفة الأمور المستحبة غير متوفرة أو مشوشة.

فبعد أن ينهي الحاج أو المعتمر مناسكه الواجبة يقف متسائلاً: والآن ماذا نفعل؟ فهناك متسع من الوقت قد تبقّى، والوقت في تلك الأماكن المقدسة ثمين تلزم الاستفادة من كل أجزائه.

فهنا نقول لا بد أن يطّلع الزائر لتلك الأماكن على ما ينبغي له أن يأتي به من أعمال مستحبة وزيارات للمعالم المرتبطة بتاريخ الاسلام والنبي الاعظم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وكذلك المقامات التي اصبحت رموزاً مقدسة، كي لا يُفوّت على نفسه فرصة ارتيادها والإستلهام منها كل ما يمكنه من دروس وعِبر، ويزيد من رصيده المعنوي ومن الثواب العظيم عند خالقه تعالى.

فهذه في الحقيقة رسالة بمفردها، تمدُّ الحاج بما ينبغي القيام به بعد الواجبات سواء في مكة المكرمة أو في المدينة المنورة زادها الله شرفاً.

فمن يطالع هذا الفصل سيجد نفسه مُلمّاً بكل تلك الموارد، وطارداً

عن ذاته ظلمة الجهل والحيرة بما ينبغي أن يؤدي من أعمال ويأتي من مقامات ومواضع، فهذا الفصل في الواقع جواب شافٍ لسؤال الحاج بعد اتمام مناسكه «والآن ما هو برنامجنا وماذا علينا أن نفعل»؟.

«مقام إبراهيم»

يقول تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥].

إن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كانا يبنيان البيت ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ﴾ جعل إسماعيل عليه السلام يأتي بالحجارة وإبراهيم عليه السلام يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (حجر المقام) فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل عليه السلام يناوله الحجارة. وفي رواية أخرى: حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ على نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة[١].

والله تبارك وتعالى أمر الناس أن يتخذوا منه مصلى تخليداً لذكرى إبراهيم عليه السلام وقد أصبح ذاك المقام الذي هو موضع قيامه أي موضع قدميه مكان بركة حيث انتشرت البركة من تينك القدمين الشريفتين إليه.

وقال في النص والاجتهاد: مقام إبراهيم عليه السلام وهو الحجر الذي يصلي الحاج عنده بعد الطواف عملاً بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ وكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ـ لما بنيا البيت وارتفع بناؤه ـ يقفان عليه لمناولة الحجر والطين، وكان ملصقاً بالكعبة أعزها الله تعالى، لكن العرب بعد إبراهيم وإسماعيل أخرجوه إلى مكانه اليوم، . فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وفتح له ألصقه بالبيت، كما كان على عهد أبويه إبراهيم وإسماعيل، فلما وُلّيَ عمر أخّره إلى موضعه اليوم وكان على عهد النبي صلى الله عليه وآله وأبي بكر ملصقاً بالبيت.

(١) راجع معالم المدرستين ج١ ص٤٦.

وورد في قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ﴾.

عن الصادق عليه السلام: **«إنها ثلاث آيات: مقام إبراهيم حيث قام على الحجر فأثر فيه قدماه، والحجر الأسود، ومنزل إسماعيل»**.

حجر إسماعيل

عن إمامنا الرضا عليه السلام: «**أكثر الصلاة في الحجر، وتعمّد الميزاب وادع هناك كثيراً**»(*).

روى ابن سعد في طبقاته: إن إسماعيل لما بلغ عشرين سنة توفيت أمه هاجر وهي ابنة تسعين سنة فدفنها إسماعيل في الحجر.

وإن إسماعيل توفي بعد أبيه فدفن في الحجر مما يلي الكعبة مع أمه هاجر.

وفي رواية بعدها: قبر إسماعيل تحت الميزاب بين الركن والبيت[1].

وقد وصف ابن جبير قبرَي إسماعيل وأمه هاجر في رحلته فقال:

وتحت الميزاب في صحن الحِجْر، بمقربة من جدار البيت الكريم قبر إسماعيل وعلامته رخامة خضراء مستطيلة قليلاً شكل محراب تتصل بها رخامة خضراء، وكلتاهما غريبة المنظر، فيهما نُكَت تنفتح عن لونها إلى الصفرة قليلاً كأنها تجزيع...

وإلى جانبه مما يلي الركن العراقي قبر أمه هاجر (رضي الله عنها) وعلامته رخامة خضراء سعتها مقدار شبر ونصف، يتبرك الناس بالصلاة في هذين الموضعين من الحِجُر وحق لهم ذلك لأنهما من البيت العتيق، وقد انطبقا على جسدين مقدسين مكرّمين نوّرهما الله، ونفع ببركتهما كل من صلى عليهما، وبين القبرين المقدسين سبعة أشبار»[2].

(*) البحار ج٩٩ ص٢٣٠ ٢٣١.

(١) راجع طبقات ابن سعد ج١ ص٢٥، ط. أوروبا.

(٢) معالم المدرستين ج١ ص٧١، ط. المجمع العلمي الإسلامي.

أقول: أعظم وأكرم بإسماعيلعليه السلام وبأمه حيث إن الطائفين يطوفون بالكعبة ويدخلون حجر إسماعيل في طوافهم، وهل ذلك إلا لكرامة لهذين العظيمين.

فلا ننسى عند الوقوف في الحجر وتحت الميزاب أن نستوحي المقامات المعنوية العرفانية من شخصيتيهما الفذتين. وقد قيل في تسميته (حجر إسماعيل) أن إسماعيل بعد أن دفن أمه كره أن يوطأ قبرها فحجر عليه، وقد ورد أنه موضع شبير وشبر ابني هارون.

في جوار الكعبة قبر سبعين نبياً:

روى أبو بكر الفقيه عن النبيصلى الله عليه وآله أنه قال: ما من نبي هرب من قومه إلا هرب إلى الكعبة يعبد الله فيها حتى يموت... وإن في الكعبة قبر ثلاثمائة نبي، وما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود قبر سبعين نبياً.

فعند طوافك حول البيت تلمس بقلبك عبق الأنبياء، وروح العبادة والتضحية في سبيل الله تعالى.

وفي رواية المفضل عن جابر عن أبي جعفرعليه السلام أنه قال: «.. إن ما بين الركن والمقام لمشحون من قبور الأنبياء..»[1].

(١) وسائل الشيعة ج٣ ص٥٣٥.

أفضل بقاع الأرض.. وعظم قدر الولاية

عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لنا علي بن الحسين عليه السلام: أي البقاع أفضل؟ فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال لنا:

«أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أن رجلاً عمَّر ما عمَّر نوح في قومه، ألف سنة إلا خمسين عاماً، يصوم النهار، ويقوم الليل في ذلك المكان، ثم لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً»[١].

وعن المعلى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«يا معلى لو أن عبداً عبد الله مائة عام ما بين الركن والمقام، يصوم النهار ويقوم الليل حتى يسقط حاجباه على عينيه ويلتقي تراقيه هرماً، جاهلاً بحقنا لم يكن له ثواب»[٢].

وعن ميسر عن أبي جعفر عليه السلام قال: **إن أفضل البقاع بين الركن والمقام، وباب الكعبة، وذاك حطيم إسماعيل، ووالله لو أن عبداً صف قدميه في ذلك المكان، وقام الليل مصلياً حتى يجيئه النهار، وصام النهار حتى يجيئه الليل، ولم يعرف حقنا وحرمتنا أهل البيت لم يقبل الله منه شيئاً أبداً**[٣].

وعن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال:

---

(١) المصدر ج١ ص٩٣.

(٢) (٣) وسائل الشيعة (الإسلامية) ج١ ص٩٣ ـ ٩٤.

(نزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال يا محمد: السلام يقرؤك السلام ويقول: خلقت السماوات السبع وما فيهن، والأرضين السبع وما عليهن، وما خلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام، ولو أن عبداً دعاني منذ خلقت السماوات والأرضين ثم لقيني جاحداً لولاية علي لأكببته في سقر)[1].

وعن ميسر أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أي البقاع أعظم حرمة؟ قال: قلت الله ورسوله وابن رسوله أعلم، قال عليه السلام:

يا ميسر ما بين الركن والمقام روضة من رياض الجنة، وما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، ووالله لو أن عبداً عمره الله ما بين الركن والمقام وما بين القبر والمنبر، يعبده ألف عام، ثم ذبح على فراشه مظلوماً كما يذبح الكبش الأملح، ثم لقي الله عز وجل بغير ولايتنا لكان حقيقاً على الله (عز وجل) أن يكبه على منخريه في نار جهنم[2].

(١) (٢) وسائل الشيعة (الإسلامية) ج١ ص٩٣ ـ ٩٤.

الركن اليماني

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ما أتيت الركن اليماني إلا وجدت جبرئيل قد سبقني إليه يلتزمه»(١).

وعنه عليه السلام: **«الركن اليماني بابنا الذي ندخل منه الجنّة»**(٢).

وعنه أيضاً عليه السلام؛ **«وفيه باب من أبواب الجنّة لم يغلق منذ فتح، وفيه نهر من الجنة تلقى فيه أعمال العباد»**.

وفي رواية: **«الحجر الأسود والركن اليماني عن يمين العرش وإنما أمر الله أن يستلم ما عن يمين عرشه»**(٣).

وعنه عليه السلام: **«إن ملكاً موكل بالركن اليماني منذ خلق الله السماوات والأرضين ليس له هجير (أي ليس له عمل) إلا التأمين على دعائكم، فلينظر عبد بما يدعو»**(٤).

وأيضاً عن إمامنا صادق أهل البيت عليه السلام:

«الركن اليماني على باب من أبواب الجنّة، مفتوح لشيعة آل محمد مسدود عن غيرهم، وما من مؤمن يدعو بدعاء عنده إلا صعد دعاؤه حتى يلصق بالعرش وما بينه وبين الله حجاب»(٥).

---

(١) (٢) (٣) وسائل الشيعة ج٩ ص٤١٩.

(٤) المصدر ص٤٢١.

(٥) الوسائل ج٩ ص٤٢٢.

فلا تنسَ أيها المؤمن الابتهال إلى الله تعالى في حوائجك الدنيوية والأخروية عند هذا الركن المقدس .

شق الكعبة بحيال الركن اليماني:

إنه لحدث عظيم تظافرت كتب التاريخ بنقله وهو:

أن فاطمة بنت أسد (رض) والدة أمير المؤمنين ﷺ أتت البيت الحرام وكانت حاملة بأمير المؤمنين ﷺ لتسعة أشهر وكان يوم التمام، والرواية عن إمامنا الصادق ﷺ عن آبائه ﷺ أن العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قنب كانا جالسين بإزاء البيت ما بين فريق بني هاشم إلى فريق عبد العزى. فوقفت فاطمة بنت أسد بإزاء البيت وقد أخذها الطلق، فرمت بطرفها نحو السماء، وقالت: أي رب إني مؤمنة بك، وبما جاء به من عندك الرسول، وبكل نبي من أنبيائك، وبكل كتاب أنزلته، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل، وأنه بنى بيتك العتيق، فأسألك بحق هذا البيت ومن بناه، وبهذا المولود الذي في أحشائي الذي يكلمني ويؤنسني بحديثه، وأنا موقنة أنه إحدى آياتك ودلائلك، لما يَسّرت عليَّ ولادتي.

قال العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قنب: فلما تكلمت فاطمة بنت أسد ودعت بهذا الدعاء، رأينا البيت قد انفتح من ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، ثم عادت الفتحة والتزقت بإذن الله تعالى فرمنا أن نفتح الباب لتصل إلينا بعض نسائنا فلم ينفتح الباب، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله تعالى، وبقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام، قال: وأهل مكة يتحدثون بذلك في أفواه السكك، وتتحدث المخدرات في خدورهن. قال: فلما كان بعد ثلاثة أيام انفتح الباب من الوضع الذي كانت دخلت فيه، فخرجت فاطمة وعلي ﷺ على يديها، ثم قالت: معاشر الناس إن الله عز وجل اختارني من خلقه وفضلني على المختارات ممن مضى قبلي، وقد اختار الله آسيا بنت مزاحم فإنها عبدت الله عز وجل سراً في موضع لا يحبّ أن يعبد الله فيه إلا اضطراراً، وإن مريم بنت عمران اختارها الله حيث يسر عليها ولادة عيسى، فهزت الجذع اليابس من النخلة في فلاة من الأرض حتى تساقط عليها رطباً جنياً، وإن الله تعالى اختارني وفضلني

عليهما وعلى كل من مضى قبلي من نساء العالمين لأني ولدت في بيته العتيق، وبقيت فيه ثلاثة أيام آكل من ثمار الجنّة وأرزاقها. فلما أردت أن أخرج وولدي على يدي هتف بي هاتف وقال يا فاطمة: سميه علياً، فأنا العلي الأعلى، وإني خلقته من قدرتي، وعز جلالي، وقسط عدلي، واشتققت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، وهو أول من يؤذن فوق بيتي، ويكسر الأصنام ويرميها على وجوهها، ويعظمني ويمجدني، ويهللني، وهو الإمام بعد حبيبي ونبيي وخيرتي من خلقي محمد رسولي، ووصيه، فطوبى لمن أحبه ونصره، والويل لمن عصاه وخذله، وجحد حقه[1].

ولدته في حرم الإله وأمنه   والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة   طابت وطاب وليدها والمولد
في ليلة غابت نحوس نجومها   وبدت مع القمر المنير الأسعد
ما لف في خرق القوابل مثله   إلا ابن آمنة النبي محمد

(١) الأمالي للطوسي ـ حلية الأبرار ج٢ ومدينة المعاجز للبحراني ج١ ـ البحار ج٣٥.

مسجد الخَيف..
فضل الصلاة والذكر فيه

عن صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

(صلِّ في مسجد الخيف وهو مسجد منى، وكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده عند المنارة التي في وسط المسجد وفوقها إلى القبلة نحواً من ثلاثين ذراعاً وعن يمينها وعن يسارها وخلفها نحواً من ذلك قال: فتحرّ ذلك فإن استطعت أن يكون مصلاك فيه فافعل فإنه قد صلى فيه ألف نبي، وإنما سمي الخيف لأنه مرتفع عن الوادي، وما ارتفع عن الوادي سمي خيفاً[1]).

وروى جابر عن إمامنا أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«صلّى في مسجد الخيف سبعمائة نبي، وإن ما بين الركن والمقام لمشحون من قبور الأنبياء.»[2].

وعن أبي بصير عن الصادق عليه السلام: **«صلِّ ست ركعات في مسجد منى في أصل الصومعة»**[3].

وروى أبو حمزة الثمالي عن إمامنا أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال:

(١) (٢) (٣) راجع الوسائل ج٣ ص٥٣٤.

من صلى في مسجد الخيف بمنى مائة ركعة قبل أن يخرج منه عدلت عبادة سبعين عاماً.

ومن سبح الله فيه مائة تسبيحة كتب له كأجر عتق رقبة.

ومن هلّل الله فيه مائة تهليلة عدلت أجر إحياء نسمة.

ومن حمد الله فيه مائة تحميد عدلت أجر خراج العراقين يتصدق به في سبيل الله عز وجل[١].

(١) راجع الوسائل ج٣ ص٥٣٤.

الاستفادة من الفرصة الذهبية للكون في مكة

أيها العزيز من الغبن العظيم أن تُوَفَق للحضور بمكة زادها الله شرفاً ولا تدري كم سعة باب الرحمة الإلهية الذي فتحه رب البيت الحرام لمن حلّ في البلد الحرام، فإن هِمَمَ الكرماء والأجودين تقصر عن درك نفحة من نفحات كرمه وجوده عز وجل فليس على العبد إلا أن يطّلع على تلك الأبواب التي يشكل كل منها فرصة فوز ونجاة، ثم يدخلها بإخلاص وجهاد لتناله يد العناية الإلَهية بألطاف ملكوتية توصله إلى حظيرة القدس والقرب.

ومن تلك الأبواب العظيمة التواجد في مكة إذا أقبل العبد على عبادة ربه فيها، وسلا عن الدنيا ومتعلقاتها..

فعليك أن تستشعر وأنت في مكة بأنك نلت فرصة من فرص العمر الكبيرة التي لا تعوض بشيء من متاع الدنيا وحطامها، وأن تحمل هم الاستفادة من تلك الفرصة قدر المستطاع.

لا أن تكون كالذين يدخلون مكة ويرتادون الحرم كارتيادهم لأي بلد آخر، ثم يُمْضون مدة إقامتهم فيها بنفس الاهتمامات الشخصية والدنيوية التي تكون لديهم عند دخولهم لأي مدينة أخرى، غافلين عن الخصوصيات التي جلّلَ الله تعالى فيها حَرَمَه وبيته، فيمضون أوقاتهم غافلين ذاهلين عما أتاحه الله تعالى لعباده المؤمنين من الثواب العظيم، والدرجات الرفيعة، والأجر الجزيل على عبادته ودعائه وتمجيده وتلاوة كتابه والتقرب إليه بأنواع القربات في ذلك المكان المقدس!

لا تكن حالك حال هؤلاء الغافلين المبتلين بالجهالة واللامبالات! بل أقبل على شأنك وأنت في أم القرى وهيئ نفسك علمياً ومعنوياً واشحذ

همتك وسلط سيف إرادتك نحو الجد والعمل في طاعة خالقك عز شأنه وجل ثناؤه، فإنك ستطلع في هذا الفصل على باب مذهل من أبواب رحمة الديّان فتحه لعباده في مكة أعزها الله فما عذر من أغفل دخول الباب بعد فتحه!؟

فاعلم أولاً أن الله تعالى قد اختار بعض الأزمنة فعظمت وتقست لنسبتها إليه (عز وجل)، كشهر رمضان الذي هو شهر الله تعالى، وكليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

وكذلك نسب بعض الأمكنة إلى نفسه واختارها على غيرها فشرفت كذلك وعظمت بتلك النسبة المقدسة، وجعل تلك الأزمنة والأمكنة الخاصة طرقاً للعروج إليه والتقرب منه، وأبواباً شرّعاً لتحصيل الربح الأخروي في التجارة مع الله (وتجارة مربحة يسرها رب كريم) مع العلم أن الأزمنة والأمكنة متساوية في ساحة قدسه فهي حدود بالنسبة إلينا نحن المخلوقين لا بالنسبة للخالق المطلق الذي لا يحدّه حدّ، بل هو قدَّر الحدود وإنما أصبحت حدوداً بمشيئته.

كل ذلك ليُكثِر بمنِّه وكرمهِ من إتاحة الفرص أمام عباده لينالوا ما لا يخطر على قلب بشر من الكرامات والمقامات والمثوبات، وذلك كله بما يليق بكرمه وجوده وفضله وليس للاستحقاق الذاتي للعبد (مِنَنُكَ ابتداء)..

فكان في شهر رمضان النوم عبادة والنفس تسبيح..

ليلة القدر العمل فيها خير من العمل في ألف شهر..

وكذلك في المكان المقدس الذي اختاره تعالى ونسبه إلى نفسه وهو البلد الأمين مكة، فإن الله تعالى قد أتاح للعباد فيه نيل ما تعجز العقول عن تصديقه لولا أنه مشفوع بكرم البارئ المطلق الذي لا نهاية له ولا حد.

فما عليك أيها الحاضر في البلد الحرام إلا أن تقتنص الفرصة وتقبل على شأنك وتشتغل بما يعنيك، وتذر اللهو واللغو والهذر وتضييع الوقت والاشتغال بما لا ينفع من الأمور الدنيوية التفصيلية الزائلة، والأحاديث غير المفيدة وتدع الجدال والخصومة والمناكفات والمنازعات مع رفقاء سفرك وغيرهم.

أنت في ضيافة الله بمكة

نماذج من الضيافة الإلهية:

التسبيح بمكة:

عن إمامنا الصادقعليه السلام قال: قال علي بن الحسينعليه السلام: **«تسبيحة بمكة أفضل من خراج العِراقين ينفق في سبيل الله»**[1].

ختم القرآن بمكة:

عن إمامنا السجادعليه السلام: **«من ختم القرآن بمكة لم يمت حتى يرى رسول اللهصلى الله عليه وآله ويرى منزله من الجنة»**[2].

وروى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقرعليه السلام قال:

«من ختم القرآن بمكة من جمعة إلى جمعة أو أقل من ذلك أو أكثر وختم في يوم جمعة كتب له من الأجر والحسنات من أول جمعة كانت في الدنيا إلى آخر جمعة تكون فيها، وإن قرأه في سائر الأيام فكذلك»[3].

أقول: ومن لم يستطع أن يختمه في سفرة واحدة الظاهر أنه يستطيع أن يكمل ختمية القرآن في سفره التالي إلى الحج أو العمرة، المهم أن يوفق لختمه في مكة أعزها الله.

---

(١) (٢) وسائل الشيعة (الإسلامية) ج٩ ص٣٨٢ ح١.

(٣) المصدر ح٣.

السجود بمكة:

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**الساجد بمكة كالمتشحط بدمه في سبيل الله**»[١].

الصيام بمكة:

روى الصدوق عن السجاد عليه السلام: «**وصيام يوم بمكة يعدل صيام سنة فيما سواها**»[٢].

في نفس الحديث: **الماشي بمكة في عبادة الله، والطاعم بمكة كالصائم فيما سواها.**

وورد أيضاً: **أن النائم في مكة كالمجتهد في البلدان**[٣].

الإنفاق في مكة:

ورد أن: **الدرهم فيها بمائة ألف درهم.**

الصبر على الحر بمكة:

عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: «**من صبر على حرّ مكة ساعة تباعدت عنه النار مسيرة مائة ألف عام، وتقربت منه الجنّة مسيرة مائة عام**» البحار ج٩٩ ص٨٥ ـ ٨٦).

ثواب المريض في مكة:

عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: «**من مرض مرضاً بمكة كتب الله له من العمل الصالح الذي يعمله عبادة ستين سنة**» (البحار ج٩٩ ص٨٢).

---

(١) المصدر ص٣٨٣ ح٥.

(٢) المصدر ح٢.

(٣) البحار ج٩٩ ص٨٢.

الصلاة في المسجد الحرام

عن الإمام الصادقعليه السلام: **«الصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة»**[(١)].

وعن الإمام الباقرعليه السلام: **«من صلى في المسجد الحرام صلاة مكتوبة، قبل الله منه كل صلاة صلاّها منذ يوم وجبت عليه الصلاة، وكل صلاة يصليها إلى أن يموت»**[(٢)].

وعن أمير المؤمنينعليه السلام: **«النافلة في المسجد الحرام الأعظم تعدل عمرة مبرورة، وصلاة الفريضة حجة مقبولة»** (المستدرك ج٣ ص٤٢١).

فيا أخي أكثر من الصلاة في المسجد الحرام ولا تحرم نفسك هذا الثواب الجزيل الذي أقدرك ربك عليه بكرمه وجوده ومنّه، فإذا كانت الصلاة بمائة ألف صلاة في الثواب والأجر إذن كيف يفرِّط العبد الموقن بالصلاة داخل المسجد!

نعم لا بد من إلفات النظر إلى أن هذا ينظر إلى الثواب ولا يتعلق من قريب أو من بعيد بمن عليه صلوات قضاء واجبة، فلو صلى ما صلى في المسجد الحرام فرائض ونوافل لا تسقط عنه ولو صلاة فجر واحدة كانت قد فاتته وتعلق بذمته وجوبُ قضائها.

ونحن ننصح من عليه قضاء أن يشتغل بتأديته في المسجد الحرام وله ثواب كبير إلا أنه فقهياً كل صلاة يؤديها تسقط عنه خصوص تلك الفريضة التي كانت قد فاتته لا أكثر.

---

(١) الوسائل ج٣ ص٥٣٧.

(٢) المصدر ص٥٣٦.

النظر إلى الكعبة عبادة

عن إمامنا الصادق عليه السلام: «**إن الله اختار من كل شيء شيئاً واختار من الأرض موضع الكعبة**» و«**ما خلق الله تعالى بقعة في الأرض أحب إليه منها، ولا أكرم على الله منها لها حرّم الأشهر الحرم..**» .

عن النبي صلى الله عليه وآله: «**النظر إلى الكعبة حيالها يهدم الخطايا هدماً**»[(١)] .

وعن إمامنا الصادق عليه السلام: «**لله تبارك وتعالى حول الكعبة عشرون ومائة رحمة، منها ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين**»[(٢)] .

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**من نظر إلى الكعبة عارفاً بحقها غفر له ذنبه وكفي ما أهمه**»[(٣)] وفي رواية: «**لم يزل يكتب له حسنة ويصرف عنه سيئة حتى يصرف بصره**»[(٤)] .

نعم إن المرء في مكة وفي المسجد الحرام يستطيع أن يبقى في عبادة حتى بعد قصور جسده عن العبادة البدنية، فحتى لو كان تَعِباً مجهداً، أو كان متثاقلاً عن العبادة البدنية فإنه يستطيع أن يجلس بحيال الكعبة المشرفة وينظر إليها فقط، فإن مجرد النظر إليها يغفر الذنوب، ويكفي العبد ما أهمه من أموره، ويهدم الخطايا هدماً، وينزل عليه عشرون رحمة من الله تعالى قد جعلها للناظرين إلى بيته الحرام. فما أعظم جودك يا ربنا، فقط نحتاج إلى التوفيق لنيل ما أعددته لعبادك من الكرامة والمثوبة.

---

(١) البحار ج٩٦ ص٦١.

(٢) الوسائل ج٩ ص٣٦٤.

(٣) (٤) بحار الانوار ج٩٦ ص٩٥.

ينبغي أن يكون لك برنامج في مكة:

أيها العزيز ينبغي إذن أن لا تكون في مكة غافلاً وأنت في ضيافة الرحمٰن بل عليك أن تقبل على شأنك وتصنع لنفسك برنامجاً عبادياً تصرف معظم وقتك في تأديته.

ـ **فأولاً**: احرص أن تكون صلواتك اليومية الواجبة في المسجد الحرام لتنال ذاك الثواب العظيم الذي ذكرناه وصرحت به الروايات.

وكذلك النوافل حاول أن تؤديها في المسجد فإن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة، واشتغل بالقضاء إذا كان عليك قضاء.

ولا يقصيك الازدحام عن ارتياد المسجد إلا إذا كان حرجياً عليك فإن من عظم الثواب في عينه هان عليه ما يبذله في سبيل تحصيله.

ـ **ثانياً**: ليكن من نيتك ختم القرآن، وهذا يتطلب منك التضحية بالكثير من الأحاديث الجانبية، فمن ختم القرآن بمكة لم يمت حتى يرى رسول الله ﷺ ويرى منزله في الجنة.

ـ **ثالثاً**: أكثر من الذكر لله تعالى بقلبك ولسانك، فإن تسبيحة واحدة بمكة تعدل خراج العراقين ينفق في سبيل الله. وكذلك أكثر من السجود فإن الساجد بمكة كالمتشحط بدمه في سبيل الله.

ـ **رابعاً**: أكثر من الطواف المستحب ما استطعت فإن ثواب الطواف عظيم وقد أسلفنا الحديث عنه آنفاً وللتذكير أقول:

عن إمامنا الصادق عليه السلام قال: «**يا أبان هل تدري ما ثواب من طاف بهذا البيت أسبوعاً فقلت: لا والله ما أدري، قال عليه السلام**:

(يكتب له ستة آلاف حسنة، ويمحي عنه ستة آلاف سيئة، ويرفع له ستة آلاف درجة»)[1].

وعن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

---

(١) الوسائل ج٩ ص٣٩٢.

يا إسحاق من طاف بهذا البيت طوافاً واحداً، كتب الله له ألف حسنة، ومحى عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، وغرس له ألف شجرة في الجنة، وكتب له ثواب عتق ألف نسمة، حتى إذا صار إلى الملتزم فتح الله له ثمانية أبواب الجنَّة، فيقال له: ادخل من أيها شئت، قال إسحاق: جعلت فداك هذا كله لما طاف؟!

قالعليه السلام**: نعم..»**[١].

وورد عنه عليه السلام أنه قال: «**الطواف للمجاورين أفضل من الصلاة، والصلاة لأهل مكة والقاطنين بها أفضل من الطواف**»[٢].

وقد مرّ في الرواية بأن ستين رحمة حول الكعبة تنزل على الطائفين، وأربعين للمصلين، وعشرين للناظرين، فالأوفر حظاً من رحمات الله المنان تعالى هم الطائفون.

لذلك ورد استحباب أن يكرر الطواف على عدد أيام السنة.

فعن الصادق عليه السلام قال: «**يستحب أن يطوف ثلاثمأة وستين أسبوعاً على عدد أيام السنة، فإن لم يستطع فثلاثمأة وستين شوطاً، فإن لم تستطع فما قدرت عليه من الطواف**»[٣].

وفي رواية أبان عن الصادق عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**كان يطوف بالليل والنهار عشرة أسابيع: ثلاثة أول الليل، وثلاثة آخر الليل، واثنين إذا أصبح، واثنين بعد الظهر، وكان فيما بين ذلك راحته**»[٤].

فعلى أي حال الأمر متروك لهمة العبد والتوفيق الإلهي فلا تتثاقل وتدعنّ الطواف ما قدرت.

ـ **خامساً**: الإنفاق، فليكن من برنامجك في التقرب إلى الله تعالى بمكة الإنفاق في سبيل الله فخصِّصْ مبلغاً من المال لتنفقه في مكة.

---

(١) الوسائل ج٩ ص٣٩٤.

(٢) الوسائل ج٩ ص٣٩٨.

(٣) الوسائل ج٩ ص٣٩٦.

(٤) المصدر السابق.

فإنه ورد أن الدرهم بمائة ألف درهم.

وقد تسأل على من أنفق في مكة؟

وأقول في جوابك: بما أن النفقة ينبغي أن تكون على المؤمن الموالي فإن إنفاقك على بعض إخوانك وأصدقائك أو رافقائك في القافلة هو من مصاديق الإنفاقات المستحبة في مكة.

دعوتك لهم على طعام، إعانتك للمحتاج منهم فلعلى نفقة البعض تقصر عن بعض حاجياته أو هداياه المتعارفة التي لا مفر منها لأحبائه وعائلته، وحتى دفعك أجرة وسيلة النقل يدخل في الإنفاق المستحب في مكة.

فعلى أي حال لا تنسى تخصيصك لمبلغ من المال لتنفقه في سبيل الله في مكة.

ـ **سادساً**: فلتكن شديد الحذر من أن يستزلك الشيطان لبعض الذنوب فإن الخطر عظيم في مكة، فكما أن الثواب فيها عظيم كذلك أمر الذنب فيها شديد!

يقول تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وقد ورد عن الصادق عليه السلام في تفسير الآية المباركة: «**كل ظلم إلحاد، وضرب الخادم في غير ذنب، من ذلك الإلحاد**».

فالظلم في غير الحرم قد لا يكون إلحاداً، وأما في الحرم فالظلم إلحاد، وهذا شيء مخيف.

قال ابن مسعود: ما من بلد يؤآخذ العبد فيه بالهمة قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وعن صادق أهل البيت عليهم السلام: «**كل ظلم يظلمه الرجل نفسه بمكة، من سرقة، أو ظلم أحد، أو شيء من الظلم فإني أراه إلحاداً**».

فإنه إذا عَظُمَ المكان أو الزمان عظمت المثوبة على الطاعة، وعظمت العقوبة على المعصية، لذلك كان يتقي الفقهاء أن يسكنوا مكة.

فيا أخي الكريم عليك أن تدرك مدى خطورة الذنب والعصيان في مكة فكن مراقباً دائماً لكل ما يصدر منك من فعل أو قول، وحاول أن يكون التعقل والرويّة دائماً هما السيدان في المواقف، وأَبعِد الانفعالات والأهواء عنك ما استطعت، وليكن العقل هو المُمْسِك بزمام أمورك دون أن تسيطر عليك غضبياتك، وإلا فإنك ستكون في خطر البعد عن الله دون التقرب منه، واختم على لسانك كختمتك على ورقك وذهبك إلا من خير.

«معالم مكة ومزاراتها»

هناك عدة أماكن ومزارات في مكة المكرمة لا ينبغي للناسك أن يفرط بزيارتها والاستلهام منها:

مكان ولادة النبيﷺ:

وهو الموضع الذي ولد فيه النبي الأعظم محمدﷺ، وقد كان أحد بيوتهم في شعب بني هاشم، وقد أدخل في دار محمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج بن يوسف حيث اشتراه محمد الثقفي من بعض أولاد عقيل بن أبي طالب.

ثم اشترته الخيزران أم هارون الرشيد وجعلته مسجداً يصلّى فيه وأشرعت بابه في الزقاق، وهو الآن يقع في زقاق يقال له: (زقاق المولد) في سوق الليل، فينبغي للمؤمن أن يزوره.

منزل الرسولﷺ:

وهو منزل زوجته خديجة بنت خويلد أم المؤمنين (رض) وقد سكنه الرسول معها في أيام حياتها، وسكنه بعد وفاتها إلى أن هاجر إلى المدينة، وفيه انبثق نور الزهراءعليها السلام وأولدت باقي أولادها، وهو الآن مسجد يقع في زقاق يسمى زقاق الحجر، ويقال لهذه الدار: (مولد فاطمة الزهراءعليها السلام). فكذلك ينبغي للناسك أن يزوره.

دار الأرقم المخزومي:

وينبغي له أن يزور دار الأرقم المخزومي، وهي دار كان الرسولﷺ يختبئ فيها عن المشركين، ويجتمع فيها مع أصحابه يقرأ عليهم القرآن

ويعلمهم، وهي الآن مسجد في جنب الصفا.

مقبرة الحجون:

وهي مقبرة أهل مكة وفيها قبور كثير من الصحابة، ويقال لها مقبرة أبي طالب وقريش وبني هاشم، وجنّة المُعلّى. وفيما يلي سنذكر بعض من دفن فيها ممن يستحب زيارتهم:

وأول من دفن فيها: **قصي بن كلاب الجد الأعلى لرسول الله ﷺ**.

وكان بيده أمور الكعبة ومفتاحها.

عبد المطلب بن هاشم: بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وهو الجد الأول لرسول الله ﷺ وهو الذي حفر بئر زمزم بعد أن اندرست معالمه، وهو صاحب الموقف المشهور مع أبرهة عندما أتى الأخير لهدم الكعبة حيث قال له: إني أنا ربّ الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه»، وهو مدفون في مقبرة الحجون.

أبو طالب بن عبد المطلب: بن هاشم بن عبد مناف، بن قصي، والد الإمام علي عليه السلام وعقيل وجعفر، وكان المحامي والمدافع والذاب عن رسول الله ﷺ والكافل له، بحيث إن قريش لم تستطع على النيل منه ولم تجرؤ على الاقتراب منه ﷺ وأصحابه حتى مات أبو طالب، وبعد وفاته هاجر النبي ﷺ من مكة بعد المؤامرة على قتله في دار الندوة.

وقد سمّى رسول الله ﷺ العام الذي مات فيه وخديجة بعام الحزن.

وقد توفي على دين النبي ﷺ، وكان يحث آله على مساندته واتباع دينه، ويدفع بولديه علي وجعفر ليكونا جناحيه، حتى أنه كان في فترة الحصار في الشعب يأمر علياً عليه السلام أن يبيت مكان رسول الله ﷺ.

أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد: زوجة النبي ﷺ، وأول امرأة أسلمت مع الرسول ﷺ، وقد قام الدين على سيف علي وعلى مال خديجة.

وقد واست الرسول ﷺ بنفسها ومالها، وضحت في سبيله وفي سبيل الإسلام أيما تضحية، وقبرها معروف في مقبرة الحجون في سفح الجبل.

القاسم ابن النبيﷺ: وأمه خديجة عليها السلام، وهو مدفون بالقرب من قبر السيدة خديجة.

وينبغي الإشارة إلى أنه قد دفن في هذه المقبرة عدد من أولاد الأئمة عليهم السلام والعلماء العظام، والصحابة والتابعين.

زيارة السيدة آمنة بنت وهب أم النبي الأعظم ﷺ:

المشهور الأرجح أنها مدفونة في الأبواء، وهي منطقة بين مكة والمدينة، وكان النبي ﷺ يذهب دائماً لزيارتها.

ولا بأس أن يزورها الإنسان في مكة باعتبار عدم استطاعة قوافل الحجاج الذهاب إلى قبرها الشريف.

شهداء واقعة فخ:

إن «فخ» وادٍ يقع غرب مكّة على طريق مكة ـ التنعيم ـ المدينة، ويبعد عن مكة حوالي ستة كيلومترات.

وفي هذا الوادي سنة ١٦٩هـ وقعت مجزرة دموية وحادث رهيب، وذلك عندما خرج الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وبايعه جماعة من العلويين وغيرهم من المسلمين، فلما وصل إلى فخ لقيته جيوش بني العباس فأعطوه الأمان، ثم غدروا به وبمن معه، وقتل في هذه المعركة مائة نفر من ذرية الزهراء عليها السلام وقطعت رؤوسهم...

ونقل عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فخّ. وقد دفنت جثثهم في ذلك المكان وصار مزاراً، وليس لقبورهم الآن أي أثر.

ويعرف المكان بـ (مسجد الشهداء).

المعالم التاريخية في مكة وغيرها التي اتصلت بحياة الرسول ﷺ:

يستحب للحاج والمعتمر أن يزور المواضع التي اتصلت بتاريخ

الرسول الأكرمﷺ والرسالة، حتى أصبحت من آثار النبوة ومكونات تاريخها.

وليكن الهدف والغاية التذكر، والتأمل، والاعتبار، ليقتبس ويستوحي من تلك الأماكن المذكرة بالوقائع والآثار الخالدة فيجعل أعمال رسول اللهﷺ وأقواله فيها بنراساً يهتدي بنوره، سواء على صعيد عقيدته وتركيزها، وإيمانه وترسيخه، أو على صعيد العمل وتصويبه، والنفس وتصفيتها وتزكيتها.

فقف أيها العزيز في تلك واضع، وأطلق لعقلك وفكرك فيها العنان فإنك سوف تستلهم بعد التفكر ـ الذي هو خير من العبادة (تفكر ساعة خير من عبادة سنة) ـ حقائق إنسانية ذات قيم عظيمة، وستجني ثماراً من المعارف الأصيلة التي تؤثر كثيراً في نفسك وسلوكك.

وهاك بعض تلك المواضع والمعالم:

١ ـ غار حِراء

«حِراء» بكسر الحاء وفتح الراء جبل طويل يقع في الشمال الشرقي من مكة، وغار حراء يقع في رأس الجبل في الجهة المشرفة على القبلة، وكان النبي ﷺ قبل نزول الوحي عليه يصعد هذا الجبل ويقيم في الغار أياماً وليالي منفرداً للتعبد، والتبتل، إلى أن نزل عليه الوحي وأمر بأن يصدع بالرسالة ويبلغها.

ماذا نستوحي من هذا الأثر النبوي؟

أ ـ أهمية الخلوة مع الله تعالى، واعتزال كل شيء دونه، ولو ضمن مدة زمنية محدودة من حين لآخر، يقول تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ هذا الفرار إلى الله تعالى والانقطاع إليه يعقب صفاء في النفس، وتوقداً في الذهن، وخروجاً عن الممالأة للخلق والمصانعة، والمهادنة، ويعطي فرصة أكبر للعقل لكي يحكم بحكمه بعيداً عن كل المؤثرات الأخرى بين الملأ التي تحول دون إصدار الحكم العقلي المتجرد الذي يصيب الحقيقة بعينها دون شوبها بالهوى الباطل ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾، ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى﴾. وقد نزل عليه ﷺ الوحي وهو في خلوته المقدسة تلك، وهذا فيه الكثير للمتبصر.

ب ـ المؤمن لا يستسلم للمناخات والأجواء الطاغية في محيطه ومجتمعه مهما كان يعلوها الصخب والضجيج، ويكون مرجعه الحاكم دائماً هو عقله، ولا يستوحش في طريق الحق لقلة سالكيه، وهذا يستدعي بذل جهد كبير وتحمل للمشاق في سبيل الوصول إلى معرفة الحق أولاً، والثبات عليه والجهاد في سبيله حتى يظهر ثانياً.

ج ـ أم المؤمنين خديجةؑ أسوة في التضحية والإيثار:

نستوحي الدروس العظيمة من أم المؤمنين خديجةؑ عندما نستذكر كيف كانت إلى جنب النبيﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي في حراء وبعد نزول الوحي، كانت تهيئ له زاده لتلك الفترة التي ينقطع فيها رسول الله إلى ربه في غار حراء، وقد قص عليها الرسولﷺ كيف أن الأمين جبرئيلؑ نزل عليه وقال له إقرأ...

فاستبشرت وبشرته بالخير وبأن الله تعالى سيكون معه ويؤيده لكي ينتصر ويجتث الشرك من تلك الأرض المقدسة. وكانت أول امرأة أسلمت مع النبيﷺ، وصلت خلفه مع أمير المؤمنينؑ.

فنستلهم منها وهي المواكبة للنبيﷺ في مسيرته التأملية دروس التضحية في سبيل الرسالة والقيم وفي سبيل زوجها النبي الأعظمﷺ، ودروس التفاني والإيثار حيث بذلت مالها وجاهها في سبيل الحق، فقد اعتزلها نساء قريش وهي (أيّم قريش) بحجة زواجها من يتيم أبي طالب دون أن تتزوج بغني من الأغنياء، وصبرت وتحملت، لذلك كان النبيﷺ يذكرها بخير حتى بعد وفاتها وربما دمعت عيناهﷺ عند ذكرها، وكان هذا مما لا يروق كثيراً لإحدى نسائهﷺ فقالت له يوماً: مالك تكثر ذكر خديجة وتسر باسمها وهي عجوز هلكت، وإن الله قد رزقك أحسن منها، فقالﷺ: لا والله ما رزقت أحسن منها، لقد آمنت بي حين كذبوني، وأنفقت مالها حين بخلوا عني.

نعم إنه كان لخديجةؑ مال كثير فمن جملة ما نقل في ذلك مائة طشت من أواني الذهب ومثلها من الفضة، ومائة إبريق من الذهب ومثلها من الفضة، ومائة وستون من العبيد والجواري، ومن الحلي والحلل ما شاء الله، وكذلك من الإبل والأنعام الأخرى، فكانت تنفق أموالها بسخاء في سبيل الدعوة إلى الله، وسد رمق المؤمنين، وخصوصاً عند الحصار في شعب أبي طالب حيث ما كان يسمح لهم بالخروج من الشعب إلا في موسمي العمرة والحج، وكانوا لا يعطون المتاع للنبيﷺ والذين آمنوا معه إلا بأضعاف قيمته الحقيقية، وكان مال أم المؤمنين خديجة نعم الوسيلة ونعم المنقذ للمؤمنين من التلف، فأنفقت جميع مالها حتى غدت تنام هي

ورسول اللهصلى الله عليه وآله في كساء واحد لم يكن لها غيرها كما نقل.

ومن هنا أثِر عن رسول اللهصلى الله عليه وآله أنه قال: «ما قام ولا استقام ديني إلا بشيئين مال خديجةعليها السلام وسيف عليعليه السلام».

وروى ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ﴾ يعني: وجدك فقيراً فأغناك بمال خديجةعليها السلام.

فهذا المقام الجليل لأم المؤمنين خديجةعليها السلام يسفر عنه كون رب العزة تعالى قد أبلغها سلاماً منه وكذلك الأمين جبرئيل ففي الرواية عن النبيصلى الله عليه وآله قال: لما رجعت من السماء قلت يا جبرئيل هل لك من حاجة قال جبرئيل:

حاجتي أن تقرأ من الله ومني السلام على خديجة، وبلغ رسول اللهصلى الله عليه وآله فقالتعليها السلام: إن الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه يعود السلام، وعلى جبرئيل السلام.

ونزل جبرئيل على النبيصلى الله عليه وآله بعد وفاة خديجةعليها السلام وقال له:

إن ربك يأمرك أن تقرأ على فاطمة السلام وتقول لها: أمك في بيت من قصب كِعَابُه من ذهب وعَمَدُه من ياقوت أحمر بين آسيا إمرأة فرعون ومريم بنت عمران.

فخديجة بنت خويلد أم المؤمنينعليها السلام أسوة حسنة لنساء أمتنا في اليقين الراسخ والإيمان القوي الذي لا يزعزعه شيء حتى فقدان المال ومقت الناس. وفي التضحية والبذل والإيثار في سبيل الحق والدين أولاً، ثم الإخلاص والتضحية في سبيل الزوج ثانياً. فيا حبذا لو أن نساءنا يتأسين بخديجةعليها السلام في ذلك فإن في ذلك الثواب العظيم والمقامات العالية ففي الحديث: **«ما من امرأة تسقي زوجها شربة من ماء إلا كان خيراً لها من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها»** وفي رواية: **غفر لها (الله) ستين خطيئة.**

وفي رواية أخرى: **«أيما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذبه».**

د ـ عندما نذكر حراء نذكر أول خطاب بين السماء والأرض، وأول كلمات الوحي ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ فتتأكد في قلوبنا عظمة القراءة والعلم والتعلم، فإن فاتحة خطاب الرب تبارك وتعالى لرسوله هو أمره بالقراءة، ألا يجب أن يشتعل في قلوبنا حب العلم والمعرفة وحب القراءة لما هو مفيد ونافع!!؟

٢ ـ غار ثور

من المواضع التي ينبغي وتستحب زيارتها جبل ثور، وهو جبل يقع بأسفل مكة على طريق عرنة، وقد خرج إليه رسول الله ﷺ في ليلة الهجرة واختبأ في الغار الذي فيه، حتى أمره الله تعالى بالهجرة إلى المدينة.

وعندما نرد على جبل ثور نتذكر تلك المجريات القاسية التي ألجأت الرسول آخر المطاف إلى أن يهاجر من مكة التي كانت تعني له الكثير.

فإن مشركي قريش اجتمعوا في دار الندوة للتشاور فيما بينهم في الطريقة التي يستطيعون من خلالها التخلص من النبي ﷺ وأتباعه، واجتمعت آراؤهم على أن يختاروا من كل قبيلة رجلاً جلداً قوياً ثم يهجموا عليه في فراشه فيقتلوه ويضيع دمه بين القبائل، ونزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

وأمره بالخروج إلى غار ثور ومنها إلى المدينة ـ ونتذكر مبيت علي عليه السلام على فراش النبي ﷺ: فلما أراد الهجرة خلف علياً عليه السلام لقضاء ديونه ورد الودائع لأصحابها، ثم قال له: إن الله تعالى أوحى إلي أن أهجر دار قومي وأن أنطلق إلى غار ثور وأن آمرك بالمبيت على فراشي وسيلقي شبهي عليك.

فقال عليه السلام: أو تسلم بمبيتي هناك؟

قال ﷺ: نعم. فتبسم علي عليه السلام ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لله، ولما رفع رأسه قال: امضِ لما أمرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي وكان عليه السلام يقول:

وقيت نفسي خير من وطأ الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف أن يمكروا به فنجاه ذو الطَّول الإله من المكر
فبات رسول الله في الغار آمناً موقى وفي حفظ الإله وفي ستر
وبت أراعيهم وما يثبتونني فقد وطنت نفسي على القتل والأسر
أردت به نصر الإله تبتلاً وأضمرته حتى أوسد في قبري

وليست المرة الأولى التي ينام فيها علي في فراش الرسولﷺ ليقيه بنفسه، فلقد كان ينام في فراشه منذ أربع سنين في شعب أبي طالب بأمر من أبي طالبعليه السلام حيث كان غاية همه حفظ الرسولﷺ، فكان يأخذ بيد علي ويأتي به إلى فراش النبيﷺ ويأمره بالمبيت في فراشه ويحوِّل النبي إلى فراش آخر. ولقد قال عليعليه السلام: أبتاه إني لمقتول، فيقول له أبو طالب:

اصبرن يا بني فالصبر أحجى كل حي مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء شديد لفداء النجيب وابن النجيب
إن تصبك المنون فالنبل تترى فمصيب منها وغير مصيب

فخلاصة قال له الرسولﷺ: ارقد على فراشي واشتمل بردي الحضرمي، ثم إني أخبرك يا علي أن الله تعالى امتحن أولياءه على قدر منازلهم من دينه فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فقد امتحنك يابن أم وامتحنني فيك بمثل ما امتحن خليله إبراهيم والذبيح إسماعيل فصبراً صبراً فإن رحمة الله قريب من المحسنين. ثم ضمه إلى صدره وأخذ يوصيه، ثم خرج الرسولﷺ وبات عليعليه السلام على فراشه.

وفي تلك الليلة أوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل أني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟! فاختار كل واحد منهما الحياة، فأوحى الله إليهما ألا كنتما كوليي عليعليه السلام آخيت بينه وبين محمدﷺ فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا إلى الأرض وجلس جبرئيل عند رأس أمير المؤمنينعليه السلام وميكائيل عند رجليه فقال جبرئيل: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب فقد باهى الله بك ملائكته.

ولما علمت قريش الحال أرسلت وراء الرسولﷺ جماعة كان معهم قصَّاص أثر يقتفي أثر الطير إذا مرّ، فوصلوا إلى باب الغار وكان التدخل

الإلهي، والإمداد الغيبي، وكانت المعجزة والكرامة من رب العزة عز شأنه.

حيث اقتضت العناية الإلهية أن ينجو الرسول الأكرمﷺ وصاحبه بخيوط بيت العنكبوت الذي هو أوهن البيوت وببيض حمامة قد عششت عند باب الغار فإن قصَّاص الأثر أوصلهم إلى باب الغار وكان الرسولﷺ وصاحبه داخل الغار ليس بينه وبينهم إلا أن يدخلوا الغار عليه وينتهي كل شيء.

إلا أنهم قالوا ليس من المحتمل أن يكون قد دخل الغار وإلا فكيف لم تتخرق خيوط بيت العنكبوت، وكيف بقيت هذه اليمامة في عشها؟!!!

وهكذا حفظت العناية الإلهية رسول الرحمة من كيد العدو الغاشم بألطف ما يمكن أن يتصور من وسائل وأسباب!

يقول تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

إيحاءات الهجرة وغار ثور:

١ ـ حسن التوكل على الله، والثقة بالله، والتسليم لأمر الله.

٢ ـ إن الثقة بالله وبنصره يوجب نزول السكينة على القلب.

٣ ـ إذا اقتضت مصلحة الدين أي تضحية فالمؤمن ينبغي أن يكون حاضراً للبذل، حتى وإن قاسياً ومراً وباهظاً كترك الوطن والهجرة إلى بلد آخر.

٤ ـ عدم الانصياع للظلم بحجة الاستضعاف ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾.

---

(١) التوبة آية ٤٠.

٥ ـ نفهم من وصية الرسولﷺ لأمير المؤمنينؑ برد الأمانات والودائع إلى أهلها وقضاء الديون كم هو عظيم أمر الأمانة وأموال الناس، فينبغي أن لا نتسامح في حقوق الآخرين حتى الخيط والمخيط.

٦ ـ أهمية عنصر الارتباط بالغيب والإمدادات الغيبية والألطاف غير المحتسبة، ويتجلى ذلك عند خروجهﷺ دون أن يراه القوم، أو في الحفظ بخيوط عنكبوت.. وهذا باب عريض ينبغي للمؤمن أن يلج منه بعناية وتفكر ومتابعة وتدبر، ومراقبة للأمور الخفية الآتية من بطون الغيب كي يشتد أنسه بالله، ويخف جزعه عند الملمات. فمن قصر نظره على الأسباب الظاهرية فحسب عاش في ظلمات القلق، لتخلف هذه الأسباب في أحوال كثيرة، ومما ينفي درجة الاطمئنان بالنتائج.

وأما من يضم إلى العمل بالعناصر الموضوعية الاعتماد على القاهر فوق عباده الذي إليه يرجع الأمر كله فإنه سيكون في سكينة واطمئنان، فيكون توكله في الواقع على مسبب الأسباب، وأما قيامه بدراسة الأمور الموضوعية وتفعيلها فمن باب أنه مأمور باتباع الأسباب الظاهرية، وفي قرارة نفسه لم يعتمد قلبه إلا على مسببيها.

مسجد غدير خم:

من المساجد المباركة التي يستحب للناسك أن يزورها مسجد غدير خم، وهو الموضع الذي جمع الرسولﷺ فيه المسلمين عند رجوعهم من حجة الوداع، ونص بالإمامة على أمير المؤمنينؑ بقولهﷺ:

«**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**» وفيه أنزلت الآية الكريمة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ وذلك بعد تنصيب الأميرؑ.

المعرَّس بـ (ذي الحليفة):

يستحب للناسك إذا رجع من مكة على طريق المدينة أن ينزل بالمعرَّس وهو موضع بذي الحليفة مما يلي القبلة من مسجد الشجرة، وقد

كان النبي ﷺ ينزل فيه ويصلي ويضطجع، ولذلك سمي بالمعرس، فيستحب أن ينزل في الموضع المذكور ويصلي فيه ويضطجع ولو قليلاً، سواء مر به ليلاً أو نهاراً، وإذا تجاوزه ولم ينزل فيه استحب له أن يرجع إليه ويفعل ذلك، واستحباب التعريس إنما هو في الرجوع من مكة لا في الذهاب إليها.

معالم المدينة المنورة ومزاراتها

يستحب للمرء أن يقيم بالمدينة ويطيل مدة مكثه فيها، ويكثر فيها من التعبد، ويختار الإقامة فيها على الإقامة في مكة ما أمكنه ذلك[١].

زيارة قبر النبي ﷺ:

وتستحب زيارة قبر الرسول ﷺ في المدينة استحباباً شديد التأكد وخصوصاً للحاج ففي الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام:

(«أتموا برسول الله ﷺ إذا خرجتم إلى بيت الله الحرام، فإن تركه جفاء وبذلك أمرتم، وأتموا بالقبور التي ألزمكم الله حقها وزيارتها، واطلبوا الرزق عندها»)[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: **«من أتى مكّة حاجاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنّة»**[٣].

وفي رواية قال الحسين عليه السلام لرسول الله ﷺ: يا أبتاه ما لمن زارك؟

فقال رسول الله ﷺ: **«من زارني حياً أو ميتاً، أو زار أباك، أو زار**

(١) راجع الوسائل ج١٠ كتاب الحج باب استحباب الإقامة بالمدينة واختيارها على الإقامة بمكة (ص٢٧١).

(٢) المصدر ص٢٥٥.

(٣) المصدر ص٢٦١.

أخاك، أو زارك. كان حقاً عليّ أن أزوره يوم القيامة وأخلصه من ذنوبه»[١].

وفي رواية أخرى: **«ضمنت له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها وشدائدها حتى أصيره معي في درجتي»**.

وعنه عليه السلام: **«إن زيارة قبر رسول الله ﷺ**

تعدل حجة مع رسول الله ﷺ مبرورة»[٢].

وفي المقنعة للشيخ المفيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من زارني في حياتي أو بعد موتي كان في جواري يوم القيامة»**.

وعن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عن رسول الله ﷺ قال: **«من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر إليّ في حياتي»**[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله ﷺ: **«من سلّم عليّ في شيء من الأرض أُبلِغته، ومن سلّم علي عند القبر سمعته»**.

زيارة الأئمة عليهم السلام:

عن الحسن بن علي الوشّاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال:

«إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاؤهم يوم القيامة»[٤].

وعن أبي جعفر عليه السلام: **«ابدؤا بمكة واختموا بنا»**[٥].

وعن جعفر بن محمد عليه السلام: **«إذا حج أحدكم فليختم بزيارتنا،**

---

(١) المصدر ص٢٥٦.

(٢) المصدر ص٢٦٣.

(٣) المصدر ص٢٦٣.

(٤) الوسائل ج١٠ أبواب المزارات من كتاب الحج ص٢٥٣.

(٥) المصدر ٢٥٤.

لأن ذلك من تمام الحج»[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام: **«تمام الحج لقاء الإمام»**[٢].

وعنه أيضاً عليه السلام: **«إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم»**[٣].

وعن الصادق عليه السلام: **«من زارنا بعد مماتنا فكأنما زارنا في حياتنا»**[٤].

وعنه عليه السلام: **«من زار إماماً مفترض الطاعة وصلى عنده أربع ركعات كتب الله له حجة وعمرة»**[٥].

والأئمة المدفونون في البقيع هم: الإمام الحسن بن علي المجتبى عليه السلام، والإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، والإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، والإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

ولاية أهل البيت وقبول الحج، وقبول الأعمال:

أكدت أحاديث أهل البيت عليهم السلام على دور الولاية وشرطيتها في قبول الأعمال التي من جملتها الحج، فعن إمامنا الصادق عليه السلام:

> **(«أتدرون أي بقعة في المسجد الحرام أفضل عند الله حرمة... ذاك ما بين الركن والمقام وباب الكعبة، وذلك حطيم إسماعيل عليه السلام، ذاك الذي كان يدور فيه غنيماته ويصلّي فيه، والله لو أن عبداً صف قدميه في ذلك المكان، قام الليل مصلياً حتى يجيئه النهار، وصام النهار حتى يجيئه الليل، ولم يعرف حقنا وحرمتنا أهل البيت لم يقبل الله منه شيئاً أبداً»[٦]).**

---

(١) (٢) المصدر ٢٥٤.

(٣) المصدر ص٢٥٢.

(٤) (٥) المصدر ص٢٦٠.

(٦) البحار ج٩٩ ص٢٣٠.

وفي خبر المفضل أن الله تعالى قال لرسوله ﷺ: **«يا محمد، لو أن عبداً يعبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي ثم أتاني جاحداً لولايتهم ما أسكنه جنتي، ولا أظللنه تحت عرشي»**[١].

فالله تعالى يريد لعباده الدخول في عبادته من الأبواب التي هو شرعها، فحق الله أن يعبد من حيث يريد لا من حيث يريد العبد.

وقد ورد عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أنه: **«مرّ موسى بن عمران برجل رافع يده إلى السماء يدعو، فانطلق موسى في حاجته فغاب عنه سبعة أيام ثم رجع إليه وهو رافع يديه يدعو ويتضرع ويسأل حاجته فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى لو دعاني حتى تسقط لسانه ما استجبت له حتى يأتيني من الباب الذي أمرته به»**[٢].

فأهل البيت عليهم السلام هم الباب الذي امتحن الله به الناس، وجعل ولايتهم شرط قبول الأعمال.

فعن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال عليه السلام: **«النبأ العظيم الولاية»**[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قال عليه السلام: **«الحسنة الولاية»**[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ قال عليه السلام: **«الولاية»**[٥].

وفي معنى: «حي على خير العمل» قال عليه السلام: **«الولاية»**[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ قال عليه السلام: **«النور الولاية»**[٧].

وفسر النعيم في قوله تعالى: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ بالولاية.

---

(١) البحار ج٩٩ ص٢٣٠.
(٢) المصدر ص١٨٠.
(٣)(٤) (٥) (٦) (٧): البحار للمجلسي ج٢٧، ج٢٤، ج٣٦.

وعنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ قال عليه السلام: **«يعني الولاية»**.

إذا علمت هذا كله علمت معنى قوله عليه السلام: **«إذا حج أحدكم فليختم حجه بزيارتنا لأن ذلك من تمام الحج»**.

وقوله عليه السلام: **«ابدؤا بمكة واختموا بنا»**.

وقول الباقر عليه السلام: **«إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم»**،

صاحب الأمر (عج) يحضر الموسم كل سنة:

ينبغي للموالي الحاج أن يعمق حالة القرب المعنوي وحالة العشق بينه وبين إمام زمانه وهو في تلك الأماكن المقدسة، فيستشعر في أعماق نفسه وجود ولي الله الأعظم في ذلك المجمع الرباني المهيب.

وقد يراه فلا يعرفه، فعن إمامنا الحسن بن علي العسكري عليه السلام: **«والله إن صاحب هذا الأمر يحضر الموسم كل سنة، فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه»**[1].

وعن إمامنا الصادق عليه السلام: **«يفقد الناس إمامهم فيشهدهم الموسم فيراهم ولا يرونه»**[2].

فنفس أن تدري بتواجد الإمام (عج) بين ظهراني الناس في تلك البقعة المحدودة مكانياً وخاصة في عرفة مثلاً، تستجد نفسك منجذباً لمعاني راقية، ورقة وشفافية في الوجدان على قدر علاقتك المعنوية بإمامك ومعرفتك بحقائق الولاية واستحضارك لها.

زيارة السيدة الزهراء عليها السلام:

روى زيد بن عبد عن أبيه عن جده قال: دخلت على فاطمة عليها السلام

---

(١) بحار الأنوار ج٥١ ص٢٢٠.

(٢) بحار الأنوار ج٦ ص٢٦٦.

فبدأتني بالسلام، ثم قالت: ما غدا بك؟ قلت طلب البركة.

قالتعليها السلام: **«أخبرني أبي وهو ذا هو أنه من سلَّم عليه وعليَّ ثلاثة أيام أوجب الله له الجنّة»**.

قلت لها: في حياته وحياتك؟ قال: **«نعم وبعد موتنا»**(١).

وقالصلى الله عليه وآله لفاطمةعليها السلام: **«يا فاطمة من صلى عليكِ غفر الله له وألحقه بي حيث كنت في الجنّة»**.

وفي تعيين موضع قبرها عدة روايات.

فقيل: إنها مدفونة في البقيع عند قبور أولادها أئمة البقيععليهم السلام، أو في موضع آخر من البقيع.

وقيل: هي مدفونة في الروضة ما بين قبر الرسول ومنبره.

وقيل: إنها دفنت في بيتها، ولما زاد بنو أميّة في توسعة المسجد في أيام خلافتهم دخل القبر في المسجد، وقد اعتمد هذا القول جماعة من الأعلام.

زيارة قبور الصالحين في البقيع:

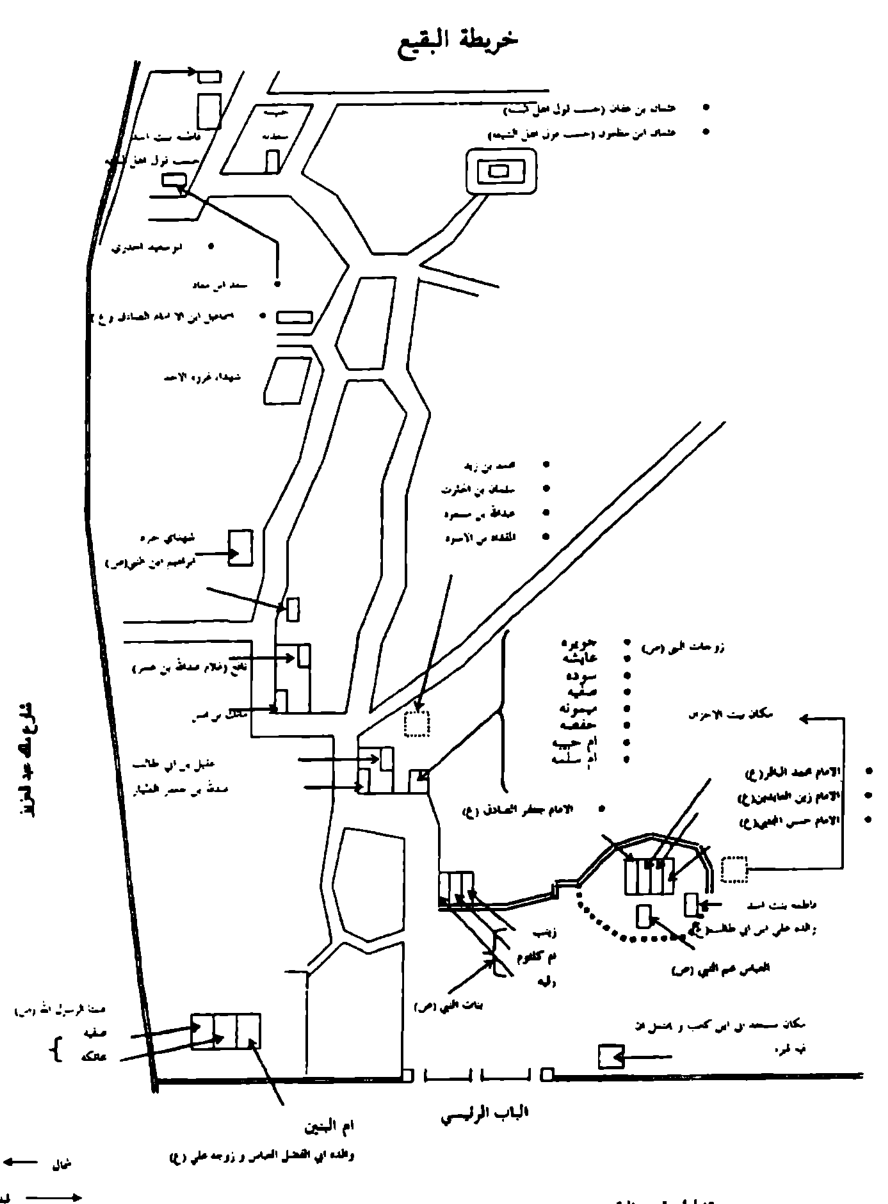
تستحب زيارة قبور المؤمنين والصلحاء في البقيع من الصحابة والتابعين وأقرباء الرسولصلى الله عليه وآله وبناته وزوجاته وغيرهم، ويقرأ في زيارتهم زيارة أهل لا إله إلا الله المعروفة، وتستحب زيارة قبر إبراهيم ابن رسول اللهصلى الله عليه وآله، وقبر السيدة فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنينعليه السلام.

ومن البر برسول اللهصلى الله عليه وآله زيارة قبر عمه العباس وابن عمه عقيل بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر، ومرضعته حليمة السعدية، وقبر أم البنين، وقبور صحابته الأجلاء المدفونين هناك ومنهم من استشهد من جرحى غزوة أحد، وشهداء معركة الحرَّة.

---

(١) التهذيب.

خريطة البقيع



استحباب زيارة المساجد المباركة في المدينة وما حولها

روى معاوية بن عمّار عن الصادقعليه السلام أنهق ال:

«لا ندع إتيان المشاهد كلها، مسجد قبا فإنه المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، ومشربة أم ابراهيم، ومسجد الفضيخ، وقبور الشهداء ومسجد الأحزاب وهو مسجد الفتح... وليكن فيما تقول عند مسجد الفتح: يا صريخ المكروبين، ويا مجيب دعوة المضطرين اكشف همي وغمي وكربي كما كشفت عن نبيك همه وغمه وكربه وكفيته هول عدوّه في هذا المكان»[1].

وعن عقبة بن خالد قال: سألت أبا عبد اللهعليه السلام إنا نأتي المساجد التي حول المدينة فبأيها أبدأ؟

(فقالعليه السلام: «إبدأ بقبا فصلِّ فيه وأكثر فإنه أول مسجد صلى فيه رسول اللهصلى الله عليه وآله في هذه العرصة، ثم ائتِ مشربة أم ابراهيم فصلِّ فيها، فإنها مسكن رسول اللهصلى الله عليه وآله ومصلاه، ثم تأتي مسجد الفضيح فتصلي فيه فقد صلى فيه نبيك، فإذا قضيت هذا الجانب أتيت جانب أحد فبدأت بالمسجد الذي دون الحيرة فصليت فيه، ثم مررت بقبر حمزة بن عبد المطلب فسلمت عليه، ثم مررت بقبور الشهداء فقمت عندهم فقلت:)

«السلام عليكم يا أهل الديار أنتم لنا فرط وإن بكم لاحقون».

ثم تأتي المسجد الذي في المكان الواسع إلى جنب الجبل عن يمينك حتى تأتي أحداً فتصلي فيه، فعنده خرج النبيصلى الله عليه وآله إلى أحد حين لقي المشركين فلم يبرحوا حتى حضرت الصلاة فصلى فيه، ثم مرّ أيضاً حتى

---

(١) وسائل الشيعة ج١٠ كتاب الحج أبواب المزار ص٢٧٦.

ترجع فتصلي عند قبور الشهداء ما كتب الله لك، ثم امضِ على وجهك حتى تأتي مسجد الأحزاب فتصلي فيه وتدعو الله، فإن رسول الله ﷺ دعا فيه يوم الأحزاب وقال: يا صريخ المكروبين، يا مجيب دعوة المضطرين، يا مغيث المهمومين، اكشف همي وكربي وغمي فقد ترى حالي وحال أصحابي»[١].

(١) وسائل الشيعة ج١٠ كتاب الحج أبواب المزار ص٢٧٦.

مسجد قُباء

قال تعالى: **«لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه»** هو مسجد قباء (بالضم).

وقد مدحه الله تعالى بحسن نية مؤسسيه من أول يوم في مقابل مسجد ضرار الذي بناه بعض المنافقين لأغراض شيطانية وهي الضرار بالمؤمنين والتفريق فيما بينهم والكفر والإرصاد لمن حارب الله ورسوله.

وهذه الأغراض للمنافقين تتضح من خلال القصة التي اتفق عليها أهل النقل وهي: أن جماعة من بني عمرو بن عوف بنوا مسجد قبا وسألوا النبيﷺ أن يصلي فيه، فصلى فيهﷺ، فحسدهم جماعة من بني غنم بن عوف وهم منافقون فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قبا، ليضروا به، ويفرقوا المؤمنين منه، وينتظروا لأبي عامر الراهب الذي وعدهم أن يأتيهم بجيش من الروم ليخرجوا النبيﷺ من المدينة، وأمرهم أن يستعدوا للقتال معهم.

ولما بنو المسجد أتوا النبيﷺ وهو يتجهز إلى تبوك وسألوه أن يأتيه ويصلي فيه ويدعو لهم بالبركة، فوعدهم إلى الفراغ من أمر تبوك، والرجوع إلى المدينة فنزلت الآيات:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾.

وكان مسجدهم لمضارة مسجد قبا، وللكفر بالله ورسوله، ولتفريق المؤمنين المجتمعين في قبا، ولإرصاد أبي عامر الراهب المحارب لله

ورسوله من قبل، وقد أخبر الله سبحانه عنهم أنهم ليحلفن إن أردنا من بناء هذا المسجد إلا الفعلة الحسنى وهو التسهيل للمؤمنين بتكثير معابد يعبد فيها الله وشهد الله بكذبهم ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ نهي للنبي ﷺ عن أن يقوم فيه، ثم ذكر مسجد قبا ورجح القيام فيه بعدما مدحه بقوله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾.

وفي المجمع كان الذين بنوا مسجد ضرار اثني عشر رجلاً وقيل خمسة عشر رجلاً منهم ثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير ونبتل ابن الحارث.. وقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلل والحاجة والليلة الممطرة والليلة الشاتيه، وفي المجمع في قوله تعالى: ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال: هو أبو عامر الراهب، قال وكان من قصته أنه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي ﷺ المدينة حسده، وحزب عليه الأحزاب ثم هرب بعد الفتح إلى الطائف فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام، وخرج إلى الروم وتنصر وهو والد حنظلة غسيل الملائكة الذي قتل (أي حنظلة) مع النبي ﷺ يوم أحد وكان جنباً فغسلته الملائكة. وسمى رسول الله أبا عامر (الفاسق).

وكان قد أرسل إلى المنافقين أن استعدوا وابنوا مسجداً فإني أذهب إلى قيصر وآتي من عنده بجنود، وأخرج محمداً من المدينة، فكان هؤلاء المنافقون يتوقعون أن يجيئهم أبو عامر فمات قبل أن يبلغ ملك الروم.

وعند نزول الآيات وانصراف النبي ﷺ من تبوك وقدومه على المدينة وجه ﷺ عاصم بن عوف العجلاني ومالك بن الدخشم فقال لهما: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه... وأمر بأن يتخذ كناسة يلقى فيها الجيف.

روى الشيخ الصدوق (قده) في الفقيه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«من أتى مسجدي مسجد قبا فصلى فيه ركعتين رجع بعمرة».

ويقع المسجد في قرية قباء جنوبي المدينة، يبعد عنها بثلاثة كيلومترات تقريباً.

إيحاءات قباء

١ ـ أهمية إخلاص النية عند تأسيس أي عمل والانطلاق به.

٢ ـ ليس المهم عند الله العناوين والظواهر فحسب، بل الذي يعطي قيمة للعمل عند الله تعالى هو الدوافع نحو العمل، فمهما كان البناء مقدساً فإنه سيفقد قيمته عند الله والشريعة إذا كانت دوافعه الضرار بالمؤمنين والتفريق فيما بينهم.. وبذلك تتضح أهمية الوحدة بين المؤمنين ونفعهم على الصعيد الديني والدنيوي.

٣ ـ ينبغي أن يكون المقصد من أي مؤسسة وبناء إسلامي إرادة التزكية للنفوس والتطهير ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

والتطهير ينبغي أن يكون من كل المقاصد الدنيوية التي تتنافى مع المقاصد الإلّهية وقصد القربة إلى وجهه الكريم، كالرياء، والسمعة، وحب الجاه، والشهرة..

مسجد القبلتين

روى علي بن إبراهيم بإسناده إلى الإمام الصادقعليه السلام أن النبيﷺ صلى بمكة إلى بيت المقدس ثلاث عشرة سنة، وبعد هجرته صلى بالمدينة سبعة أشهر ثم وجهه الله إلى الكعبة، وذلك أن اليهود كانوا يعيّرون رسول اللهﷺ ويقولون له أن أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا.

فاغتم النبيﷺ وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء، ينتظر من الله في ذلك، فلما أصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى من الظهر ركعتين فنزل جبرئيل فأخذ بعضده فحوله إلى الكعبة وأنزل عليه ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾.

وكانﷺ قد صلى ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة.

وروى الصدوق نحو هذا إلا أنه قال صلى النبي في المدينة (تسعة عشر شهراً)، وزاد أنه بلغ الخبر مسجداً في المدينة وقد صلى أهله من العصر ركعتين فحولوا نحو القبلة فكانت أول صلاتهم إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين.

وفي البحار: أن النبيﷺ لما هاجر إلى المدينة أمر أن يصلي نحو بيت المقدس لئلا يكذبه اليهود، لأن نعتهﷺ في التوراة أنه صاحب القبلتين، وكانت الكعبة أحب القبلتين إلى النبيﷺ، فأمره الله تعالى أن يصلي إلى الكعبة.

قال محمد بن حبيب الهاشمي كان الرسولﷺ قد زار أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة فتغدى هو وأصحابه وجاءت الظهر فصلى

بأصحابه في مسجد القبلتين ركعتين من الظهر إلى الشام، ثم أمر أن يستقبل الكعبة وهو راكع في الركعة الثانية، فاستدار إلى الكعبة فدارت الصفوف خلفه، ثم أتم الصلاة فسمي مسجد القبلتين[١].

ومن طريق الخاصة: «أن بني عبد الأشهل كانوا قد صلوا ركعتين إلى بيت المقدس فقيل إن نبيكم قد صُرِف إلى الكعبة، فتحول النساء إلى مكان الرجال، والرجال إلى مكان النساء، وجعلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة فصلوا صلاة واحدة إلى القبلتين فلذلك سمي مسجد القبلتين»[٢].

فخلاصة ما نقل قولان:

ـ **الأول**: أن المسجد الذي صلى فيه الرسول إلى القبلتين في صلاة واحدة سمي مسجد القبلتين.

ـ **الثاني**: أنه مسجد آخر غير المسجد الذي كان يصلي فيه النبيﷺ، كان المسلمون يصلون فيه فبلغهم أن النبيﷺ تحول إلى الكعبة فتحولوا في وسط صلاتهم إلى الكعبة بعد أن كانوا متجهين إلى قبلة المسلمين الأولى (بيت المقدس) فسمي مسجدهم بمسجد القبلتين. والجامع بين القولين أن هذا المسجد صُلّيت فيه صلاة واحدة إلى القبلتين. ويقع مسجد القبلتين على هضبة بطرف الحرة الغربية التي تسمى حرة الوبرة، وعلى شفير وادي العقيق وبينه وبين مركز المدينة حدود الأربعة كيلومترات.

---

(١) البحار ج٩١ ص١٩٣.

(٢) المعتبر للمحقق الحلي ج١ ص٢١٩.

إيحاءات مسجد القبلتين

١ ـ الانصياع إلى الأوامر الإلهية التعبدية بلا أدنى تردد، ولا نقاش، ولا استفسار.

٢ ـ تمسك أصحاب الدعوات الباطلة بمغالطات عادة يلبسونها ثوب البراهين ليضلوا بها الآخرين من أصحاب الحلوم الضعيفة، منها ادعاء تبعية النبي ﷺ لهم لأنه يتجه إلى قبلتهم في صلاته، وفي الواقع أي ملازمة بين الأمرين!؟ فالاشتراك في القبلة لا يبرر التبعية لجواز أن تكون إحدى الطائفتين على الحق وأخرى على الباطل مع كونهما متحدتين في القبلة.

ولضرب هذه المغالطة ولكي لا تُستغلّ كوسيلة تضليل قال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾.

فينبغي أولاً كشف المغالطة وسحب الذرائع من أيدي مبدعيها كي يظهر الحق، ولا تستولي الخيالات على أذهان بعض الضعاف.

مسجد الفضيخ:

سمي بذلك لنخل يسمى بالفضيخ، كما روى ليث المرادي عن الصادق عليه السلام.

وقيل لأنهم كانوا يفضخون فيه التمر قبل الإسلام، أي يشدخونه، قال الجوهري: فضخت رأسه: شدخته.

والفضيخ شراب يتخذ من البسر وحده من غير أن تمسه النار.

وقد روى عمار عن أبي عبد الله عليه السلام أن في هذا المسجد ردت

الشمس لعلي عليه السلام حتى صلى العصر[١]، حين فاته الوقت بسبب نوم النبي صلى الله عليه وآله في حجره. فلما فرغ من الصلاة انقضت انقضاض الكواكب. (الكافي ج٤ ص٥٦١، ٥٦٢ ح٧).

ويسمى مسجد الشمس. ويقع في قرية العوالي في الجهة الشرقية مع ميل للشمال كما في معجم ألفاظ الفقه الجعفري ص٣٨٧.

مسجد الفتح أو مسجد الأحزاب:

يستحب أن يُزار ويصلى فيه، وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فيه عند اشتداد الأمر يوم الأحزاب في واقعة الخندق إذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وظن البعض بالله الظنون وهنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً فقال الرسول صلى الله عليه وآله في دعائه:

«يا صريخ المكروبين، ويا مجيب دعوة المضطرين، ويا مغيث المهمومين اكشف همي وكربي وغمي فقد ترى حالي وحال أصحابي».

فكشف الله تعالى همه وفرج كربه بقتل علي عليه السلام عمرو بن عبد ود العامري.

فيستحب أن تقول في هذا المسجد:

«يا صريخ المكروبين، ويا مجيب دعوة المضطرين، اكشف همي وغمي وكربي كما كشفت عن نبيك همه وغمه وكربه وكفيته هول عدوه في هذا المكان».

---

(١) مسالك الأفهام للشهيد الثاني ج٢ ص٣٨٥.

واقعة الخندق «الأحزاب»

لا ينبغي لمن يمرّ بموضع واقعة الخندق أن يتخطاه دون استلهام العبر، والتبرك بذكر رواد تلك الواقعة وابطالها الربانيين، وعلى رأسهم من كفى الله به المؤمنين القتال اسد الله الغالب الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام لذلك نقول: كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود بينهم حيي بن أخطب جاؤوا قريش ودعوهم إلى حرب الرسولصلى الله عليه وآله، وسرّ قريش ما قاله اليهود فنشطوا لذلك وأعدوا واستعدوا وخرجوا وخرجت غطفان، وبنو مرة، وأشجع، وبنو سليم..

فاجتمع بذلك الأحزاب، اليهود وقريش ومشركوا باقي القبائل المذكورة ـ اجتمعوا على حرب النبيصلى الله عليه وآله والمؤمنين.

وقال سلمان (رض) يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فأمر الرسولصلى الله عليه وآله بحفر الخندق على المدينة، وقسم كل أربعين ذراعاً بين عشرة وكان سلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن وعمرو بن عوف وستة من الأنصار يقطعون أربعين ذراعاً، فخرجت من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة كسرت حديدهم وشقت عليهم، فقالوا يا سلمان إرق إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله فأخبره عن الصخرة.. فهبط النبيصلى الله عليه وآله مع سلمان الخندق وأخذ المعول وضرب به ضربة فلمعت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها كالمصباح في جوف الليل المظلم، فكبر رسول اللهصلى الله عليه وآله تكبيرة فتح فكبر المسلمون، ثم ضرب ضربة أخرى فلمعت برقة أخرى، ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى، فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي أرى فقالصلى الله عليه وآله: أما الأولى فإن الله عز وجل فتح عليّ بها اليمن، وأما الثانية فإن الله تعالى فتح عليّ بها الشام والمغرب، وأما الثالثة، فإن الله

تعالى فتح عليَّ بها المشرق، فاستبشر المسلمون بذلك، وقالوا: الحمد لله موعد صادق.

ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون: هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله وقال المنافقون: ألا تعجبون يحدثكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر في يثرب قصور الحيرة، ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق، ولا تستطيعون أن تبرزوا.

يقول البراء بن عازب كان رسول الله ﷺ ينقل معنا التراب يوم الأحزاب، وقد وارى التراب بياض بطنه، وهو يقول: «**اللهم لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينةً علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا، إن الأولى قد بلغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا**» يرفع بها صوته.

وبعد أن فرغ الرسول ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بين الجرف والغابة على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة، وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد، حتى نزلوا إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع (جبل بالمدينة) في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم. وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام (أي الأبنية المرتفعة كالحصون).

وأقبل عمرو بن عبد ود مع جماعة تعنق بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها. ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق، فضربوا خيولهم فاقتحموا، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع.

وخرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نفر من المسلمين، حتى أخذ عليهم الثغرة التي منها اقتحموا. وكان عمر بن عبد ود فارس قريش وكان قد قاتل في بدر حتى أثخنته الجراح ولم يشهد أحداً، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليُرى مشهده، وكان يعد بألف فارس، وكان يسمى بفارس يليل لأنه أقبل في ركب من قريش حتى إذا كانوا بيليل، وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد فقال لأصحابه: امضوا،

فمضوا، فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من أن يصلوا إليه، فعرف بذلك.

وكان أول من طفر الخندق عمرو وأصحابه.

ثم أخذ عمرو ينادي، من يبارز؟ فقام علي عليه السلام وهو مقنع في الحديد فقال: أنا له يا نبي الله. فقال صلى الله عليه وآله: إنه عمرو، اجلس.

ونادى عمرو: ألا رجل! وهو يؤنبهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها؛ فقام علي عليه السلام فقال: أنا له يا رسول الله. ثم نادى الثالثة فقال:

ولقد بححت من النداء بجمعكم: هل من مبارز؟

ووقفت إذ جبن المشجع موقف البطل المناجز

إن السماحة والشجاعة في الفتى خير الغرائز

فقام علي فقال: يا رسول الله! أنا. فقال صلى الله عليه وآله: إنه عمرو، فقال علي عليه السلام: وإن كان عمرو!.

وفي نقل قال عليه السلام: وأنا علي بن أبي طالب.

فاستأذن رسول الله فأذن له النبي صلى الله عليه وآله.

وفيما رواه الحسكاني مسنداً إلى حذيفة أن رسول الله ألبسه درعه (ذات الفضول) وأعطاه سيفه (ذا الفقار)، وعممه عمامته (السحاب) على رأسه تسعة أكوار، ثم قال: تقدم.

وقال صلى الله عليه وآله لما ولى: «**اللهم احفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه**» ثم قال صلى الله عليه وآله:

(برز الإيمان كله إلى الشرك كله).

قال ابن إسحاق فمشى إليه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نيّة وبصيرة والصدق منجي كل فائز

إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

قال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي. قال: ابن عبد مناف؛

فقال عليه السلام: أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

فقال عمرو: غيرك يا بن أخي من أعمامك من هو أسن منك. فإني أكره أن أهرق دمك، وفي نقل آخر قال عمرو: والله إن أباك كان صديقاً لي وأنا أكره أن أختطفك برمحي هذا فأتركك شائلاً بين السماء والأرض لا حياً ولا ميتاً وإني أكره أن أقتلك.

فقال علي عليه السلام: دع هذا يا عمرو إني سمعت أنك تقول ما يعرض أحد عليك ثلاث خصال إلا أجبته إلى واحدة وأنا أعرض عليك ثلاث خصال.

قال: هات يا علي.

قال عليه السلام: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: نحِّ هذا عني.

قال علي: الثانية أن ترجع وترد هذا الجيش عن رسول الله صلى الله عليه وآله فإن يك صادقاً فأنتم أعلى به عيناً، وإن كان كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره.

فقال عمرو: إذاً لتتحدث نساء قريش بذلك، ولتنشد العرب بأشعارها أني جبنت ورجعت إلى عقبي من الحرب، وخذلت قوماً رأسوني عليهم.

فقال عليه السلام: فالثالثة أن أدعوك إلى النزول.

قال عمرو: إني لا أحب أن أقتل الرجل الكريم مثلك.

فقال له علي عليه السلام؛ ولكني والله أحب أن أقتلك.

فغضب عمرو وحمي ونزل عن فرسه وعقرها، وسلّ سيفه كأنه شعلة نار فتبارزا وتجادلا ساعة ثم بدره عمرو بضربة استقبلها على بدرقته أي بترسه الذي من حديد، نقدها، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشجه.

وضربه علي على حبل العاتق فسقط، وفي رواية حذيفة: وتسيّف علي رجليه بالسيف من أسفل، فوقع على قفاه، وثرت بينهما عجاجة، فسمع علي يكبر، فقال رسول الله ﷺ: قتله والذي نفسي بيده. فلما انكشف العجاج نظروا فإذا أمير المؤمنين عليه السلام على صدره وقد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه. وفي بعض النقول أن علياً تأخر عن حز رقبته فقال رسول الله ﷺ حتى يأتي فنستعلمه الأمر، ثم أقبل عليه السلام ومعه رأس عمرو إلى رسول الله ﷺ، فسأله النبي عن تأخره فأعلمه الأمير عليه السلام بأنه تلكم بعض الكلمات المسيئة فغضبت وما أحببت أن أقتله وأنا في حالة الغضب لنفسي فتنحيت عني حتى سكت عني الغضب وقتلته غضباً لربي.

وتلقاه النبي ﷺ والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو فمسح الغبار عن عينيه وقال: «**أبشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمد لرجح عملك على عملهم**» وفي رواية عنه ﷺ: «**ضربة علي يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة**» وفي نقل آخر: «**إن ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين**» أي الجن والإنس. (راجع نهاية العقول للفخر الرازي ص١٠٤ ـ مستدرك الحاكم ج٣ ص٣٢ ـ تاريخ بغداد ج٣ ص١٩).

وذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو، ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو.

وعن الحاكم الحسكاني أن ابن مسعود كان يقرأ: (وكفى الله المؤمنين القتال بعلي).

وعندما تعلم كيف كانت حالة المسلمين تعلم عظمة هذا الموقف من علي عليه السلام.

يقول تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٠ ـ ١٢].

يقول حذيفة بين اليمان قال لي رسول الله ﷺ: إذهب فجئني بخبر القوم، ولا تحدثن شيئاً حتى ترجع يقول: فأتيت القوم فإذا ريح الله وجنوده

يفعل بهم ما يفعل ما يستمسك لهم بناء، ولا تثبت لهم نار، ولا تطمئن لهم قدر

فإني لكذلك إذ خرج أبو سفيان من رحله، ثم قال: يا معشر قريش والله ما أنتم بدار مقام هلك الخف والحافر، وأخلفتنا بنو قريظة، وهذا الريح لا يستمسك معها شيء ثم عجل فركب راحلته، وإنها لمعقولة ما حل عقالها إلا بعد ما ركبها.

وعن سليمان بن صرد قال: قال رسول الله ﷺ حين أجلى عنه الأحزاب: **«الآن نغزوهم ولا يغزوننا»** فكان كما قال ﷺ: فلم تغزهم قريش بعد ذلك، وكان هو يغزوهم حتى فتح عليهم مكة.

أقول: فينبغي للحاج والزائر أن يأتي موضع تلك الواقعة عند مسجد الفتح أو ما يطلق عليه اليوم المساجد السبعة فيستحضر مضامين واقعة الخندق العظيمة التي يكتب فيها مؤلّف بحاله، وهناك مسجد علي عليه السلام ومسجد فاطمة عليها السلام وبقية المساجد المباركة، وليكثر من التفكر، ومن الدعاء والصلاة والذكر عندها.

زيارة شهداء أُحُد

شهداء أحد وعددهم سبعون سيدهم حمزة عم النبي ﷺ أسد الله وأسد رسوله وهو هكذا عند أهل السموات حيث أخبر النبي ﷺ فقال:

أتاني جبرئيل فأخبرني أنه مكتوب في أهل السماوات السبع:

«حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله».

وكان النبي ﷺ يفتخر به ويقول خير أعمامي حمزة وخير إخواني علي بن أبي طالب.

وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «**أنا على البراق وعمي حمزة على ناقتي العضباء**».

أي أنه يحشر عليه السلام وهو راكب على ناقة رسول الله العضباء.

وكان لقب سيد الشهداء له قبل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

ومن شهداء أحد مصعب بن عمير، وعبد الله بن جحش، وشماس بن عثمان..

وقد ورد أن شهداء أحد دفن كل رجلين منهم في قبر إلا حمزة عليه السلام فإنه دفن وحده.

فيستحب لمن يرد المدينة أن يزور حمزة وباقي شهداء أحد ويستوحي الدروس والعبر عند الوقوف في موضع تلك الواقعة التي فيها من الدروس النافعة للمؤمن ما هو عظيم لمن تأمل وتفكر.

معركة أُحد

قال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

إن قريش لما رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر حيث قتل منهم سبعون. قال أبو سفيان: يا معشر قريش لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم فإن الدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والعداوة لمحمد ثم تهيؤا لحرب رسول الله ﷺ وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس وألفي راجل وأخرجوا معهم النساء.

فلما بلغ رسول الله ذلك جمع أصحابه وحثهم على الجهاد. فقال عبد الله بن أُبي: يا رسول الله لا تخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقتها فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك وعلىٰ السطوح فما أردنا قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا، وما خرجنا على عدو لنا قط إلا كان لهم الظفر علينا. فقام سعد بن معاذ وغيره من الأوس وقال: يا رسول الله ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام فكيف يظفرون بنا وأنت فينا؟! لنخرج إليهم ونقاتلهم فمن قتل منا كان شهيداً ومن نجا منا كان مجاهداً في سبيل الله، وهذا ما صوَّبه رسول الله ﷺ، وخرج مع نفر من أصحابه يتبوؤن مقاعد للقتال، وقعد عنه عبد الله بن أبي وجماعة من الخزرج اتبعوا رأيه، وكان عدد المسلمين سبعمائة رجل، ولواؤهم بيد أمير المؤمنين عليه السلام، وكان أصحاب الألوية من المشركين تسعة، قتلهم علي عليه السلام عن آخرهم، ونقل أنه عليه السلام قتل أربعين رجلاً وقيل أكثر.

الرُّمَاة:

ولما عبأ رسول الله ﷺ أصحابه وضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب وأشفق أن يأتيهم العدو من ذلك المكان، وقال لعبد الله بن جبير وأصحابه إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تبرحوا وألزموا مراكزكم.

ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً من وراء الشعب، وقال له: إذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا من ورائهم، فحمل الأنصار عى مشركي قريش واشتعلت نيران الحرب، ووقعت بينهم حملات كثيرة وضربات موجعة، حتى لزمت قريش هزيمة قبيحة، ووقع أصحاب رسول الله ﷺ في سوادهم يسوقونهم وهم بين قتيل وجريح ومنهزم، وانحط خالد بن الوليد ومائة فارس من الشعب على عبد الله بن جبير فاستقبلوهم بالسهام فرجعوا واطمأن المسلمون إلى مراكزهم. ولما مال أصحاب رسول الله ﷺ إلى الغنائم وأخذوا بجمع الأموال، أراد البعض من الرماة ترك باب الشعب فصاح عبد الله بن جبير بأصحابه: أيها الناس إن رسول الله ﷺ قد تقدم إلينا أن لا نبرح من مكاننا فلا يقبلوا منه، وأقبل ينسل واحد تلو الآخر حتى أخلوا مراكزهم، وبقي عبد الله بن جبير (رض) في اثني عشر رجلاً، وعندها انحط خالد بن الوليد عليهم وقتلهم على باب الشعب وهجموا على المسلمين من أدبارهم، وانهزم أصحاب رسول الله ﷺ هزيمة عظيمة، وأقبلوا يصعدون على الجبل وفي كل وجه، فلما رأى الرسول ﷺ الهزيمة كشف البيضة وقال إني رسول الله إلى أين تفرون عن الله وعن رسول الله، ولم يبق مع النبي ﷺ إلا أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري (رض) وعلي عليه السلام فكلما حملت طائفة على رسول الله ﷺ استقبلهم علي فدفعهم عنه حتى انقطع سيفه فدفع إليه رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار، وانحاز رسول الله ﷺ إلى ناحية أحد فوقف وكان القتال من وجه واحد، فلم يزل علي عليه السلام يقاتلهم ويذب عن وجه رسول الله ﷺ حتى أصابه في وجهه رأسه ويديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة أو تسعون، فنزل جبرئيل وقال: إن هذه لهي المواساة يا محمد فقال ﷺ: «**إنه مني وأنا منه**». وفي رواية عن الصادق عليه السلام: إن رسول

الله ﷺ نظر إلى جبرائيل بين السماء والأرض وهو يقول: «**لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي**».

وقد قاتل رسول الله ﷺ يوم أحد قتالاً شديداً فرمى بالنبل حتى فني نبله، وحملوا عليه حملات حتى كسرت رباعيته السفلى وشقت شفته، وكُلم في وجهه وجبهته في أصول شعره. وفي كشف اليقين: جعل أصحاب رسول الله يقاتلون دونه حتى قُتِلَ سبعون منهم وثبت أمير المؤمنين وكان يقول له النبي ﷺ اكفني هؤلاء الذين قصدوا نحوي فيحمل علي عليه السلام عليهم فيكشفهم ثم يعودون في جهة أخرى فيكشفهم.

وفي بحار الأنوار عن ابن مسعود قال: إن النبي ﷺ نودي في هذا اليوم:

ناد علياً مظهر العجائب   تجده عوناً لك في النوائب
كل هم وغم سينجلي   بولايتك يا علي يا علي يا علي

إيحاءات أُحُد

هناك عدة أمور يستوحيها من يقف موضع معركة أحد، وفي مقابل مقابر شهدائها وسيدهم حمزة (رض):

ـ **أولاً**: إن الحياة ليست كلها نصراً وفوزاً، بل هي فوز وهزيمة كرّ وفرّ، وهذا واقع يجب أن يعيه كل ذي عقل وبصيرة، وليأخذ هذا الدرس من أحد حيث إنه كان على رأس جيش المسلمين خير خلق الله ورسوله الخاتم ومع ذلك تعرض المسلمون للهزيمة. وهذا شأن الدنيا وهذه سنة الله لكي يحصل الاختبار والامتحان والتميز للجواهر.

فالمنطق الذي يتعجب من ابتلاء المؤمن هو منطق غير مدرك لحقيقة الدنيا وأنها دار اختبار لا دار حساب وإعطاء كل ذي حق حقه. «اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل».

ـ **ثانياً**: إن أحد تلهمنا كون (الفشل هو سر النجاح)، وتدفع عنا الإحباط واليأس عند الإخفاق، فإن الرسول الأعظمﷺ انطلق من واقع (أحد) الأليم الذي هو محطة على الطريق فحسب ليضاعف الجهد والإعداد والتهيئة لفتح مبين. كذلك نحن في جميع شؤوننا علينا أن ننظر لأي فشل على أنه جولة وليس نتيجة نهائية، وفي صراعنا مع الشرك المعاصر والكفر والفسق بالأدوات الخبيثة المتطورة علينا أن لا نستسلم ولا نُحبَط بل فليكن سعينا ليلاً ونهاراً لرفع راية الإسلام خفاقة وليكن أمام أعيننا دائماً ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

ـ **ثالثاً**: إن أُحد تُعلمنا كم هي خطيئة بل جريمة كبرى مخالفة أوامر القائد الرباني، والاجتهاد في مقابل النص، وكم هو مهم الالتزام بالنص

بحذافيره من دون تحليل وخاصة في مثل أمور الأمة الكبرى التي ينبغي أن يكون فيها أمر ولائي وعند كثرة التحليلات يفسد الأمر.

فباجتهاد هؤلاء الرماة على الشعب فتحوا ثغرة الهزيمة للمسلمين بقطع النظر عن نواياهم. فعدم تطبيقهم أوامر القائد الإلهي جر المأساة على جميع المسلمين.

ـ **رابعاً**: نستذكر حمزة سيد الشهداء وكيف مضّ قلب النبي نبأ استشهاده، ذلك البطل الكبير الذي ببصيرته النافذة دافع عن رسول الله ﷺ وترك القوم مهاجراً ببدنه وقلبه إلى الله ومع رسول الله حتى نال ذاك الوسام العظيم وسام الشهادة.

وكذلك مصعب بن عمير الذي أرسله رسول الله شاباً إلى المدينة ليُعلِّم من يُسْلِم القرآن، وتَرَكَ حياةَ الترف والدنيا والديباج والحرير لأجل الله ورسوله يقول أمير المؤمنين عليه السلام: إنا لجلوس مع رسول الله ﷺ في المسجد إذ طلع علينا مصعب بن عمير وما عليه إلا بردة له مرقوعة بفرو، فلما رآه رسول الله ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة والذي هو فيه اليوم[1].

وقد مات (رض) ولم يترك إلا ثوباً كانوا إذا غطوا رأسه خرجت رجلاه وإذ غطوا به رجليه خرج رأسه فقال رسول الله ﷺ غطوا رأسه واجعلوا على رجليه الاذخر[2].

ـ **خامساً**: نستلهم دروس التضحية والفداء والتفاني والإيثار من أمير المؤمنين عليه السلام وكذلك دروس الصدق والثبات في المعركة. وكيف أن جبرئيل قال للنبي ﷺ: «**إن هذه لهي المواساة يا محمد**» ونادى عليه السلام في السماء: «**لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي**».

وكذلك نستذكر كل الشهداء بين يدي رسول الله ﷺ في تلك الأيام العصيبة من الدعوة الإسلامية الذين بحق يعدون من أعظم الشهداء على الإطلاق.

❀ ❀ ❀

(١) أسد الغابة ج٤ ص٣٧٠.

(٢) المصدر.

مشربة أم إبراهيم:

يستحب للزائر أن يأتي مشربة أم إبراهيم فيصلِّ فيها، فإنها مسكن رسول الله ﷺ ومصلاّه، وهو الموضع الذي كانت تسكنه مارية القبطية، وتقع المشربة قرب مسجد قبا، فإذا أتاها جدّد التسليم على رسول الله ﷺ.

اغتنام فرصة الكون في المدينة

الصلاة في مسجد النبي ﷺ:

ينبغي للمؤمن أن يغتنم فرصة كونه في مدينة رسول الله ﷺ فيكثر من الصلاة في مسجد الرسول ﷺ، ففي بعض النصوص أن الصلاة في مسجد النبي ﷺ تعدل عشر آلاف صلاة في غيره من المساجد غير المسجد الحرام، وفي رواية أخرى الصلاة الواحدة فيه تعدل ثواب ألف صلاة، والاختلاف الوارد في مقدار الفضل والثواب منزّل على اختلاف مراتب المصلين في العلم والإيمان والإخلاص.

فلا يفوتنك أداء الفرائض اليومية كلها في مسجد النبي ﷺ، وكذلك احرص على أداء النوافل فيه، وصلِّ قضاءً إذا كان عليك صلوات فائتة، وصلِّ مستحباً واهدِ الثواب للوالدين والأهل والأولاد والأرحام والجيران والأخوة في الله.

ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة:

يتأكد استحباب الصلاة والكون للدعاء والذكر ما بين المنبر والقبر فإنها روضة من رياض الجنة كما ورد عن الرسول الأعظم ﷺ، وفي خبر مرازم عن الصادق عليه السلام عندما سأله مرازم: ما حدّ الروضة؟

فقال عليه السلام: بعد أربع أساطين من المنبر إلى الظلال، فقال: جعلت فداك من الصحن فيها شيء قال عليه السلام: لا.

ولتكثر من الدعاء وتلاوة القرآن في الروضة، فمن وفق للكون فيها لا يدري هل يوفق مرة أخرى أم لا. وليذكر من يحب بالخير والصلاح.

ويستحب أن يأتي مقام جبرئيل وموضعه تحت الميزاب وأن يقول: **«أي جواد أي كريم أي قريب، أي بعيد، أسألك أن تصلي على محمد وأهل بيته وأن ترد علي نعمتك»**.

استحباب تبليغ رسول الله السلام عن الأهل والأقرباء..:

يستحب للمؤمن أن يبلغ رسول الله ﷺ سلام أهله وأقربائه وإخوانه، كما ورد عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال:

> **(«وإذا أتيت قبر النبي ﷺ فقضيت ما يجب عليك فصلِّ ركعتين ثم قف عند رأس النبي ﷺ وقل: «السلام عليك يا نبي الله من أبي وأمي وولدي وخاصتي وجميع أهل بلدي حرهم وعبدهم وأبيضهم وأسودهم فلا تشاء أن تقول للرجل قد أقرأت رسول الله ﷺ عنك السلام إلا كنت صادقاً»).**

كيفية وداع الرسول ﷺ:

يستحب للزائر إذا أراد الخروج من المدينة أن يغتسل لوداع الرسول ﷺ ثم يأتي القبر الشريف بعدما يفرغ من حوائجه، ويقف عند الأسطوانة المقدمة من جانب القبر الأيمن عند رأس القبر، وهو مستقبل للقبلة ويجعل منكبه الأيسر إلى جانب القبر ومنكبه الأيمن فما يلي المنبر، ويسلم على الرسول ﷺ ثم يقول:

«اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارة قبر نبيك، فإن توفيتني قبل ذلك فإني أشهد في مماتي على ما شهدت عليه في حياتي أن لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك».

وعن يونس بن يعقوب قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن وداع قبر النبي ﷺ فقال عليه السلام تقول: **«صلى الله عليك، السلام عليك، لا جعله الله آخر تسليمي عليك»**.

«العمرة»

اعلم أن وقت العمرة المندوبة جميع أيام السنة وفضلها عظيم فقد ورد عن إمامنا الرضا عليه السلام: **«العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما»** وأفضلها عمرة رجب. ويدل على ذلك عدة نصوص: فعن الصادق عليه السلام: **«ما خلق الله تعالى بقعة أحب إليه من الكعبة، ولها حرَّم الأشهر الحرم، ثلاثة منها متواليه للحج (شوّال ـ ذي القعدة ـ ذي الحجة) وشهر مفرد للعمرة (رجب)**.

وفي صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام: **«أفضل العمرة عمرة رجب»**.

وفي صحيحة أخرى عنه عليه السلام: **«عمرة رجب أفضل من عمرة شهر رمضان»**.

وقال الأردبيلي في مجمع الفائدة: فلا يعارض ما في رواية ضعيفة من أن عمرة شهر رمضان أفضل. ويمكن حملها على أفضليتها من غير رجب.

وفي رواية: **«أن عمرة رجب تلي الحج في الفضل»**.

وفي أخرى: **«العمرة كفارة لكل ذنب وأفضل العمرة عمرة رجب»**.

وروى الكليني في الصحيح عن معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام قال:

«المعتمر يعتمر في أي شهور السنة شاء، وأفضل العمرة عمرة رجب» فعلى هذا يتضح على مذهب أهل البيت عليهم السلام أن عمرة رجب هي أفضل من العمرة في سائر الشهور حتى في شهر رمضان.

وبطرق أهل الخلاف ورد أن «عمرة في رمضان تعدل حجة» ولم يرد رواية بلسان أن عمرة رمضان أفضل من عمرة رجب. (راجع سنن الترمذي ج٢ ص٢٠٨).

وورد من طرقهم أن رسول الله ﷺ اعتمر بذي العقدة.

وكذلك روى ابن عمر أنه اعتمر ﷺ في رجب.

علامات قبول الحج والعمرة

هناك فرق بين من أدى فريضة الحج مخلصاً متقرباً عارفاً بحقائق المناسك معتبراً الحج مِفْصَلاً في حياته، ومحطةً مصيرية لتغيير نفسه، ولَجْم هواها بلجام الشرع والعقل، وبين من أدى عملاً شاقاً لإزاحته عن كاهلَه دون أن ينفذ إلى حقائق هذه العبادة العظيمة المقدسة.

فالأول ستجد فيه تغييراً ملحوظاً بعد قفوله من الديار المقدسة، إن على صعيد السلوك والأخلاق، أو على صعيد التدقيق في الالتزام بأحكام الشرع المبين دون تساهل وتهاون، أو من جهة تداركه لما قصر فيه سابقا من طاعة وعبادة، أو من ناحية إقلاعه عن بعض الأمور التي كانت منافية للشريعة، وعن بعض العادات التي لم تكن تليق بالمؤمن الذي زار بيت الله الحرام وتشرف بزيارة النبي ﷺ وأهل بيته الأطهار.

وأما النموذج **الثاني** فسترى أن الذي تغير فيه هو لباسه الغالب عليه اللون الأبيض (الدشداشة والقلنسوة أو الثوب الأبيض للمرأة) وذلك أيام رجوعه الأولى من الأماكن المقدسة، وسرعان ما يعود إلى ما كان عليه دون أدنى تغير، ودون أن تعكس تلك المناسك المقدسة على روحه أو على سلوكه أي أثر يذكر.

وهذا في الواقع داهية عظمى وطامّة كبرى أعاذنا الله تعالى وإياكم من عبادة لا تنفع ومن طاعة صورية لا تؤثر في القلب والقالب.

فهناك عدة علامات قد يستفاد منها ويستكشف كون الحج قد قُبل من جانب الحق تعالى، وقد يكشف عدمها عن عدم القبول وإليك بعض هذه العلامات:

١ ـ أن يرجع الحاج طيب النفس بما أنفقه من نفقة في سبيل أداء هذه العبادة المعظمة فقد ورد في الرواية أن الدرهم في طريق الحج يعدل سبعمائة درهم في غيره من وجوه الخير.

وفي رواية أخرى: الدرهم يعدل ألف درهم.

وفي ثالثة: أن الدرهم يعدل ألفي ألف درهم، وأن يكون طيب النفس بما أصابه من مكروه أو جهد أو مرض أو أذى في بدنه، دون تذمر أو إظهار لعدم الرضا.

٢ ـ ترك ما كان عليه من معاصٍ وعادات سيئة تخلّ بالمروءة والكمال، فإذا رجع من الحج، وعاد إلى ما كان عليه من مخالفته للشرع وللتعاليم الأخلاقية فإن هذا سيكون نذيراً سيئاً عليه بالنسبة لقبول حجه. كالذي كان يلعب ببعض أدوات القمار، أو يستمع الغناء، أو يحلق لحيته بالموسى.. الخ ثم بعد عودته من الحج عاد إلى ما كان عليه نعوذ بالله تعالى من الخذلان.

٣ ـ أن يقلع عن مرافقة ومصاحبة غير المتدينين من أصحاب اللهو والدنيا ويستبدلهم بأخوة مؤمنين يعينونه على أمر آخرته، ويحثونه على الفضائل وعلى اقتناص ما بقي من فرصة عمره لصرفه في طرق الخير والصلاح والعبادة ونيل الكمالات الروحية والدرجات المعنوية.

٤ ـ أن يستبدل مجالس اللهو والغفلة بمجالس الذكر، والعمل الصالح، واليقظة. فبدل جلسات السَّمَر المشتملة على اللهو واللغو والممزوجة بالمعصية، وعوضاً عن ارتياد الأماكن التي هي محالّ شبهات يبدأ بالمداومة على ارتياد المساجد وصلوات الجماعة فيها، واستماع العلم والمواعظ، وبحضور جلسات تعلم أحكام الشرع المبين، وكل ما فيه لله رضا وله منفعة وفائدة فمن صفات المتقين أنهم «وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم».

هذا عمدة علامات القبول لمناسك الحج المقدسة، ومنه استطرق لأسأل الله تعالى أن يضع هذا الجهد القليل مورد القبول في ساحته المقدسة وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويجزيني عليه خير ما يجزي

عاملاً عن عمله، فإن رجاءنا ليس إلا بفضله وجوده وكرمه، إنه نعم المولى وخير مجيب وقد فرغت من تسويد هذه الوريقات أنا العبد الفقير إلى خالقه الغني رضا علي حجازي العاملي عاملني الله بلطفه في شهر رمضان من سنة ١٤٢٦هـ.

فهرس المحتويات